المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني

(دراسة موضوعية وفنية)

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إعداد الطالب

محمد بن يحيى بن مفرح آل عجيم

الرقم الجامعي : ٤٢٦٨٨١٣٤

إشراف

الأستاذ الدكتور / مصطفى حسين عناية

العام الدراسي ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازةُ أُطروحةٍ علميّةٍ في صيغتها النّهائيّةِ بعدَ إجراء التّعديلات :

الاسمُ الرُّباعيُّ : محمد يحيى مفرح آل عجيم   الرّقم الجامعيّ : (٤٢٦٨٨١٢٤)

كلّيّة : اللغة العربيّة   قسم : الدّراسات العليا العربيّة   فرع : أدب وبلاغة ونقد

الأُطروحةُ مقدَّمةٌ لنيلِ درجة : الماجستير   في تخصُّص : الأدب

عنوانُ الأُطروحة : صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني "دراسة موضوعية وفنية"

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين،والصّلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فبعد إجراء التّصويبات المطلوبة التي أوصتْ بها اللجنةُ التي ناقشتْ هذه الأطروحةَ بتاريخ : ٢٢/٦/ ١٤٣٠ هـ ، توصي اللجنةُ بإجازتها في صيغتها النّهائيّة المرفقة

واللهُ الموفّقُ ،،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف : مصطفى حسين محمد عناية	المناقش الدّاخليّ : عوض معيوض الجميعي	المناقش الخارجيّ : حلمي حسن
التّوقيع :	التّوقيع :	التّوقيع :

يعتمد : رئيس قسم الدّراسات العليا العربيّة

أ.د :

التّوقيع :

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

العنوان : صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني

" دراسة موضوعية وفنية ".

الباحث : محمد بن يحيى بن مفرح آل عجيم.

الدرجة : الماجستير في الأدب والبلاغة والنقد.

يسعى البحث إلى إبراز صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني ممدوحا ومعاتبا ، وهي صورة دقيقة واضحة لم يشارك سيف الدولة أحد من عصره فيها .

جاء البحث في تمهيد وفصلين ، تناول التمهيد علاقة أبي فراس بسيف الدولة منذ ولادة أبي فراس حتى وفاته . وفي الفصل الأول تناول البحث صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس " دراسة موضوعية" ، فظهر فيها سيف الدولة الأمير ، والقائد الشجاع ، والحليم ، والكريم ، ثم سيف الدولة الجافي.

وفي الفصل الثاني " الدراسة الفنية " تناول اللغة والأسلوب في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، والصورة الشعرية ، والموسيقى.

وقد توصل البحث إلى النتائج التالية :

- خص أبو فراس سيف الدولة بجل مدائحه.
- انطلقت هذه المدائح من إعجاب كبير بشخصية سيف الدولة.
- لم يستطع أحد من شعراء البلاط السيفي أن يجاري أبا فراس في تصويره لسيف الدولة بدقة دون مبالغة ولا إغراب.

ويمكن أن يتضح ذلك من خلال : " دراسة موازنة بين شعر أبي فراس وشعر شاعر آخر من الشعراء الذين امتلأ بهم بلاط سيف الدولة ".

Summary

The Topic : Saif Al- Dawlah`s Image in Abu Feras Al-Hamadani`s Poetry.

The Researcher : Mohammed bin Yahia bin Mofareh A`al Ojaem
The Degree : A Master Degree of Literature , Rhetoric and Criticism

The researcher tries to relieve the image of Saif Al-Dawlah in Abu Feras Al- Hamadani`s poetry praised and reprimanded and it was a specific and clear so no one shared Saif Al-Dawlah at that era .

The researcher includes a preface and two chapters .
The preface describes the relationship between Abu Feras and Saif Al-Dawlah since birth until death of Abu Feras .

In chapter one the researcher describes the image of Saif Al-Dawlah in Abu Feras`s poetry " A Literalism Study " so on that appears Saif Al-Dawlah , the prince, the brave leader ,the tolerant ,the noble then Saif Al-Dawlah the curt.

In chapter two , (An Artistic Study)
The researcher describes the language and the style of Abu-Feras who described Saif Al- Dawlah – the poetry image and music .

That will be clear by making a comparing study between Abu Feras`s poetry and another poet from all those poets that filled the royal palace of Saif Al-Dawlah

الإهداء

إلى أبي ...

الحازم في تربيته

اللطيف في معشره

الحكيــم في رأيــه

وإلى أمي...

التي مازلت أرضع حبها

دعاء وسؤالا وحرصا

متعهما الله بالصحة والعافية ، وجزاهما عني خيرا.

وإلى زوجتي الغالية ...

التي أضافت إلى أعبائها أعباء

لأتفرغ لعملي ودراستي وبحثي.

وإلى أبنائي....

عبد الرحمن وبشرى وعبد الله ورنا

الذين مدوا لي يد العون كل بما يحسنه

ويستطيعه .

محمد بن يحيى بن مفرح آل عجيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينـــه ، ونستغفـــره ، ونعـــوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضـــل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهـــد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له ، وأشهـــد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعـــد :
فقد حظي سيف الدولة الحمداني بمكانة عالية أهلته أن يذكر في مصاف الرجـــال العظماء ، فقد عاش في زمن ضعفت فيه الخلافة الإسلاميـــة ، وتقطعت أوصـــال الدولة بين أطماع الأعاجم ، فأقاموا دويلاتهم على أشلائها ، وأصبح العربي خارج الجغرافيا سياسيا . لكن سيف الدولة الحمداني استطاع أن يقف بالعرب ندا قويا في حلب يقارع الأعداء في الداخل والخارج ، حتى أقام له دولة عربية مهيبة الجناب ، وقد أهله هذا الصنيع أن يجتمع حوله كوكبة من الشعراء الذين بهرتهم شجاعته كما بهرهم جوده وكرمـــه ، وكان في مقدمـــة أولئك الشعراء ابن عمـــه الفارس الشاعـــر أبو فراس الحمدانـــي ، الذي استطاع أن ينقل لنا صورة زاهية لإمارة الحمدانيين ، ثم لإمارة سيف الدولـــة ، وكان أبو فراس من أقدر شعـــراء البلاط السيفي في نقل حياة سيف الدولة السياسية والعسكرية ، ولا غرابة في ذلك فهـــو الأمير والفارس . ومع هذه القدرة لم يجد شعره في المصنفات القديمة التي عنيت بالدراسات النقدية والأدبية ، وكذا الدراسات التاريخية ، ما يليق بتقدمه ومكانته ، فهو حين يُذكر يرد ذكره مختصرا في صفحات معدودات ، ولعل الثعالبي من أول من صنف في شعر أبي فراس وتحدث عنه ، ثم توالت الدراسات التاريخية خاصة عن الشاعر بإشارات مقتضبة كما أشرت سابقا.
أما في العصر الحديث فقد حظي شعر أبي فراس بعدد من الدراسات التي تناولته من جوانب مختلفة ، فألف عنه الدكتور أحمد أحمد بدوي كتابا بعنوان (شاعر بني حمدان) ، تناول فيه العصر الذي عاش فيه الشاعر ، والمجتمع الحمداني وعلاقة أبي فراس بذلك المجتمع ، وعلاقته بأسرته ، وبسيف الدولـــة المؤثر الأكبـــر في فروسيته وأدبه ، وأشار إلى ديوانه و موضوعات شعره ، ثم وازن بين أبي فراس وأبي الطيب المتنبي.

وتناولـــه الدكتـــور عبد الجليل حسن عبد المهـــدي ، فألف عنه كتابـــا وسمـــه بـــ(أبو فراس الحمداني "حياته وشعره") ، تحدث فيه عن البيئة العامـــة التي نشأ فيها الشاعر ، والمجتمع الحمداني سياسيا واجتماعيا وعقليا وأدبيا ، ثم تحدث عن سيرة الشاعر في فصل كامل ، ثم أتبعه بفصل تناول شخصيته كما تبدو في شعره ، بعد ذلك درس شعر أبي فراس في عدة فصـــول ، تناولت ديوانـــه ، وأغراض شعره التقليدية والثانوية ، ورومياته والأغراض الشعرية التي ظهـــرت فيها ، ثم ختم الباب الثاني بفصل تناول الخصائص الفنية العامـــة لشعر أبي فراس ، وآراء النقاد في شعره.

هاتان الدراستان تعدان من أوسع الدراسات التي تناولت شعر أبي فراس ، وهناك دراسات أخرى تناولت جوانب من حياته وشعـــره ، فقد كتب عنه الدكتور محمد حمود كتابا بعنوان (أبو فراس الحمداني " شاعر الفروسية والوجدان ") ضمن سلسلة " شعراء العرب" وهي دراســـة مقتضبـــة عن حياته وموضوعات شعره ، ونماذج من شعر الشاعر ، كما ألف عنه الدكتـــور عبد المجيد الحـــر كتابا ضمن سلسلة " أعلام الفكـــر العربي " تحت عنـــوان (أبو فراس الحمـــداني " شاعـــر الوجدانية والبطولة والفروسية ") ،وكتبت عنه ماجدوليـــن وجيه بسيسو دراســـة بعنوان (شعـــر أبي فراس الحمـــداني " دراسة فنية ") تناولت عصر أبي فراس وحياتـــه ، وتحدثت عن موضوعـــات شعره ، وفي الباب الثالث تناولت الجوانب الفنية في شعره . كما كتب عنه الدكتور خالد بن سعود الحليبي دراسة بعنوان (أبو فراس الحمداني في رومياته) . وهناك دراسات أخرى تناولت الشاعر وشعره من جوانب مختلفة لعل من آخرها دراســـة الأستاذ عبد الرحمن بن صالـــح الخميس بعنوان (البطل في شعر أبي فراس الحمداني "دراسة موضوعية وفنية").

ومن خلال إطلاعي على تلك الدراسات لم أجد من كتب عن " صورة سيف الدولة الحمدانـــي في شعـــر أبي فراس الحمداني " بشكل مفصـــل ، فكل الدراسات التي تناولت أبا فراس وشعره ، كانت تتحدث عن موضوعات شعـــره بشكل عام يرد ذكر سيف الدولة ضمن غيره ممن تنـــاولهم أبو فراس في شعـــره ، أو تتنـــاول جزئيات في شعره لا تتحدث عن صور سيف الدولة مفصلة كما أحب الشاعر أن

يبرزها ويظهرها ؛ لذلك كان اختيـــاري لهذا الموضوع ، فصورة سيف الدولة زاهية مشرقة في شعر أبي فراس ولا غرابة في ذلك فقد عاش في كنفه ، وتربى على يده وشاركه حياته حلوها ومرها ، فكان لسيف الدولـــة النصيب الأوفـــر من شعر أبي فراس مدحا وعتابا ، إذ أشار إليه في قرابة (٦٩٠) بيتا من مجمـــوع شعره ، وهو عدد وافر تناول شخصية واحدة . وقد تناولت هذه الدراسة من خلال ، تمهيد ، وفصلين ، ووسمتها بـــ(صـــورة سيـــف الدولـــة في شعر أبي فراس الحمداني " دراسة موضوعية وفنية ").

تناولت في التمهيد " علاقة أبي فراس الحمداني بسيف الدولة " من خلال شعره ، فتحدثت عن ظروف قيـــام الدولـــة الحمدانيـــة ، وولاياتهم في الأقاليم المختلفة ، وصلت من خلالها إلى ولاية سعيـــد بن حمدان والد أبي فراس ، ثم تحدثت عن مقتله ، وكفالـــة أمه له ثم كفالـــة سيف الدولة له ، ثم تحدثت عن الجو السياسي والثقافي والأدبي الذي عاشه الشاعر في بلاط سيف الدولة وأثر ذلك في شعـــره ، بعد ذلك تناولت أسره والظروف المصاحبة له ، وتوتر علاقته بسيف الدولة ، ثم قصة فدائه ومن معه من الأسرى ، وعودته إلى الحياة السياسية بغير النفس التي كان عليها قبل الأسر إلى أن توفي سيف الدولة ، ثم قصة مقتل أبي فراس .

وفي الفصل الأول تنـــاولت " صورة سيف الدولة الحمـــداني في شعر أبي فراس الحمداني " دراســـة موضوعيـــة " ، حاولت من خلاله أن أقرأ أبرز الصفات التي تناولها أبو فراس وهو يتحـــدث عن سيف الدولة قراءة مفصلة ، مدعما رؤية أبي فراس بالروايات التاريخية قدر الإمكان ، فسلطت الضوء على صفات سيف الدولة العليا التي رآها فيه أبو فراس ، وضممت تحت كل صفة مجموعة من الصفـــات المكونة للصورة الكلية العليا ، فتحدثت عن " سيف الدولـــة الأمير " كما صـــوره أبو فراس ، من خلال ضم المتشابهات إلى بعضها ، مدعما ذلك بشعر أبي فراس الدال عليها ، ومؤيدا له بالروايات التاريخية قدر المستطاع ، وبطريقـــة مقتضبة حتى لا يتحول البحث إلى بحث تاريخي مدعم بالشواهد الشعـــرية ، واتضح من خلال هذا المبحث علو المكانة التي يراها أبو فراس لأميره ، فسيف الدولة أمير ليس لبني حمدان خاصة بل هو أمير للعرب كافة .

ثم تحدثت عن " سيف الدولة القائد الشجاع " من خلال شعر أبي فراس ، وكيف أنه قد جمع في قلبه وعقله جميع صنوف الشجاعة ، وضم إليها جميـــع صفـــات القائد المظفر الذي جمع إلى الشجاعة صفات القيادة العسكرية المتميزة التي أهلته أن ينتصر في كثير من معاركه.

ثم قرأت ما رآه أبو فراس في سيده من صفات الحلم تحت عنوان " سيف الدولة الحليم " . وأبو فراس يصور هذه الصفة من خلال مشاركته لسيف الدولة في كثير من وقائعه العسكرية الداخلية والخارجية ، وقد رأى من أميره قدرة فائقة على العفو عند المقـــدرة ، فنقل لنا ذلك مثنيا ومعجبـــا ، وقد أيـــدت ذلك بالروايات التاريخية التي تحدثت عن حلم سيف الدولة.

ثم تحدثت عن صورة سيف الدولة الكريم كما نقلها لنا أبو فراس في شعره الذي صور سيده وأميره ، وقد أظهر سيف الدولة كريما تتبارى صنوف المكـــارم في يمينه ، ودعمت هذه الصور بالروايات التاريخية .

وقد رأيت أن أكتفي بهذه الصور البارزة من مكارم سيف الدولة ، إذ إنها قد حوت في داخلها كثيرا من الصفات الجزئية التي تبرز في أثنائها.

وأخيرا قرأت عتاب أبي فراس لسيف الدولة تحت عنوان ، " سيف الدولة الجافي " ، وقد أخترت هذه الصفة لأدرج تحتها كل صفات العتاب التي رآها أبو فراس في سيف الدولة بعد أسره وتأخر فدائه،وهي صفة أطلقها أبو فراس نفسه على أميره.

أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن " صورة سيـــف الدولـــة الحمداني في شعـــر أبي فراس الحمداني " دراسة فنية " ، وقد تناولته من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول درست فيه اللغة والأسلوب في شعر أبي فراس الذي صـــــور سيف الدولة ، بدأته بالحديث عن مفهوم اللغة والأسلوب عند القدماء والمحدثين وأهميتها في العمل الأدبي ، ثم تحدثت عن سمات اللغة والأسلوب في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، وأبرز الظواهر الأسلوبية والبلاغية في هـــذا الشعر.

وفي المبحـــث الثاني تناولـــت الصورة الشعرية ، افتتحتـــه بالحديث عن الصورة وعلاقتها بالخيال والعاطفة ، ثم تحدثت عن الصورة من جهاتها البلاغية ؛ التشبيه

والاستعارة ، والكناية ، ومن جهاتها الحسية ؛ البصرية ، والذوقيـــة ، واللمسية ، والسمعية ، والشمية ، ثم ختمت ذلك بالحديث عن الصورة التشخيصية.

وفي المبحث الثالث تحدثت عن الموسيقى في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، بدأته بالحديث عن مفهوم الموسيقى وأهميتها ، وأنواعها ، ثم تحدثت عن الموسيقى الشعرية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة من خلال :

الموسيقى الخارجية " الوزن والقافية ، والموسيقى الداخلية " المحسنات اللفظية "، و " تلاؤم الحروف وتوافقها الصوتي".

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة بشكل عام .

و قد رأيت في دراستي هذه أن أعمد إلى بعض الأسس التي تخرجه بشكل أوضح وأجلى ، وهي :

- الترجمة للشخصيات التي أرى أنها بحاجة إلى الكشف عنها.
- ضبط الأبيات بالشكل ضبطا تاما.
- شرح المفردات الغريبة التي تحتاج إلى بيان معناها.
- أشرت في الهامش إلى بعض القضايا الموضحة والداعمة للمتـــن ، وليس محلها المتن.
- اعتمدت في دراستي على ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، وقد بحثت بحثا مضنيا عن الديوان بتحقيق ودراسة سامي الدهان ولم أعثر عليه لنفاد طبعته مبكرا جدا.
- لما كانت الدراسة تعنى في المقام الأول بالحديث عن صورة سيف الدولـــة في شعر أبي فراس اكتفيت بالجوانب الإيجابية التي ركز عليها الشاعر في مدحه لسيف الدولة ، وتجنبت الحديث عن هزائم سيف الدولة التي ذكـــرها التاريخ.

ولا يفوتني أن أشير بالثنـــاء والامتنـــان إلى راعي هذا البحث ومن كلأه برعايته واهتمامه ومتابعته منذ أن كان فكرة تتردد في صدر كاتبه حتى استوى على سوقه سعادة أستاذي الفاضل الكريم الأستاذ الدكتور مصطفى حسين عناية ، فلقد أولاني رعاية واهتماما بالتوجيه والإرشاد مرشدا ثم مشرفا ، فجزاه الله عني وعن جميع

طلابه خير ما جزى أستاذا عن طلابه ، والشكـــر موصول لأستاذي الفاضليـــن سعادة الدكتور عوض بن معيوض الجميعي وسعـــادة الدكتـــور حبيب بن حنش الزهراني على ما قدماه لي من فوائـــد منهجية وعلمية في أثناء مناقشتهما لبحثي المتواضع ، ثم الشكر العاطر الجميل لإخوتي الكرام الذين شاركوني بحضورهم الداعم ، كما أحب أن أشكر الشكر الجزيل سعادة الدكتور حسن بن محمد شريم على ما يسر لي من أعمـــال كي أتم دراستي العليـــا ، وأشكـــر أخي الكريـــم عبد الرحمن بن صـــالح الخميس الذي أعـــانني بالدلالـــة على مراجـــع البحث والدراسات التي قامت حوله ، كما أشكر شكرا عاطـــرا قسم الدراسات العليا في كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى ، إذ أتاح لي الفرصة أن أتتلمذ على أدباء ونقاد ولغويين كبار يغبط التلميذ على تتلمذه عليهم ، والشكر العظيم لوالدي على تربيتهما وتشجيعهما ورعايتهما ، والشكر لزوجتي الحبيبة ولأولادي البررة على صبرهم وتحملهم وإيثارهم ، جزى الله الجميع خير الجزاء.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم.

الطالب / محمد بن يحيى بن مفرح آل عجيم.

الرقم الجامعي / ٤٢٦٨٨١٣٤

التمهيد

علاقة أبي فراس بسيف الدولة

تنسب الدولة الحمدانية إلى حمدان بن حمدون التغلبي صاحب قلعة ماردين على مشارف الموصل ، وحمدان هذا عرف بشجاعته وسخائه وطموحه السياسي الذي لا يحده حدود ، فقد ظهر على مسرح الأحداث في زمن ضعفت فيه الخلافة العباسية ، وتغلب العنصر العجمي على مفاصل الدولة ، فأصبح الآمر الناهي المتنفذ في السياسة والمال . وفي هذه المرحلة من عمر الخلافة كان كل صاحب طموح سياسي يجد نهمته في الخروج على الخلافة ، ومن أولئك حمدان بن حمدون " فقد كان فارساً ذا عصبية وأنصار، يأتمرون بأمره ، ويرمي بهم إلى حيث شاء من المعارك ، وكان جنوده يبلغون في بعض الأحيان عشرين ألف مقاتل يخوض بهم المعارك"[١]، متابعاً الأقوياء الذين يرى فيهم تحقيقاً لطموحه ، "وكأنه يعد نفسه لزعامة خطيرة ؛ لقوة شخصيته وصلابتها وجرأتها من ناحية ، ولكثرة أبنائه وشجاعتهم من ناحية أخرى ، ولاضطراب الأمور العامة في دولة الخلافة وتمزقها من ناحية ثالثة "[٢] .

وكان أول ظهوره مجاهراً بابتناء مجده الذي يسعى له في أواخر القرن الثالث الهجري ، عندما استولى على قلعة ماردين متحالفاً مع هارون الشاري الخارجي[٣] الذي استولى على الموصل وكثر أتباعه ، وخرج عليه محمد بن خروان من أصحابه فغلبه على الموصل ، فقصد حمدان بن

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، د.مصطفى الشكعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ، ص٢٥ .

(٢) نفسه : ٢٥ .

(٣) **هارون بن عبد الله الشاري الصفري ، كان شجاعاً مغوارا. خرج في أطراف الموصل، وتبعه عدد كبير، فقصده المعتضد سنة ٢٨٢ هـ وقاتله بالجيوش، فانهزم جمع هارون ، واستسلم وجوه أصحابه ، وبقي هارون في قلة ، فتعقبه الحسين بن حمدان التغلبي، فأسره، وجاء به إلى المعتضد فشهره ثم صلبه** .(انظر : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ٢٠٠٢م ، ج٨ ص٦١).

حمدون مستنجداً به فسار معه ورده إلى الموصل ٠٠٠٠ ثم زحف بنو شيبان لقتاله سنة اثنتين وسبعين ، فاستنجد بحمدان بن حمدون ، وانهزم قبل وصوله إليه "[١] ، " وظل حمدان حليفاً لهارون الخارجي هذا حوالي عشرة أعوام ، خاضا فيها عدة حروب ، كان أهمها تلك التي وقعت ضد بني شيبان، وكان النصر فيها للخوارج وحليفهم حمدان بن حمدون"[٢] ٠

على أن الأمور لم تتم لحمدان وحلفائه الخوارج ، فقد " سار المعتضد[٣] إلى الموصل يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان بن حمدون ، فهرب حمدان منها ، وخلفه ابنه (الحسين بن حمدان[٤]) بها فنازلها المعتضد ، وقاتل من فيها يومه ذلك ، فلما كان في الغد ركب المعتضد ، فصعد إلى باب القلعة وصاح بابن حمدان فأجابه..... ثم وجه خلف حمدان بن حمدون وطلب أشد الطلب ، وأخذت أمواله ، ثم ظفر به المعتضد بعد عوده إلى بغداد "[٥] .

---

(١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨١م ، بيروت ، جـ٧ ص٤٩١ .

(٢) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص٢٦ .

(٣) أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن أحمد الموفق بن جعفر المتوكل ، كان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم . (انظر في ترجمته : البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ بن كثير ، تحقيق د. أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار الحديث ، ط٥ ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م ، القاهرة ، ج١١ ص٩٢).

(٤) الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي: أحد الأمراء الشجعان المقدمين في العصر العباسي. عم سيف الدولة الحمداني، وأول من ظهر أمره من ملوك بني حمدان ، كان قائدا عند المعتضد ، ثم خرج عليه ، فقبض عليه المعتضد وقتله في بغداد سنة ٣٠٦هـ(انظر: الأعلام ، ج٢ ص٢٣٦).

(٥) الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، بيروت ، جـ٦ ، ص٧٧ .

أما هارون الشاري فقد وجه له المعتضد الحسين بن حمدان فقاتله وهزمه ، وجاء به أسيراً إلى المعتضد ، فسر المعتضد بذلك " وخلع على الحسين بن حمدان ، وطوقه بطوق من ذهب ، وخلع على إخوته ... وأمر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدون ، والتوسعة عليه والإحسان عليه ووعد بإطلاقه "[١] . وكان لحمدان بن حمدون خمسة أبناء هم أبو العلاء سعيد[٢] وإبراهيم[٣] والحسين وداود[٤] وأبو الهيجاء عبدالله[٥] " ، وقد تقلدوا كثيراً من المناصب في داخل بغداد وخارجها "[٦] . وكانت هذه الأسرة الحمدانية على جانب كبير من الشجاعة والبأس والحنكة والكرم ، فقد كان حمدان بن حمدون ثرياً كريماً ، يقري الناس ويساعدهم في سني القحط والحاجة حتى سمي مكابد المحل ، وفي ذلك يقول أبو فراس مفتخراً بكرم أصله : [٧]

أَنَا الْحَارِثُ المُخْتَارُ مِنْ نَسْلِ حَارِثٍ   إِذَاْ لَمْ يَسُدْ فِي النَّاسِ إلا الأَخَايِرُ

---

(١) نفسه : ٦ / ٨١ .

(٢) والد أبي فراس الحمداني .

(٣) إبراهيم بن حمدان التغلبي: أحد الأمراء في أيام المقتدر العباسي. ولاه ديار ربيعة فلم تطل إقامته فيها وعاجلته وفاته..(انظر : الأعلام ، ج١ ص٣٧).

(٤) داود بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي: من أمراء بني حمدان، ومن أشجع الناس، يضرب المثل بشجاعته. (انظر:الأعلام ،ج٢ ص٣٣٢).

(٥) أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون ،أمير وقائد حمداني،ولاه المكتفي الموصل ثم عزله عام ٣٠١هـ ، توفي سنة ٣١٧هـ .(انظر : الأعلام ،ج٤ ص٨٣).

(٦) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : ٢٩ .

(٧) ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، ط٤ ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م ، بيروت ، ص : ١٢٨ ، ١٢٩ ، وقد حققه سامي الدهان وقدم له بشرح مطول ، لكن هذا التحقيق غير موجود في حدود معرفتي ، وقد أشرت إلى ذلك في مقدمة هذا البحث. العُرَاعِر : الشريف.

وَمِنّا الذِيْ ضَافَ الإِمَــامَ وَجَيْشَــهُ   وَلا جُودَ إلا مَا تُضِيفُ العَسَاكِرُ[1]
وَجَدّي الّذِي انْتَاشَ الدّيَارَ وَأَهْلَهَا   وَلِلدّهْرِ نَاْبٌ فِيْهِــمُ وَأَظَاْفِــرُ
ثَلاثَةُ أَعْوَاْمٍ يُكَابِدُ مَحْلَهَـــا   أَشَــمُّ طَوِيْلُ السَّاْعِدَيْنِ عُرَاْعِــرُ[2]
فَآبُوا بِجَدْوَاهُ وَآبَ بِشُكْرِهِــمْ   وَمَاْ مِنْهُمُ فِيْ صَفْقَةِ الْمَجْدِ خَاْسِرُ

قال ابن خالويه : " أراد جده الأدنى : حمدان بن حمدون وذلك أنه عمر بلاد الموصل وديار ربيعة بالمير ثلاثة أعوام تواترت بالمحل ، فسمي " مكابد المحل " ، وقيل : إن الذي وهبه في سنة واحدة : ثلاثة آلاف كر ، والكر يومئذ قيمته ثلاثون ألف دينار ، ووفد عليه فيمن وفد " بنو حبيب " وكانوا أعداءه وأعداء قبيلته ، فساواهم بأقرب عشيرة " [3] .

وإذا كان حمدان بن حمدون قد مهد الطريق لأبنائه نحو السيادة والإمارة ، فقد كان الحسين بن حمدان هو الركيزة العسكرية التي طارت بالأسرة الحمدانية إلى سدة الإمارة ، فقد كان الحسين بن حمدان عصا الخليفة التي يؤدب بها كل خارج على الخلافة ، فقد كان الخليفة " يستغله لقمع كل ثورة تنشب ، سواء أكانت في مشرق أرض الخلافة أم في مغربها "[4] . وأبو فراس في رائيته يشير إلى كفاح عمه الحسين ، وما حققه من انتصارات للخلافة على الخارجين عليها : [5]

وَعَمِّي الَّذِيْ أَرْدَى الْوَزِيْرَ وَفَاتِكَاً   وَمَاْ الْفَاْرِسُ الْفَتَّاكُ إلا الْمُجَاهِــرُ

---

(١) قال ابن خالويه : اجتاز " المعتضد " سائرا إلى حرب "ابن طولون" فتلقاه "حمدان بن حمدون" " بحديثة الموصل " ، فأقام له ولعسكره الميرة مدة مقامه في أعمال "الموصل" و"ديار ربيعة" ، وقاد إليه ، وحمل ما يعظم " (الديوان : ١٢٩) .

(٢) العراعر : الشريف.

(٣) الديــوان : ١٢٩.

(٤) سيف الدولة الحمداني : مملكة السيف ودولة الأقلام ، د.مصطفى الشكعة ، ط٣ الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٤٢٠هـ ـــ ٢٠٠٠م ، ص٣٦ .

(٥) الديوان : ١٣٠ ، ١٣١.

أَذَاقَهُمَــا كَأْسَ الْحِمَامِ مُشَيَّــــعٌ مُثَاْوِرُ غَاْرَاتِ الزَّمَــاْنِ مُسَــاْوِرُ
يُطِيْعُهُمُ مَاْ أَصبْحَ الْعَدْلُ فِيْهُــــمُ وَلاْ طَاْعَةٌ لِلْمَرْءِ وَالْمَرْءُ جَاْئِــرُ
أَذَلَّ تَمِيْمًا بَعْدَ عَشْرٍ وَطَاْلَمَــــاْ أَذَلَّ بِنَا الْبَاْغِيْ وَعَزَّ الْمُجَـــــاوِرُ
وَصَدَّقَ فِي بَكْرٍ مَوَاْعِيْدَ طَيْفِــهِ وَنَوَّرَ بِابْنِ الْغَمْرِ وَالنَّقْعُ ثَاْئِــــــرُ
وأَقْبَلَ بِالشَّاْرِيْ يُقَــاْدُ أَمَاْمَــــهُ وَلِلْقَيْدِ فِيْ كِلْتَاْ يَدَيْهِ ضَفَاْئِــــــرُ
وَشَنَّ عَلَىْ ذِي الْخَاْلِ خَيْلاً تَنَاْهَبَتْ سَمَاْوَةَ كَلْبٍ بَيْنَهَــاْ وَعُــرَاْعِـــرُ

وهذه القصيدة وثيقة تاريخية تنطق بأمجاد بني حمدان ، وما سجلوه من مآثر عسكرية حتى نزلوا منازل الحكم ، واستقلوا بولايــاتهم ، وغــدوا متصرفين فيها . فبعد أن كانوا قوادًا عند الخليفة يــضرب بهــم المنــاوئين والخارجين على الخلافة ، عادوا أمراء على أقاليمهم يضربون الخلافة حيناً ويمدون يد الطاعة للخلافة حيناً ، فهاهو أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان يلــي الموصل سنة ٢٩٣ كأول إمارة لبني حمدان هناك[١] ، ويظل مع الخليفة بين مد وجزر حتى استقر به الأمر في بغداد تحت نظر الخليفة ، فقد كان لأبي الهيجاء مكانة كبيرة عند الخليفة المقتدر بالرغم مما يحاوله من خروج على الخلافة ، لكنهم يبقون قوة عربية تقف في وجه المتنفذين الأعاجم .

---

(١) انظر : الكامل ٦ / ١١١ . يرى الدكتور يوسف بكار أن نواة الدولة الحمدانية بــدأت مــع الحسن (ناصر الدولة) ، سنة ٣١٧هــ ، عندما خلف أباه علــى الموصــل ، وضــم مــع الموصل بلاد ربيعة. انظر : عصر أبي فراس الحمداني ، دورة " أبــو فــراس الحمــداني " مجموعة أبحاث الندوة المصاحبة التي أقيمت في الجزائر عام ٢٠٠٠م ، مؤسسة جائزة عبــد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري ، ص ٥٢ ، مستفاد من الشبكة : رابط الموقــع : http://١٩٩,٢٣٦,٦٦,٦/default.aspx ، ورابــط صــفحة الكتــاب علــى الموقــع : http://١٩٩,٢٣٦,٦٦,٦/readbook.aspx?bid=٣٧&pNumber=٥١

وأبو فراس لا ينسى أن يسجل مآثر عمه أبي الهيجاء وما أسداه للخلافة من اطمئنان بحمايته للحجيج من فتن القبائل ، وقضائه على ثورة يوسف بن الديوداذ أبي الساج فيفخر أبو فراس لذلك كله في وثيقته التاريخية: [١]

وَعَمِّي الَّذِي سُلَّتْ بِنَجْدٍ سُيُوفُـهُ ... فَرَوَّعَ بِالْغَوْرَيْنِ مَنْ هُوَ غَائِـرُ
تَنَاصَرَتِ الأَحْيَاءُ مِنْ كُلِّ وِجْهَـةٍ ... وَلَيْسَ لَهُ إلاَّ مِنَ اللهِ نَاصِـرُ
وَسَـاقَ إِلَى ابْنِ الدَّيْوَدَاذِ كَتِيبَـةً ... لَهَا لَجَـبٌ مِنْ دُونِهَا وَزَمَاجِـرُ
جَلاَهَا وَقَدْ ضَاقَ الْخِنَاقُ بِضَرْبَـةٍ ... لَهَا مِنْ يَدَيْهِ فِي الْمُلُوكِ نَظَائِـرُ

وينظر الخليفة بعين الشكر والامتنان لما يسديه أبو الهيجاء للخلافة من قوة عسكرية تضعضع الخارجين على الخلافة وتقهرهم ، فيقر ناصر الدولة على" ما بيده من أعمال فردى وبازيدي وعلى أقطاع أبيه وضياعه" [٢].

ويبدو أن اعتراف الخليفة بقوة بني حمدان وحاجته إليهم في ضبط مناطق التمرد وحماية الثغور هو الذي جرأهم على الخروج على الخلافة مراراً فظل معهم الخليفة بين الرضي والسخط ، يعزلهم عن ضياعهم ، ثم لا يلبث أن يعيدهم إليها . ففي سنة ٣١٨ هـ عزل ناصر الدولة عن الموصل ووليها عماه سعيد ونصر ابنا حمدان وولى ناصر الدولة ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين ومعها من ديار بكر ميافارقين [٣]. وسعيد هذا هو والد الأمير الشاعر أبي فراس ، كان شجاعاً متمرسًا في القتال مكيناً لدى الخلافة شأنه شأن إخوانه من بني حمدان تصدى لمن أراد قتل الخليفة في قصره ، وحارب المتمردين والخارجين على الخلافة

(١) الديوان : ١٣٣ ، ١٣٤.
(٢) الكامل في التاريخ : ٢٠٧/٦ .
(٣) انظر: نفسه : ٢٠٨/٦ .

والمفسدين في الأرض ممن كان يقطع طريق الحجاج من القبائل المارقين . وأبو فراس يشير إلى ذلك كله في رائيته : [١]

أُولَئِكَ أَعْمَامِي وَوَالِدِيَ الَّـــذي حَمَى جَنَبَاتِ الْمُلْكِ وَالْمُلْكُ شَاغِرُ
بِحَيْــثُ نِسَاءُ الْغَادِرِينَ طَوَالِــقٌ وَحَيْـــثُ إِمَاءُ النَّاكِثِينَ حَرَائِــرُ
لَهُ بِسُلَيْمٍ وَقْعَةٌ جَاهِلِيَّـــــةٌ تُقِرُّ بِهَا قَيْــدٌ وَتَشْهَــدُ حَاجِــرُ
وَأَذْكَتْ مَذَاكِيهِ بِسَرْحٍ وَأَرْضِهَا مِنَ الضَّرْبِ نَارًا جَمْرُهَا مُتَطَايِرُ
شَفَتْ مِنْ عُقَيْلٍ أَنْفُسًا شَتَّهَا السُّرَى فَهَوّمَ عَجْلانٌ وَنَـــوَّمَ سَاهِــرُ
وَأَوَّلُ مَنْ شَدَّ الْمَجِيدُ بِعَيْنِـــهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَدَّ الْكَمِيُّ الْمُظَاهِــرُ
غَزَا الرُّومَ لَمْ يَقْصِدْ جَوَانِبَ غِرَّةٍ وَلا سَبَقَتْهُ بِالْمُــرَادِ النَّذَائِــرُ

ولم يمض على أبي العلاء سعيد في ولايته للموصل سنتان حتى رزق بمولود سماه الحارث عرف بعد ذلك بأبي فراس، " وقد غلبت هذه الكنية على أبي فراس الحارث حتى كاد لا يعرف إلا بها [٢]" . ولد أبو فراس سنة ٣٢٠ من أم رومية[٣] ، وإلى ذلك يشير أبو فراس في شعره ، فيقول : [٤]

وَأَعْمَامِي رَبِيعَةُ وَهْيَ صِيـــدٌ وَأَخْوَالِي بَلَصْفَرُ وَهْيَ غُلْـــبُ

---

(١) الديــوان : ١٣٧ ، ١٣٨.

(٢) أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره ، د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ، مكتبة الأقصى ط١ ١٤٠١هـ ١٩٨١م ، عمان ــ الأردن

(٣) وقد رأى ذلك عدد من الدارسين : انظر : أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره ، ص٧٥ ، ٧٦ . و أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان ، د. محمد حمّود ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ١٩٩٤م بيروت ــ لبنان ، ص٧ ، ٨ . وشعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة ، د. زكي المحاسني ، دار المعارف ط٢ ، بدون تاريخ ، ص٣٢٦.

(٤) الديوان : ٤٩.

ويقول في قصيدة أخرى : [١]

إِذَا خِفْتُ مِنْ أَخْوَاليَّ الْرُومُ خِطَةً   تَخَوَفْتُ مِنْ أَعْمَامِي العَرَبُ أَرْبَعًا

وأبو فراس يشير إلى نسبه في شعره فيفتخر بنسبه التغلبي العربي الأصيل يقول : [٢]

حَمْدَانَ جَدِّي خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى   وَأَبِي سَعِيدٌ فِي المَكَارِمِ أَوْحَدُ

أَعْلَى لَنَا لُقْمَانُ أَبْيَاتَ الْعُــــلا   وَأَنَافَ حَمْدَانٌ وَشَيَّدَ أَحْمَــدُ

يُعْطِي إِذَا ضَنَّ السَّحَابُ تَكَرُّمًــا   وَيُجِيرُ إِنْ جَارَ الْزَّمَانُ الأَنْكَدُ

لقد احتلت أسرة آل حمدان مساحة واسعة من فخريات أبي فراس ولا غرابة في ذلك فهو عندما يشير إلى آبائه وأجداده بما يرى أنهم أهل له من المحامد والمفاخر فهو يشير إلى نفسه التي ورثت هذا المجد فتشربته وعلت به ؛ بما أداه أبو فراس من شجاعته وقوته [٣] ، فقد ألهمته محامد شمخ بها ، بعد أن شمخ بنفسه فلا يحق لأحد أن يفاخر بنفسه ، أو بأهله مع وجود هذه الأسرة ، فقد علا ذكرهم حتى جاوزوا الأفلاك رفعة وسموًا ، بل إن الإنسان لا يستطيع حتى إجالة فكره في مجدهم[٤] :

أَيُّهَا الْمُبْتَغِي مَحَلَّ بَنِي حَمْــ   ــدَانَ مَهْــلاً أَتَبْلُــغُ الْجَــوْزَاءَ

---

(١) الديــوان : ٢٠٩.

(٢) نفســـه : ٩١.

(٣) يجمل فيه قول زهير:

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِّيَ إِلاَّ وَشِيْجُــهُ   وَتُغْرَسُ إِلا فِيْ مَنَابِتِهَا النَّخْــلُ

من قصيدته التي مطلعها :

سَلا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لا يَسْلُو   وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيْقُ فَالثّــقْــلُ

انظر : ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم له الأستاذ على حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م ، بيروت ــ لبنان ، ص٨٧.

(٤) الديــوان : ١٦.

فَضَلُوا النَّاسَ رِفْعَةً وسُمُــــوًّا   وَعَلَوْهُـــمْ تَكَرُّماً وَوَفَـــــاءَ
يَا مُجِيلَ الأَفْكَارِ فِيهِمْ إِلَى كَــمْ   تُتْعِبُ النَّفْسَ هَلْ تَنَالُ السَّمَــــاءَ
أُسْرَتِي لاَ أَقُولُ فَخْرًا سَــــرَاةٌ   حَسْبُهمْ ذَاكَ مَفْخَــراً وَسَنَــــاءَ

على مجد بني حمدان تفتحت عينا أبي فراس فهو من أسرة عريقة بأساً وشجاعة وكرماً ورفداً .

غير أن أبا فراس لم ينعم بحنو أبيه أمير الموصل فلم يمض له ثلاث سنوات من ولادته حتى قتل ناصر الدولة أباه أبا العلاء سعيد ، فقد تولى أبو العلاء سعيد ولاية الموصل سنة ٣١٨هـ بعد أن عزل ناصر الدولة عنها وأحس ناصر الدولة بتواطؤ عمه سعيد على عزله فقتله سنة ٣٢٣هـ واستعاد ولاية الموصل[١] .

لم يكن مقتل أبي العلاء سعيد ليشكل معضلة كبيرة في نشأة أبي فراس ، إذ رزق بأم استطاعت أن تشق له طريق المجد وسط العقبات والمصاعب ، ساعدها على ذلك نباهة أبي فراس وقدراته المركوزة التي تشربها من نسبه الكبير، فقد " عنيت به وأحضرت له المعلمين في صباه ، ولم يلبث ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة الحمداني أن اشترك مع الأم في العناية والرعاية حتى إذا اقتطع لنفسه حلب وبعض ثغور الشام انتقل إليها ومعه أسرته سنة ٣٣٣ ومعه أبو فراس الذي كفله وقام على تربيته فارساً وأديباً خير قيام "[٢] . ومن حلب بدأت مرحلة جديدة في حياة شاعرنا " كان لها أكبر الأثر في مجرى حياته اجتماعياً وأدبياً وسياسياً "فقد أصبح الشخصية الثانية في المجتمع الحمداني بعد الأمير سيف الدولة"[٣] . ولا شك

---

(١) الكامل في التاريخ : ٦ / ٢٤٨.

(٢) عصر الدول والإمارات " الشام" ، د.شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢ ، بدون تاريخ ، القاهرة ، ص٢٢٣ .

(٣) أبو فراس الحمداني حياته وشعره : ٨٨ ، نقلا عن مقدمة ديوان أبي فراس ، تحقيق : سامي الدهان.

أن هذه البيئة الجديدة قد أعطته بعداً جديداً فروسية وأدباً ، فقد نهل من مدرسة سيف الدولة فكراً وأدبا منذ صغره " إذ قضى معظم سني حياته في تلك البيئة الحلبية التي تميزت عن غيرها من البيئات الأخرى وخاصة من حيث الناحية الأدبية والفكرية ، بحيث كانت أرقى البيئات في العالم الإسلامي آنذاك ، وذلك بما خلفه فيها سيف الدولة من نشاط أدبي كان له الأثر الكبير في حياة الشاعر الحمداني وشعره "[١] .

وقد أشار الثعالبي إلى هذه الحياة الفكرية والأدبية عند حديثه عن سيف الدولة الحمداني ، فقال : " وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومهبط الرجال ، وموسم الأدباء وحلية الشعراء، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك – بعد الخلفاء – ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر "[٢] .

ولا شك أن فروسية سيف الدولة وحبه للأدب والفكر وتقديمه لأبي فراس واصطحابه إياه وإجلاسه في مجالسه منذ صغره كانت مؤثراً قوياً في أدب أبي فراس وشعره ، إضافة للعنصر الحمداني الذي كان يجري في عروق أبي فراس مجرى الدم ، عوامل هيأت للشاعر أن يبرز وأن يتقدم ، وسيف الدولة كان يتوسم في أبي فراس مخايل الشجاعة والفروسية منذ صغره فأعده إعداداً متكاملاً " ففي الأدب والفكر أحضر له المؤدبين والمثقفين أمثال ابن خالويه الذي كان مؤدبًا لبني حمدان ومختصًا بهم "[٣] . وسيف الدولة عندما يعد أبا فراس هذا الإعداد الفكري والأدبي منذ صغره فإنما كان ذلك لما لمسه من مواهب اختص بها " فسيف الدولة كان يعجب

---

(١) أبو فراس الحمداني " حياته وشعره " : ٨٨.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ط١ ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ، بيروت ــ لبنان ج١ ص٣٧.

(٣) أبو فراس حياته وشعره : ٨٨.

جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ويستخلفه على أعماله"[١] .

ولهذا "عد سيف الدولة مثقف أبي فراس ومنبته ومخرجه وموقفه على سننه العادلة وآثاره الفاضلة "[٢] . لقد كان سيف الدولة ذا فراسة عالية ونظر ثاقب ، وبالمقابل فقد استفاد أبو فراس من مواهبه وتميزه فصعد بنفسه إلى المعالي مستفيدًا من قرب سيف الدولة وتقريبه . وأبو فراس لا ينكر ذلك بل يعترف باليد الطولى لسيف الدولة الذي كان أبًا ثانياً لأبي فراس ، يقول أبو فراس في ذلك :[٣]

هَيْهَاتَ أَجْحَدُ النَّعْمَاءَ مَنْعِمُهَا خَلَفْتَ يَا ابنَ أَبِي الهَيْجَاءِ فِيَّ أَبِي

ونفسه الكريمة تأبى الجحود وتعترف بالفضل وتقر بالإنعام:[٤]

عَلَيَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلْكِ أَنْعُمٌ أَوَانِسُ لاَ يَنْفِرنَ عَنِّي رَبَائِبُ

أَأَجْحَدُهُ إِحْسَانَهُ بِيَ إِنَّنِي لَكَافِرُ نُعْمَى إِنْ فَعَلْتُ مُوَارِبُ

فقد منحه سيف الدولة كل فرص التقدم والبروز حتى صار "ألمع الشخصيات في بلاط حلب ، وكان سيف الدولة يقدر فروسيته وشعره فيجري عليه ألف دينار كل سنة "[٥] . وسيف الدولة عندما اختصه بالتأديب والتثقيف فليس لشاعريته فقط ، وإنما لأنه رأى فيه الأدب والفروسية .

إن خصائص السيادة التي كان يتمتع بها سيف الدولة الحمداني من أدب وشجاعة وكرم وهيبة وقدرة على اصطفاء الرجال ووضعهم في

---

(١) يتيمة الدهر ج١ ص٥٧ .

(٢) أبو فراس حياته وشعره : ٨٩.

(٣) الديوان : ٦٢.

(٤) نفسه : ٤١ ، ٤٢.

(٥) شعر الحرب في أدب العرب : ٣١٢ ، ٣١٣ .

الأماكن اللائقة بهم قد كونت شخصية فذة كان لها دورها وأثرهـا الأدبـي والسياسي في حنايا الدولة الحمدانية في حلب ومنبج وحمص وغيرها .

وقد أدرك سيف الدولة أن أبا فراس هو الرجل المناسب الذي يمكن أن يعتمد عليه في مهام الدولة الكبرى ، فقلده منبج وما حولها من القلاع ، وكان سن أبي فراس وقتئذ ست عشرة سنة وذلك سنة ست وثلاثين وثلاث مئة كما أشار إلى ذلك ابن العديم[١] .

لقد تحمل أبو فراس أعباء الولاية بما تحمله من هموم المواجهة مع الروم الذين كانوا يتربصون بتلك الإمارة الناشئة ، فشارك ابن عمه سـيف الدولة حروبه مع البيزنطيين ، فكان أول غزو له مع سيف الدولة سنة ٣٣٩، فكان فارساً شجاعاً . ثم قاد الحملات فكان قائداً مظفراً مهيباً ، وفي سـنة ٣٤٠ انتدبه سيف الدولة لبناء "رعبان" ، وقتال قسطنطين ابن الدمستق فـرد قسطنطين وابتنى رعبان ، واصطحبه سيف الدولة في غزواته داخل بـلاد الروم ، وأسند إليه مهاما قتالية خطيرة كان يخرج منها منتصراً [٢]. وأبـو فراس يشير إلى مواقفه العظيمة في بناء رعبان ، وما تبعه من معارك مـع الروم ، كادت تعصف بالمسلمين لولا ثبات أبي فراس وبلائه في القتال[٣] :

أَلاَ هَلْ مُنْكِرٌ يَا ابْنَيْ نِـزَارٍ مَقَامِـي يَوْمَ ذَلِكَ أَوْ مَقَالِـي
أَلَمْ أَثْبُتْ لَهَا وَالْخَيْلُ فَوْضَـى بِحَيْثُ تَخِفُّ أَحْلاَمُ الرِّجَـالِ
تَرَكْتُ ذَوَابِلَ الْمُرَّانِ فِيهَـا مُخَضَّبَةً مُحَطَّمَةَ الأَعَالِـي
وَعُدْتُ أَجُرُّ رُمْحِي عَنْ مَقَامٍ تُحَدِّثُ عَنْهُ رَبَّاتُ الْحِجَـالِ

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، الصاحب كمال الدين أبو الصاحب عمر بن أحمد بن هبة الله " ابن العديم " الحلبي الحنفي ، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م ، بيروت ــ لبنان ، ص٧٢ .

(٢) انظر : أبو فراس حياته وشعره : ٩٢ .

(٣) الديوان : ٢٧٠ ، ٢٧١.

وكان أبو فراس يعتب على سيف الدولة عندما يغزو ولا يصطحبه ، فقد خرج سيف الدولة في إحدى غزواته ولم يأذن لأبي فراس في السير معه فعز ذلك على أبي فراس فقال[١] :

دَعِ الْعَبَرَاتِ تَنْهَمِرُ انْهِمَــارَا   وَنَارَ الْوَجْدِ تَسْتَعِــرُ اسْتِعَــــارَا
أَتُطْفَأُ حَسْرَتِي وَتَقَرُّ عَيْــنِي   وَلَمْ أُوقِدْ مَعَ الْغَازِينَ نَــــارَا
رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَبْعَدَ مَا يُرَجَّــى   إِذَا مَا الْجَيْشُ بِالْغَازِينَ سَــارَا

وعندما يستخلفــه سيف الدولة على الشام ويخرج للغزو يجد فــي نفسه مرارة أن يبقى بعيداً عن سيف الدولة ، فالشام قد كفاها مهابة الأمير أن يقتحمها أعداؤها : [٢]

لاَ تَشْغَلَنِّي بِأَمْرِ الشَّــامِ أَحْرُسُــهُ   إِنَّ الشَّآمَ عَلَى مَنْ حَلَّــهُ حَرَمُ
فَإِنَّ لِلثَّغْرِ سُوراً مِنْ مَهَابَتِــــهِ   صُخُورُهُ مِنْ أَعَادِي أَهْلِهِ قِمَمُ
لاَ يَحْرِمَنِّيَ سَيْفُ الدِّينِ صُحْبَتَــهُ   فَهْيَ الْحَيَاةُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا النَّسَمُ

فأبو فراس لا تهدأ نفسه ، ولا تقر للسكون والدعــة ، فهــو أميــر وفارس لا يهاب الموت ، بل يتقحمه تقحماً : [٣]

سَلِي فَتَيَاتِ هَذَا الْحَيِّ عَــنِّي   يَقُلْــنَ بِمَا رَأَيْــنَ وَمَا سَمِعْنَــهْ
أَلَسْتُ أَمَدَّهُمْ لِــذَوِيَّ ظِــلاً   أَلَسْتُ أَعَدَّهُــمْ لِلْقَــوْمِ جَفْنَــهْ
وَأَثْبَتَهُمْ لَدَى الْحَدَثَانِ جَأْشــاً   وَأَسْرَعَهُمْ إِلَى الفُرْسَــانِ طَعْنَــهْ

ولم تكن الروم هي المصدر الأوحد لإزعاج إمارة ســيف الدولــة المتربصة بها ، فقد كان هناك جبهة داخلية تحاول إضعاف سيف الدولــة ، والقضاء على مملكته.

---

(١) الديــوان : ١١٩.
(٢) نفســـه : ٣٠٠.
(٣) نفســـه : ٣٢٦.

لقد كانت القبائل العربية داخل الإمارة الحمدانيـــة مـــصدر إزعـــاج لسيف الدولة ، فلم يكن سيف الدولة يهدأ من مطاردة الخارجين عليه حتـــى تظهر له قبيلة متمردة أو ثائرة ، فمن ذلك ما قاله أبو فراس، إذ يقول : " كل موقف لسيف الدولة شريف وهذه الحالة التي أشرحها كالمعجزة ذلك أنا سرنا إلى ديار مضر؛لأن قبائل كعب شمخت واستفحل أمرها ، فلما عبرنا الفرات هربوا وأمرني باللحاق بهم وردهم إلى الطاعة ، ففعلت ذلك وأخذت رهائنهم فكتب إلى أبو محمد الفياض الكاتب بحضرة سيف الدولة شعراً : فقال :

أَصلَحْتَ أَمْرَ عَقِيْــــــلٍ   وَسُسْــتَ أَمْــرَ قُشَــــيْرِ
وكُنْتَ أَيْمَنَ خَلْــــــــفٍ   عَلَــى خِــلاَلِ نُمَـــــيْرِ
فَــلاَ تَـــــزَالُ نِــــــزَارٌ   مَا دُمْتَ فِيهَــا بِخَـــــيْرِ"[1]

كان أبو فراس السيف الذي يضرب به سيف الدولة مناوئيه ، فيخمد ثورتهم ويكف بأسهم ، وكان يجد في ذلك اللذة والمتعة ؛ لأنه الفارس الكمي الذي لا يهاب ، وهو سليل الفرسان الذين رجفت الشام من بطشهم وقوتهم : [2]

ارْمِ الْكَتَائِبَ بِي فَإِنَّكَ عَالِـــــمٌ   أَنِّي أَخُو الْهَيْجَاءِ غَيْرُ مُذَمَّـمِ
وَعَلاَمَ لاَ أَلْقَى الْفَوَارِسَ مُعْلَمًـا   وَعُلُوُّ جَدِّكَ عُدَّتِي وَعَرَمْرَمِي
أَنَا سَيْفُكَ الْمَاضِي وَلَيْسَ بِقَاطِــعٍ   سَيْفٌ إِذَا مَا لَمْ يُشَدَّ بِمِعْصَـــــمِ

عرف سيف الدولة شجاعته ودربته في القتال ، فما زال يرمي بـــه كل مخالف . وشعر أبي فراس سجل حافل لهذه الوقائع ، يقول في ذلك : [3]

وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَــــــا   كَمَا هَيَّجْتَ آسَــاداً غِضَابَــــا
أَسِنَّتُــهُ إِذَا لاقَى طِعَانًــــــــا   صَوارِمُــهُ إِذَا لاَقَى ضِرَابَــا
دَعَانَا وَالأَسِنَّــةُ مُشْرَعَـــــاتٌ   فَكُنَّـا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَـــا

---

(١) الديـــوان : ١٤١.
(٢) نفســــه : ٣١٥ ، ٣١٦.
(٣) نفســــه : ٣٣ ، ٣٤.

صَنَائِــعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَــتْ وَغَرْسٌ طَابَ غَارِسُــهُ فَــطَابَا

ويصف أبو فراس مطاردته للمتمردين تحت قيادة سيف الدولة ، فلا تهدأ له نفس حتى يفيء الخارجون ويلقون بمقاليد أمرهم إلى سيف الدولة ، وإلا فإن السيف هو الفيصل بينهم يعيد الحقــوق اغتــصاباً حــين لا ينفــع السلم[(١)]:

دِيَارُهُمُ انْتَزَعْنَاهَا اقْتِسَــــاراً وأَرْضُهُمُ اغْتَصَبْنَاهَــا اغْتِصَابَا

ولَوْ شِئْنَا حَمَيْنَاهَا البَــــوَادِي كَمَا تَحْمِي أُسُودُ الْغَابِ غَابَــــا

إِذَا مَا أَنْفَذَ الأُمَرَاءُ جَيْشــــــاً إِلَى الأَعْدَاءِ أَنْفَذْنَــا كِتَابَــــــا

أَنَا ابْنُ الضَارِبِينَ الْهَامَ قِدْمــاً إِذَا كَرِهَ الْمُحَامُونَ الضِّرَابَــــا

أَلَمْ تَعْلَمْ ؟ وَمِثْلُكَ قَالَ حَقًّــــا بَأَنِّي كُنْتُ أَثْقَبَهَــا شِهَــــابَــــا

وهكذا ظل أبو فراس جندياً في كل ساحة معركة ، يسير جنباً إلــى جنب مع سيف الدولة ، ويرمي به سيف الدولة أحياناً فيقوم مقامه في النصر والتمكين ٠

على أن حياة أبي فراس في ظل سيف الدولة لم تكن كلهــا نــزالاً وعراكاً مع الأعداء فسيف الدولة شاعر وأديب ومحــب لمجــالس الفكــر والأدب، فقد " كان قصره يضم مكتبة كبيرة زاخرة بأسباب المعرفة وأدوات الإطلاع "[(٢)] ، وكان مجلس سيف الدولة يــضم ألمــع الأدبــاء واللغــويين والشعراء ، " والناس يسمون عصره وزمانه الطراز المذهب لأن الفــضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت مثلهم بعدهم ، خطيبه ابــن

---

(١) الديــوان : ٣٧.

(٢) سيف الدولة الحمداني : مملكة السيف ودولة الأقلام : ٢٠٤ .

نباته[1] ، ومعلمه ابن خالويه[2]، وطباخه كشاجم[3]، والخالديان[4] كاتبـــاه ، والمتنبي والسلامي[5] والوأواء[6] والببغاء[7] وغيرهم شعراؤه"[8] ، وإذا كان هذا مجلس سيف الدولة ، فحري بأبي فراس الشاعر أن ينهل من هذا ، وأن يفيد منه ، ليس فقط ممن كان يغشاه من الشعراء والأدباء ، بل مـــن ســـيف

(1) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل ابن نباتة الفارقي، أبو يحيى : صاحب الخطب المنبرية . كان مقدما في علوم الأدب. توفي بحلب. (الأعلام : ٣ / ٣٤٧ ، ٣٤٨) .

(2) **الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغوي، من كبار النحاة، عهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. توفي في حلب.** (الأعلام : ٢ / ٢٣١) .

(3) **محمود بن الحسين (أو ابن محمد بن الحسين) ابن السندي بن شاهك، أبو الفتح الرملي، المعروف بكشاجم: شاعر متفنن، أديب، من كتاب الانشاء. كان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله (والد سيف الدولة) بن حمدان، ثم ابنه سيف الدولة.**
(الأعلام : ٧ / ١٦٧ ، ١٦٨) .

(4) **محمد بن هاشم وسعيد بن هاشم : شاعران أديبان، من أهل البصرة. اشتهرا بالخالديين. وكانا من خواص سيف الدولة ابن حمدان. وولاهما خزانة كتبه.كانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة فتنسب إليهما معا.** (انظر : الأعلام : ٧ / ١٢٩).

(5) أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي ، من أشعر أهل العراق ، ولد في بغداد سنة ٣٣٦هـــ ، تنقل بين البلدان مادحا للولاة والأمراء ، وتوفي سنة ٣٩٤هـــ.
(انظر في ترجمته و شعره : يتيمة الدهر : ج٢ ص ٤٦٦ ــ ٥٠٦).

(6) **محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، أبو الفرج، المعروف بالوأواء: شاعر مطبوع، حلو الالفاظ: في معانية رقة. كان مبدأ أمره مناديا بدار البطيخ في دمشق.** (الأعلام : ٥ / ٣١٢).

(7) **عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، أبو الفرج المعروف بالببغاء: شاعر مشهور، وكاتب مترسل ، من أهل نصيبين ، اتصل بسيف الدولة، ودخل الموصل وبغداد. ونادم الملوك والرؤساء.**
(الأعلام : ٤ / ١٧٧).

(8) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق واعتناء ، أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ١٤٢٠هـــ ــــ ٢٠٠٠م ، لبنان ، ج٢٠ ، ص ٢٩٢٢ .

الدولة نفسه وهو الأديب و الشاعر . ولا شك أن أبا فراس قد أفاد من مجلس سيف الدولة ومن مجالسته أيضاً ، فقد كان أبو فراس يوماً بين يدي سـيف الدولة في نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة : أيكم يجيز قولي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) :

لَكَ جِسْمِي تُعِلُّـــهُ   فَدَمِـي لِمْ تُحِلُّـــهُ

لَكَ مِنْ قَلْبِيَ الْمَكَـا   نُ فَلِـمَ لاَ تَحُلُّـــهُ

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أَنَا إِنْ كُنْتُ مَالِكًـا   فَلِـيَ الأَمْـرُ كُلُّـهُ

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمنبج تغل ألفي دينار في كل سنة "[١] .

وقال ابن خالويه: وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج : " هذا كتابي أطال الله بقاء مولانا الأمير سـيف الدولة من منزلي وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل البطن والظهر وقـراً وشكراً ٠ واستحسن الأمير بلاغته ووصف براعته ٠ فكتب إليه أبو فراس لما اتصل به ذلك .

وقال هذه الأبيات عند قدوم سيف الدولة إلى منبج ، فحمل إليـه هـدايا وألطافـا وودعه إلى ولايته ، فكتب إليه من المنزل بهذه الأبيات :[٢]

هَـلْ لِلْفَصَاحَةِ وَالسَمَـا   حَـةِ وَالْعُلَى عَـنِّي مَحِيـدُ

إِذْ أَنْتَ سَيِّـدِي الَّـذِي   رَبَّيْتَنِي وَأَبِـي سَعِيـدُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْتَفِيـ   ـدُ مِنَ العَـلاَءِ وَأَسْتَزِيْـدُ

وَيَزِيـدُ فِـيَّ إِذَا رَأَيْـ   ـتُكَ فِي النَّدَى خُلُـقٌ جَدِيدُ

---

(١) انظر : الديوان : ٢٦٠ ٠

(٢) نفسـه : ٩٥.

وكان مجلس سيف الدولة يحفل بالشعراء ، وما دام كذلك فإنه " لم يكن أمراً طبيعياً أن يعيش هذا العدد الضخم من الشعراء والأدباء في بلاط واحد يظلهم الوئام ويرفرف عليهم علم الوفاق، فكل منهم ينشد أن يفوز بقلب الأمير وأن يكون فارسه الأوحد المقرب إليه حتى ينال من العطف والعطاء أكثر مما ينال غيره ، ومن هنا نشأت المشاحنات وتعددت المعسكرات ... فهناك الخلاف الشديد بين كل من أبي فراس والمتنبي ولكل منهما أحباء وأنصار فالجبهة الأولى على رأسها أبو فراس وجناحاها ابن خالويه وأبو العشائر ، والجبهة الثانية زعيمها المتنبي وجناحاها ابن جني وأبو العباس النامي ، ويعمد كل فريق منهما إلى الكيد للآخر، وينتصر فريق أبي فراس في أغلب الأحيان نظراً لمكانته من سيف الدولة ومكانة ابن خالويه لدى الأمير لأنه أستاذه ومعلم أبنائه"[(١)].

وهكذا عاش أبو فراس في ظل سيف الدولة فارساً لا يشق له غبار في ميداني المواجهة العسكرية والمواجهة الأدبية ، محارباً أبياً في ميدان المواجهة مع الروم من جهة ، وشاعراً في ميدان الأدب والشعر في مجلس سيف الدولة من جهة أخرى . لكن الأقدار تشاء أن يترجل فارس الحرب عن مواجهته ويبرز فارس الشعر في أدبه ، ففي سنة ٣٥١هـ "سار الدمستق إلى حلب ولم يشعر به المسلمون لأنه كان قد خلف عسكره بقيسارية ودخل بلادهم ولم يعلم به أحد ودخل مدينة حلب وكانت معارك شديدة تمكن الروم فيها من حلب ، وفي نفس هذا العام في شوال منه أسرت الروم أبا فراس بن سعيد بن حمدان من منبج "[(٢)] وذلك أن " بودرس الأرسطو أطيفوس بن مرديس البطريق قد خرج في ألف فارس من الروم إلى نواحي منبج فصادف الأمير أبا فراس يتصيد في سبعين فارساً فأراده

---

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : ١٢٤ .

(٢) الكامل ٨/٥٤٥ .

أصحابه على الهزيمة فأبى وثبت حتى أثخن بـالجراح وأسـر "[١]. قـال الثعالبي: "لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب وأصابته عين الكمـال أسـرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح وقد أصابه سهم بقي نصله في فخـذه ، وحمل مثخناً بخرشنة ثم بقسطنطينية وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة "[٢] . وعندما حط أبو فراس ركابه في خرشنة أسيراً تذكر بطولاته وغاراته على تلك المدينة فقال [٣]:

إِنْ زُرْتُ خَرْشَنَةً أَسِـيْرًا ـ فَلَكَمْ أَحَطْتُ بِهَا مُغِـيرَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّـارَ تَنْـ ـ ـتَهِـبُ الْمَنَازِلَ والقُصُـورَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّبَيَ يُجْـ ـ ـلَـبُ نَحْوَنَا حُوّاً وَحُـورَا
مَنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَبِـتْ ـ إلاَّ أَسِـيرًا أَوْ أَمِـيرَا
لَيْسَـتْ تَحُـلُّ سَرَاتُنَـا ـ إلاَّ الصُّـدُورَ أَو الْقُـبُورَا

ويظهر لي في هذه الأبيات ثقته في افتداء سيف الدولة له ، وافتكاكه من الأسر ففي قوله : " إن زرت خرشنة أسيراً " إشارة إلى ذلك ، فالزيارة يعقبها عودة ورجوع لا مكث وبقاء ، وقد عاد من أسره كما أمل ، لكن بعد طول انتظار ومعاناة ، فقد مكث في السجن بضع سنين ، فقد ذكر ابن كثير في أحداث سنة خمس وخمسين وثلاث مئة (٣٥٥) أنه " وقع الفداء بين سيف الدولة وبين الروم فاستنقذ منهم أسارى كثيرة ، منهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان ، وأبو الهيثم بن حصين القاضي وذلك في رجب منها "[٤] . لقد بقي أبو فراس مأسوراً لدى الروم أكثر من أربع سنوات ، وهـو أسـر طويل يجعل المتأمل يرتاب من موقف سيف الدولة الذي دعاه إلى ترك فداء

---

(١) الديوان : ٩٦ .

(٢) يتيمة الدهر : ١ / ٨٥ .

(٣) الديوان : ١١٦.

(٤) البداية والنهاية : جـ١١ ، ص٢٧٧ – ٢٧٨ .

أبي فراس قائده الشجاع وشاعر بلاطه المبدع ، فهناك من يرى أن سيف الدولة قد ترك فداء أبي فراس عمداً وأن قلبه كان متغيراً عليه وأن الصفاء الذي كان يسود علاقتها شابه شيء من الكدر والجفاء بدليل ما نجده في شعر أبي فراس من عتاب كثير لابن عمه [١] ، في حين يرى الدكتور شوقي ضيف أن السبب وراء التأخير" أن سيف الدولة يريده فداء عاما له ولكل من معه من المسلمين ممن وقعوا قهرا في شراك الروم"[٢].

ومهما يكن من أمر الأسر وما أحاط بتأخر فداء أبي فراس من أسباب ، فإن شعر أبي فراس في معتقله قد امتزج بقدر كبير من العتاب والأسى والاعتداد بالنفس وذكر الحسنات ، فقد خلف لنا في " رومياته " خلاصة تجربة مريرة وفن راق لولا الأسر ما أمتع الأدب العربي بها ، فقد " جرت شعراً على لسانه إلى ابن عمه سيف الدولة وأبنائه وأمه وهي ضرب من الأدب الرفيع والفن الخالد الذي ينم عن نفس شاعرة وقلب مرهف الحساسية صافي الوجدان "[٣]. لقد خرج من ترف الإمارة إلى ذل الأسر وخرج من عناية الأهل ومجالسة الندماء إلى مقابلة العدو المستكبر ، وإنها لحياة أليمة وتجربة قاسية " فجرت من نفسه عيوناً وخلدته على الزمان فيها شكوى العليل الذي لا يحس حوله بعطف قريب أو عناية حبيب ، تطول عليه الساعات،وتمتد به الأيام وتتأخر عنه الكتب فيشتاق منازل الشباب وملاعب الصبا ، ثم يقول : وفيها ما ليس في الأدب العربي كله "[٤] . لقد كان أبو فراس في منفاه يخاطب قلبين : قلب والدته التي يحاول أن يجملها بالصبر وأنى لقلب أمٍّ أن يصبر على فراق فلذة كبدها ووحيد دهرها ، الذي تركت

---

(١) انظر: شاعر بني حمدان ، د. أحمد أحمد بدوي ، مطبعة لجنة البيان ، ط٢ ١٩٥٢م ، مصر ، ص٧٢ – ٧٣ .

(٢) عصر الدول والإمارات " الشام" ، ص٢٢٤ .

(٣) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص ٥٢٩ .

(٤) شعر أبي فراس الحمداني "دراسة فنية" ، ماجدولين وجيه بسيسو ، ط١ ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م ، ص١٢٣ ، ١٢٤، منقولا من : مقدمة ديوان أبي فراس لسامي الدهان .

كل شيء من أجله لتراه في أشد سني عمرها حاجة له وقد غالته يد الأسـر وقذفت به خلف قضبان العدو المتربص المصاب من أسيره . يحـاول أبـو فراس أن يتجلد فلا يلبث أن يبث شكاته ويبدي ألمه ويشرح معاناته[١] :

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعَزَاءُ جَمِيـلُ   وَظَنِّي بِأَنَّ اللهَ سَوْفَ يُدِيـلُ
جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الأُسَـاةُ مَخُوفَـةٌ   وَسُقْمَانِ : بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيـلُ
وَأَسْرٌ أُقَاسِيهِ وَلَيْـلٌ نُجُومُـهُ   أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَهُنَّ يَزُولُ
تَطُولُ بِي السَّاعَاتُ وَهْيَ قَصِيرَةٌ   وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لاَ يَسُرُّكَ طُولُ

ويعرض بسيف الدولة ومن كان حوله ممن تناسوا أبا فراس وحياته معهم ودفاعه عنهم[٢] :

تَنَاسَانِي الأَصْحَابُ إِلاَ عُصَيْبَـةً   سَتَلْحَقُ بِالأخْرَى غَـدًا وَتَحُـولُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْعَهْدِ؟ إِنَّهُمْ   وَإِنْ كَثُرَتْ دَعْوَاهُمُ لَقَلِيـلُ
أُقَلِّبُ طَرْفِي لاَ أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ   يَمِيلُ مَعَ النَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيـلُ

ويتجه مرة أخرى لأمه يواسي مصابها ويضمد جراحها ، فيذكر لها نماذج أصيبت وصبرت وتخلى عنها أقرب الناس لها فما التفتت ، فالـصبر عاقبته نجح وأجر .

ويلتفت في آخر القصيدة إلى القلب الآخر الذي ظل يخاطبه ويرجو عنده الخلاص والفداء ، فظنه ورجاؤه معقودان بما يبذله سيف الدولة مـن خلاصه[٣] :

وَمَا دَامَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْقَرْمُ بَاقِيًـا   فَظِلُّكِ فَيَّاحُ الْجَنَـابِ ظَلِيـلُ
عَسَاهُ وَقَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِفَضْلِـهِ   يَجُودُ بِتَخْلِيصِي لَكُمْ وَيُنِيـلُ

---

(١) الديـوان : ٢٥٢ ، ٢٥٣.
(٢) نفسـه : ٢٥٣.
(٣) نفسـه : ٢٥٥.

فإِمَّا حيَاةٌ فِي فِنَاهُ عَزيــــــــزَةٌ   وَإِمَّا ممَـــاتٌ فِي ذُرَاهُ جَمِيــــلُ

ويظل أبو فراس يلح على سيف الدولة بالفداء وإطلاق سراحه تارة بذكر شجاعته وبأسه وشدته على أعدائه وأنه لا يسد مكانه :[١]

أَعْزِزْ عَلَيّ بِأَنْ يُخَلَّ بِمَوْقِفِــــيْ   وَيُحَلَّ بَــيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ مَكَانِــــي

مَا زِلْتُ أَكْلأُ كُلَّ ثَغْــرٍ مُوْحِشٍ   أَبَدًا بِمُقْلَــةِ سَاهِــــرٍ يَقْظَــــانِ

سَـــلاَّكِ كُلِّ عَظِيْمَةٍ وَرَّادِهَـــــا   ضَرَّابِ هَامَـــاتِ الْعِــدَا طَعَّانِ

إِنْ يَمْنَعِ الأَعْدَاءُ حَدَّ صَوَارِمِـــي   لا يَمْنَعِ الأَعْدَاءُ حَــدَّ لِسَانِـــــي

ونجد أبا فراس يستعطف سيف الدولة تارة أخرى بذكر ما يلاقيه من ألم وتعب ومرض[٢] :

هَلْ تَعْطِفَــانِ عَلَى الْعَلِيْــــلِ   لا بِالأَسِـــــيْرِ وَلا الْقَتِيْلِ

بَاتَـــتْ تُقَلِّبُـــــهُ الأَكُــــ   فُّ ، سَحَابَةَ اللَيْــلِ الطَّوِيْـــــلِ

يَرْعَى النُّجُومَ السَّائِــــرَا   تِ مِنَ الطُّلُوعِ إِلى الأُفُــــولِ

ويذكّر سيف الدولة بما كان عليه آباؤهم من شجاعة وإقدام ، وأنهم ماتوا على ظهور الخيل لا في أصفاد الأسر ، وهو يريد أن يموت مـــثلهم ، وإلا فإن الحياة والأسر لا تعني عنده شيئاً[٣] :

دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّــــدِ   لَدَيَّ وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيــلِ الْمُشَـــــرَّدِ

وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِالْحَيَاةِ وَإِنَّهَـــــا   لأَوَّلُ مَبْذُولٍ لأَوَّلِ مُجْتَــــــــدِ

وَمَا الأَسْرُ مِمَّا ضِقْتُ ذَرْعاً بِحَمْلِهِ   وَمَا الْخَطْبُ مِمَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ: قَدِ

وَلَكِنَّنِي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِيْ أَبِـــيْ   عَلَى صَهَوَاتِ الْخَيْلِ غَيْرَ مُوَسَّدِ

---

(١) الديــوان : ٣٤١.

(٢) نفســـه : ٢٧٣.

(٣) نفســـه : ٩٦.

وَتَأْبَىْ وَآبَىْ أَنْ أَمُوتَ مُوَسَّـــــدًا   بِأَيْدِي النَّصَارَى مَوْتَ أَكْمَدِ أَكْبَدِ

وتارة يستعطف سيف الدولة بذكر ما وصلت إليه أمه من ألم وحسرة على فراق ولدها الوحيد[1] :

يَا حَسْــرَةً مَا أَكَــادُ أَحْمِلُهَــا   آخِرُهَــا مُزْعِجٌ وَأَوَّلُهَـــــا

عَلِيلَــةٌ بِالشَّــآمِ مُفْـــــــرَدَةٌ   بَاتَ بِأَيْدِي الْعِـدَا مُعَلِّلُهَـــا

تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُـــــرَقٍ   تُطْفِئُهَا وَالْهُمُـومُ تُشْعِلُهَـــا

إِذَا اطْمَأَنَّتْ وَأَيْنَ أَوْ هَــــدَأَتْ   عَنَّتْ لَهَــا ذِكْرَةٌ تُقَلْقِلُهَـــا

تَسْأَلُ عَنَّا الرُّكْبَانَ جَاهِـــــدَةً   بِأَدْمُعٍ مَا تَكَــادُ تُمْهِلُهَـــــا

وما زال يبعث الرسائل الأليمة والشكاوى المريرة إلى سيف الدولة مستعطفا له عاتباً عليه تأخره ، وأنه كان يفدي سيف الدولة بنفسه وما زال، فلم يقابله سيف الدولة بهذا النكران؟! :

أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ النَّفْسِ فِيمَا تُرِيدُهُ   أُثَابُ بمُرِّ الْعَتْبِ حِينَ أُثَــــابُ

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيــــرَةٌ   وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَــابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِــرٌ   وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَـــرَابُ

لقد امتلأت روميات أبي فراس بشكوى الزمان ، والعتب على الأحبة والإخوان وخاصة سيف الدولة الذي كان أمل الشاعر فيه مقدماً علـى كـل إنسان سواه ، فلما أن رآه قد لاذ بالصمت عن مأساته أخذ يكتب لأمه مصبراً إياها ومعرضاً بأقاربه الذين تركوه نهب الأسى والحزن. وتمضي الأيام بأبي فراس في سجنه ، وسيف الدولة محاصر بين رسائل أبي فراس وإلحاح أمه. وقد تم له ما أراد من الفداء بعد أربع سنوات في الأسر ، فـ"في سنة ٣٥٥ يتفق الروم وسيف الدولة على اللقاء لفداء أسرى الطرفين ، وفي شهر رجب

---

(١) الديـوان: ٢٦٣.

ينزل أبو فراس مع ثلاثة آلاف أسير عربي بخرشنة ، ويقدم سيف الدولة بأسرى الروم يفتدي بهم أبا فراس ومن معه من أسرى العرب ، ويتم الفداء ويعود أبو فراس إلى حلب" [(١)] .

قال ابن خالويه[(٢)] : قال أبو فراس : (لما حصلت بـ "القسطنطينية" أكرمني ملك الروم إكراماً لم يكرمه أسيراً قبلي ؛ وذلك أن من رسومهم : أن لا يركب أسير ، في مدينة ملكهم ، دابة قبل لقاء الملك ؛ وأن يمشي في ملعب لهم ، يعرف بـ" البطوم " ، مكشوف الرأس ؛ ويسجد فيه ثلاث سجدات أونحوها ؛ ويدوس الملك رقبته ، في مجمع لهم ، يعرف بـ " النوري " . فأعفاني من جميع ذلك ؛ ونقلني لوقتي إلى دار ، وجعل لي "برطساناً " يخدمني ، وأمر بإكرامي ؛ ونقل إلى من أردته من أسارى المسلمين ، وبذل لي المفاداة مفرداً . وأبيت ، بعد ما وهبه الله لي من العافية ، ورزقنيه من الكرامة والجاه ، أن أختار نفسي على المسلمين ، وشرعت مع ملك الروم بالفداء . ولم يكن الأمير "سيف الدولة ، يستبقي أسارى الروم فكان في أيديهم فضل ثلاثة آلاف أسير ، ممن أخذ من الأعمال والدساكر فابتعتهم بمائتي ألف دينار رومية على أن يوقع الفداء ، وتشترى هذه الفضيلة ، وضمنت المال والمسلمين ، وخرجت بهم من " القسطنطينية " ؛ وتقدمت بوجوههم إلى "خرشنة " ولم يعقد قبلها قط فداء ، مع أسير ولا هدنة، فقلت في ذلك شعراً) :

وَلِلَّــهِ عِنْدِي فِي الإِسَارِ وَغَــيْرِهِ مَوَاهِبُ ، لَمْ يُخْصَصْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي
حَلَلْتُ عُقُوداً ، أَعْجَزَ النَّاسَ حَلُّهَا وَمَا زَالَ عَقْدِي لاَ يُذَمُّ وَلاَ حَلّـــي
إِذَا عَايَنَتْنِي الرُّومُ كَفَّرَ صِيدُهَــا، كَأَنَّهُمُ أَسْرَى لَدَيَّ وَفِي كَبْلِـــي

---

(١) عصر الدول والإمارات " الشام "، ص٢٢٤ ، وانظر في تاريخ الفداء : الكامل في التاريخ ج٧ ص٢٠ ، والبداية والنهاية ج١١ص٢٧٧ ، ٢٧٨.

(٢) الديــوان : ٢٨٢ ، ٢٨٣.

وَأُوسعُ ، أَيّاماً حَلَلْتُ ، كَرَامَـــــةً، كَأَنَّيَ مِنْ أَهْلِي نُقِلْتُ إِلَى أَهْلِـــــي
فَقُلْ لِبَنِي عَمِّي ، وَأَبْلِغْ بَنِي أَبِـــي: بَأَنِيَ فِي نَعْمَاءَ يَشْكُرُهَا مِثْلِـــــــي
وَمَا شَاءَ رَبِّي غَيْرَ نَشْرِ مَحَاسِنِي وَأَنْ يَعرِفُوا مَا قَدْ عَرَفْتُ مِنَ الْفَضْلِ

عاد أبو فراس لكنه لم يعد بتلك النفس المتوثبة التي كان عليها قبـل الأسر ، فلا نكاد نجد في شعره أيَّ إشارة لما دار بينه وبين سيف الدولة بعد فدائه ،" فقد خرج من الأسر وهو أشد ما يكون زهداً في الحيـاة ، وكانـت الحياة السياسية في الدولة قد ضعفت لمرض سيف الدولة إذ لم يمهله المرض كثيراً بعد فدائه أسارى العرب ، فقد وافته منيته سنة ٣٥٦ " وكـان سـبب موته الفالج ، وقيل عسر البول وحمل تابوته إلى ميافارقين فدفن بها "[١] ٠ ولا نجد في شعر أبي فراس أي رثاء لسيف الدولة ٠

" وبعد سيف الدولة تفككت الأسرة الحمدانية ، ووقعت في صراعات داخلية أدت بها إلى الانحراف عن مهمتها الثغرية في قتال الروم ، بـل إن بعض أفرادها استعان بالروم أنفسهم على البعض الآخر ، الأمر الذي جعل بقاء هذه الإمارة ضاراً بمصلحة العالم الإسلامي فسقطت تحـت الـضغط الفاطمي المتزايد على مصر "[٢] .

وقد كان حتف أبي فراس الحمداني في هذا الصراع الـدائر علـى التركة الحمدانية التي خلفها سيف الدولة ، فقد " أصبح يوم مقتله حزيناً كئيباً وكان قد قلق تلك الليلة قلقاً عظيماً فرأته ابنته " امرأة أبي العشائر " فأحزنها حزناً كئيباً ، ثم بكت وهو على تلك الحالة ، فأنشأ يقول ورجله في الركاب وكأنه ينعى نفسه : [٣]

---

(١) البداية والنهاية : ١١ /٢٨١ ٠

(٢) العالم الإسلامي في العصر العباسي ، د.حسن أحمد محمود ، و د٠أحمد إبراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، ط٣ ١٩٧٧ ، ص٤٦ ٠

(٣) الديـوان : ٥٩.

أَبُنَيَّتِي لاْ تَجْزَعِـــــيْ   كُلُّ الأَنَامِ إِلَىْ ذَهَـــــابْ
أَبُنَيَّتِيْ صَبْرًا جَمِيْــــــ   ــلاً لِلْجَلِيْلِ مِنَ الْمُصَــابْ
نُوْحِيْ عَلَيَّ بِحَسْـــرَةٍ   مِنْ خَلْفَ سِتْرِكِ وَالْحِجَابْ
قُوْلِيْ إِذَا نَادَيْتِنِـــــيْ   وَعَيِيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَــوَابْ
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِــرَا   سٍ لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَـــــابْ

قتل أبو فراس " في يوم الأربعاء لثمان خلون من ربيع الآخرة سنة ٣٥٧هـ ، وقيل في يوم الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الأولى من نفس السنة "(١) .

"وسبب ذلك أنه كان مقيماً بحمص فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة ، فطلبه أبو المعالي وأنحاز أبو فراس إلى صدد وهي قرية في طرف البرية عند حمص ، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم وسيرهم في طلبه مع قرعويه فأدركه بصدد فكبسوه فاستأمن أصحابه واختلط هو بمن استأمن منهم فقال قرعويه لغلام له : اقتله فقتله وأخذ رأسه وتركه جثة في البرية حتى دفنها بعض الأعراب .

وأبو فراس هو خال أبي المعالي بن سيف الدولة ، ولقد صدق من قال : " إن الملك عقيم "(٢) .

لقد لحق أبو فراس أميره سيف الدولة سريعاً ، غابا عن ساحة الأحداث لكنهما لم يغيبا عن ساحة الشعر والأدب والبحث .

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، حققه د. إحسان عباس ، دار الثقافة ١٩٧٧م ــ ١٣٩٧هـ ،بيروت ــ لبنان ، ج١ ، ص٣٥١ .

(٢) الكامل في التاريخ :٨ / ٥٨٨ .

الفصل الأول

صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس

(الدراسة الموضوعية)

- سيف الدولة الأمير.
- سيف الدولة القائد الشجاع.
- سيف الدولة الحليم.
- سيف الدولة الكريم.
- سيف الدولة الجافي.

" كان بنو حمدان ملوكاً وأمـــراء ، أوجههـــم للـــصباحة ، وألـــسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولـــة مـــشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم ، وكان ثمرة الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن بـــه سداد الثغور ، وسداد الأمور ... " (١).

من هذه الصفات نهل أبو فراس الحمداني ، وبها فخر ، ولهـــا أذاع حتى غدت في شعره غرراً يمدح بها سيف الدولة ، ويفخر بها إذ الأصـــل واحد، والحسب مشترك ، يؤكد ذلك قوله(٢):

أَلاَ قُلْ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ : إِنَّنِي   عَلَى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ وَصْفِكَ قَادِرُ
فَلاَ تُلْزِمَنِّي خُطَّةً لاَ أُطِيقُهَـــا   فَمَجْدُكَ غَلاَّبٌ ، وَفَضْلُكَ بَاهِـــرُ
ولَوْ لَمْ يَكُنْ فَخْرِي وَفَخْرُكَ وَاحِدًا   لَمَا سَارَ عَنِّي بِالْمَدَائِحِ سَائِـــرُ
ولَكِنَّنِي لاَ أُعْضِلُ القَوْلَ عَنْ فَتًى   أُسَاهِمُ فِي عَلْيَائِهِ وَأُشَاطِـــرُ
وَعَنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ مَضَتْ وَمَوَاقِفٍ   مَكَانِيَ فِيهَا بَيِّنُ الفَضْلِ ظَاهِـــرُ

فأبو فراس لا يمدح سيف الدولة طمعاً في مال أو جاه ، فهو يـــرى أنـــه شريك في ذلك كله ، لكنه رأى في ملكه " أنموذجاً" باهرًا، ومثلاً رائعًا تنطق الكلمات بذكره شكرًا وتعظيمًا وثناءً، ومع الشكر والثناء والإجـــلال تظـــل الكلمات عاجزة عن وصف مناقب سيف الدولة ، فالمجد الذي وصـــل إليـــه سيف الدولة ، والفضل الذي ناله يترفع على كل مدح ، ويعجز كل وصف ، وأبو فراس يذكر محاسن مشتركة ومكارم واحدة.

فليس بمداح يتسول بشعره على أبواب الملوك، فهو حين يفخر بسيف الدولة يفخر بنفسه، ويرى فيه المثل الأعلى فكل مدح يذكر به سيف الدولـــة سيستحقه أبو فراس حتماً؛ لذلك نرى أبا فراس ينتقي صفات المجد والعـــز

---
(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ٣٧
(٢) الديوان :١٣٩

والأنفة لممدوحه الأثير، يعليه بها أيما إعلاء حتى يكاد يطاول به السماء، ويتخطى به النجوم .

" لقد دار معظم مديح أبي فراس حول سيف الدولة ، وليس ذلك بغريب ، فأبو فراس أمير وفارس وقائد يحظى بمكانة جليلة في مجتمع بني حمدان ، ويحيا حياة لا يحتاج معها إلى المال ، لذلك فهو بعيد عن الزلفى والتقرب إلى الحكام والأمراء كما يفعل غيره من الشعراء ، ومن الطبيعي أن يكون الممدوح أعلى قيمة وشأناً حين يمدحه ، فيتوجه إليه بشعره لينال العطايا والهبات إلا أن أبا فراس الأمير ، والقائد ، والفارس لا يجد من هو أعلى منه مكانة ليتوجه إليه بمدائحه ، غير سيف الدولة"[(١)] .

والذي يتأمل صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس يجدها تتمحور حول صفات عليا تبدأ بالإمارة والملك والسيادة إلى القيادة والشجاعة والكرم والحلم وغيرها، وهي صورة متكاملة يجليها أبو فراس لممدوحه شأن شعر المديح الذي كان يمدح به الخلفاء والأمراء والقادة وظهر ذلك جليا في شعر الشعراء العباسيين الذين ظلوا "يعيدون ويبدئون في تصوير المثل الخلقية صورا حية ناطقة ، ويعدو الحصر ما استنبطوه من معان طريفة في السماحة والكرم والحلم والحزم والمروءة والعفة وشرف النفس وعلو الهمة والشجاعة والبأس وقد جسموها في الممدوحين تجسيما قويا ، حتى لتصبح كأنها تماثيل قائمة نصب أعين الناس كي يحتذوها ويحوزوا لأنفسهم مجامع الحمد والثناء...ولم يصور الشعراء مثاليتنا الخلقية العامة في مدائحهم وكذلك مثاليتنا السياسية فحسب ، بل صوروا أيضا الأحداث التي وقعت في عصور الخلفاء، وخاصة الفتن والثورات الداخلية وحروب أعداء الدولة من الروم والترك ، وبذلك قامت قصيدة المديح في هذا العصر مقام الصحافة الحديثة ، فهي تسجل الأحداث التي عاصرها الشاعر والأعمال الكبرى التي ينهض بها

---

(١) أبو فراس الحمداني " حياته وشعره" : ٢٠٤ .

الخلفاء"[1] . وأبو فراس في شعره أكثر قدرة على إبراز هذه الصور وخاصة ما يدور حول الحرب والفروسية فهو الفارس والشاعر ؛ لذلك فصورة سيف الدولة في شعره تترابط وتتراكم لتخرج لنا تلك الصورة العليـــة الرائعـــة لسيف الدولة وهي صور توضح بجلاء تلك الحالة العالية التي كان عليهـــا الأمير الحمداني" فقد كان سيف الدولة خاصة من بني حمدان أكثرهم ســـعياً في رد الحكومة والسلطان إلى العرب ٠ وأعظمهم همة في ســـاعي المجـــد لنفسه وقومه ، وأكرمهم خلقاً آسرًا ، وكان من بينهم محباً للأدب قائماً على خدمته وكان بطبيعته شاعرًا حلو اللسان ، خفيف الروح بياني الفكر "[2] .

وسأحاول من خلال هذا الفصل أن أفكك هذه الصورة المتكاملة إلى أجزائها المكونة للصورة الكلية :

سيف الدولة الأمير :

في مكان عال ينظر أبو فراس لأميره سيف الدولة ، فيخلع عليه ما يستحقه من صفات الملك والسيادة ، فسيف الدولة أمير عربي استحق المدح في زمن غلب الأعاجم على مفاصل الدولة الإسلامية ، فأقبل عليه الشعراء من كل ناحية يمدحونه ويتغنون بمجده فهو "مطلع الجود ، وقبلـــة الأمـــام ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء"[3] .

وأبو فراس واحد من شعراء البلاط الأميري، لكنه أمير يرى فخـــر سيف الدولة فخرًا له ، فكل ما يخلعه الشعراء على أميره يرى استحقاقه لذلك

---

(١) العصر العباسي الأول ، د.شوقي ضيف، دار المعارف ، ط١٠ ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ٠

(٢) المتنبي : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٤٠٧هـــــ ١٩٨٧م ، القاهرة ، ص٣٠٢ .

(٣) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ٣٧

الثناء عن جدارة فهو الشريك في الملك والسيادة والشرف، فسيف الدولة هو السيد الذي لا يفتأ الدهر عاليًا بجوده وإحسانه الذي لا ينقطع[1] :

أَيَا سَيِّدًا عَمَّنِي جُـــــودُهُ بِفَضْلِكَ نِلتُ السَّنَـا وَالسَّنَـــاءَ[2]
وَكَمْ قَــدْ أَتيتُكَ مِنْ لَيْلَـــةٍ فَنِلْــتُ الْغِنَـــى وَسَمِعْتُ الْغِنَـــاءَ

قد اختط ملكه ببأس وكرم ؛ علم أن الملك ليس ترفاً تركن له النفس وليس وجاهة تحاط بالتمني ، فأخذه بحقه ولم يتقاعس عنه و" لعل من الأمور التي تلفت النظر إلى سيف الدولة القائد المحارب هذه الجرأة التي دفعته إلى أن يغزو الإمبراطورية البيزنطية أكثر من مرة وكان لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره،وكيف أوغل بجيشه المحدود العدد في داخل الأراضي البيزنطية فاضطر الدمستق أن يخرج إليه على رأس مئتي ألف جندي مجهزين أحسن تجهيز ، فانتصر عليهم سيف الدولة وأسر سبعين بطريقا واستولى على سرير الدمستق وكرسيه" [3]

ومن استعداده المبكر الذي يشي بعزمه و قيادته وحسن تدبيره ما ذكره ابن ظافر الأزدي من خبر علي بن جعفر الديلمي عندما تمرد على ناصر الدولة في ديار بكر سنة (٣٢٥هـ) ، إذ ندب ناصر الدولة عند ذلك أخاه سيف الدولة إلى حربه ،وقال له : متى فتحتها ــ يعني ديار بكر ــ وقبضت على هذا الديلمي ملكتك بلادها وقلاعها من غير أن تحمل عنها لخليفة ولا لغيره ، فسار سيف الدولة إليها في ألف فارس فتحصن منه على بن جعفر في قلعة " أرزن " فنزل بجيشه تحتها على النهر بسربط وبنى في معسكره بناء كثيرا ، وسارت إليه العساكر والحشود وصدق القتال فأخرج الديلمي أكثر من معه في الحصن لنقل المئونة عنه ، وبعث إلى ملك إرمينية وإلى سائر

---

(١) الديوان :١٧

(٢) السنا : الضوء الشديد ، وهو كناية عن معرفة الناس به . السناء : الرفعة.

(٣) سيف الدولة الحمداني:مملكة السيف ودولة الأقلام ، ص ١٠٩.

بطارقتها يستنجد بهم على سيف الدولة ويخبرهم بخطر سيف الدولة ، وأنه متى تمكن من تلك البلاد لم يطيقوا مجاورته ، وبلغ سيف الدولة خبر الرسول ، فرصده عند عودته فقبض عليه وأحضر بين يديه ، وأذاع أمره في العسكر. وعلم ابن جعفر بالخبر فاغتم لذلك ، وتفرق عنه أصحابه ، فراسل سيف الدولة يسأله أن يؤمنه على أن يمضي إلى مدينة السلام ، أو يبقى في خدمته فأجابه ووفى له فنزل وسلم إليه القلعة ، وأقام في خدمته إلى أن استأمن له ابن رائق [١].

وقد أحس أبو فراس بذلك وعايش فنونا منه فانطلق يجسدها في شعره ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، عدة لا تنقطع ، وتحفز للملك والرياسة لا ييأس[٢]

لِمِثْلِهَا يَسْتَعِدُّ البَأسُ وَالْكَـرَمُ ... وَفِي نَظَائِرِهَا تُسْتَنْفَدُ النِّعَـمُ

هِيَ الرِّئَاسةُ لاَ تُقْنَى جَوَاهِرُهَا ... حَتَى يُخَاضَ إِلَيْهَا الْموْتُ وَالْعَدَمُ

تَقَاعَسَ النَّاسُ عَنْهَا فَانْتَدَبْتَ لَهَا ... كَالسَّيْفِ لاَ نَكَلٌ فِيهِ وَلاَ سَـأَمُ

إن الرياسة لا تطلب بالتمني ، ولا تؤخذ بالتشهي ، ولا يستطيعها كل أحد حتى لو كان من نسل الملوك . وأبو فراس في الأبيات يشير إلى هرب ناصر الدولة ولجوئه إلى سيف الدولة ، ثم توسط سيف الدولة في أمر ناصر الدولة وحمله الأموال عن أخيه[٣]

وسيف الدولة العربي الصميم ليس سيدًا لبني حمدان ، وليس سيداً لحلب وما حولها فقط ، بل هو سيد للعرب جميعًا.

فـ" قد كان ظهور الحمدانيين من ناحية أخرى يمثل انتعاش العنصر العربي الذي انزوى بعد تقدم العناصر التركية في العراق ، وبعد أن أسقط المعتصم

---

(١) انظر : أخبار الدول المنقطعة ، علي بن ظافر الأزدي ، تحقيق الدكتور علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م ، ط١،ص١٥،١٤.

(٢) الديوان : ٢٩١.

(٣) انظر: نفسه : ٢٩٠.

العرب من الديوان ، ثم تتبع ابنه الواثق حركاتهم بالضرب والقمع في مناطق التركيز العربي ؛ في الجزيرة العربية وفي الشام ومصر. ثـم أدى وقـوع الخلافة تحت نفوذ الأتراك ثم ذلك الصراع الذي شهدناه بين الخلفاء وبـين المتسلطين من قواد الأتراك إلى محاولة الخلفاء إنعاش الخلفاء هذا العنـصر العربي مرة أخرى" [١] .

فسيف الدولة أمير عربي همه أعداؤه من الأعاجم الذين بسطوا سلطانهم على نواحي الدولة الإسلامية ، وهمه الأكبر الحفاظ على حدود الدولة من هجمات العدو البيزنطي . وقوته يستمدها من قومه العرب[٢]:

أَسَيْفَ الْعِـدَى وَقَرِيعَ الْعَـرَبْ[٣] عَـلاَمَ الْجَفَاءُ وَفِيمَ الْغَضَـبْ؟
وَإِنَّـكَ لَلْجَبَلُ الْمُشْمَخِـرُّ[٤] لِي بَلْ لِقَوْمِكَ بَلْ لِلْعَرَبْ
عُلًى تُسْتَفَادُ وَعَافٍ[٥] يُفَـادُ وَعِـزٌّ يُشَـادُ وَنُعْمَـى تُرَبْ

فسيف الدولة في علو مجده وهمته كالجبل العالي الذي يترآه النـاس فيسعون إليه كل يأخذ منه حاجته

وسيف الدولة موضع رجاء قاصديه و محل أملهم الذي لا ينقطـع منه الأمل ولا يخيب فيه الرجاء [٦]:

أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ الحَكَمُ المُرْجَّى أَفِي مَدْحِي لِقَوْمِي مِنْ جُنَاحِ

وهمة سيف الدولة لا تقف به عند حد ، ولا تلوي به على دون جمع السيادة من أطرافها وأخذ حظه من كل مكرمة ، فلا يرضـى مـن معـالي

(١) العالم الإسلامي في العصر العباسي : ٤٤٢.
(٢) الديوان :٢٤ ، ٢٥.
(٣) القريع : السيد ٠
(٤) المشمخر : العالي ٠
(٥) العافي : الفقير.
(٦) الديوان :٨٣.

الأمور إلا نهاياتها . لقد عزم سيف الدولة أن ينال بهمته غاية الغايات في ضم أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظل حكومته ، وكان أول ما أنفذ من ذلك أن أزاح الإخشيديين عن أكثر المواقع التي كانوا يحكمونها ، واستأثر دونهم بأكثر البلاد الشامية حتى هلع منه الإخشيد ، فتزلف إليه بأن زوجه ابنة أخيه ، ولم يجد ذلك كثيرا ولا قليلا في إطفاء نار العداوة المستعرة بين الدم العربي والدم الأعجمي الغريب . واستمر سيف الدولة في طلب التوسع والغلبة ، ولولا ما لقي من حروب الروم ، وصراعه المستمر معهم ، لتم له ما أراد ، لكن حروب الروم قد استهلكت كل قوته ، فلم يستطع إتمام مهمته في الشام ، ولم يلبث أن استتبت له الأمور ، فمال على العراق فأعاد الحكم إلى نصابه في يد الخليفة ؛ وذلك لما كان يرى من تقسم الأمر في بلاد الخلافة ، وضياعه بين الموالي ، وما جر ذلك من المذابح المتوالية ، ومن الفتن المتتابعة. وقد كثرت غزوات الروم لبلاد الشام وعلى ما يبدو فالسبب في ذلك أن الذين كانوا يتحكمون بأمر الشام من غير العرب قد أوعزوا إلى ملك الروم أن يقاتله وخوفوه من ظهور سيف الدولة عليه فتم لهم بذلك ما أرادوا من صرف سيف الدولة عن غزوهم وتمزيقهم واحتلال أرضهم وانتزاع السلطان من أيديهم وكان سيف الدولة على علم بما يبيتون له فكان ينازل الروم ويواقعهم ويعد انتصاره وهزيمة الروم انتصارا لدعوته العربية وهزيمة للأعاجم أصحاب هذا المكر وهزيمة لمن وقع في حبائلهم من العرب الذين لهم سلطان في سلطان هؤلاء ؛ ولذلك كان وقع انتصاره في العراق وما وراء دجلة كوقع الصاعقة على رؤوس الفتنة . وأجدت هذه الوقائع ــ التي انتصر فيها سيف الدولة على جيوش الروم_ عداوة أصحاب السلطان من الأعاجم لدولة بني حمدان ، فطفقوا يعملون على تفريق شمل من اجتمع إلى سيف الدولة وآزره ونصره ممن كان بالموصل والشام وغيرها وبذلوا أموالا وذخائر لحرب سيف الدولة ، ولولا ما كان عليه من الكرم والسخاء وبسط اليد للعافين والمريدين طبيعة مركبة في أصل خلقه

لأعيوه ولأخرجوا من سلطانه أكثر من دان له ورضي به وبحكمه ولأعانهم على ذلك ما يرون من المظالم التي ارتكبها سيف الدولة مدة حكمه وسلطانه[١]. وأبو فراس لا يسعه إلا أن يعبر عن هذه الأخلاقيات السامية والهمم العالية ، فيقول: [٢]

يَا بَنِي الْعَمِّ ، قَدْ أَتَانَا ابْنُ عَمٍّ فِي طِلاَبِ الْعُلاَ صَعُودٌ لَجُوجُ
فَاضِلٌ ، كَامِلٌ ، أَدِيبٌ ، أَرِيبٌ قَائِلٌ ، فَاعِلٌ، جَمِيلٌ ، بَهِيجُ
حَازِمٌ ، عَازِمٌ ، حَرُوبٌ ، سَلُوبٌ ضَارِبٌ ، طَاعِنٌ ، خَرُوجٌ ، وَلُوجُ
مِحْرَبٌ ، هَمُّهُ حُسامٌ صَقِيلٌ وَجَوَادٌ مُطَهَّمٌ[٣] ، عُنْجُوجُ[٤]
وَخُيُولٌ وَغِلْمَةٌ وَدُرُوعٌ وَسُيُوفٌ وَضُمَّرٌ وَوَشِيجُ[٥]

وتلك المعالي التي حازها كثيرة لا يستطيعها أحد فقد سبق بها جميع الناس[٦] :

وَإِنَ مَعَالِيهِ لَكُثْرٌ غَوَالِبٌ وإِنَ أَيَادِيهِ لَغُرٌ غَرَائِرُ

له في كل فضيلة سبق ، وفي كل نادرة تفرد :[٧]

بَحرُ السَّمَاحَةِ وَالْبَلاَغَةِ وَالْمَكَارِمُ والْبَصَائِرُ

فسيف الدولة ليس قائدا عسكريا يبز أعداءه ويقهرهم ، وليس أميرا متفردا بملكه رضي أن يقال له الملك، لقد جمع كل ذلك وحاز غيرها إليها " فلم تقف عظمة سيف الدولة عند شجاعته في ساحة الحرب وانتصاراته الباهرة

(١) انظر : المتنبي " رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " : ٣٠٣ ، ٣٠٤.
(٢) الديوان : ٧٠-٧١ .
(٣) مطهم : ضخم .
(٤) عنجوج : أصيل.
(٥) الوشيج : الرماح.
(٦) الديوان: ١٣٩ .
(٧) نفسه: ١١٤.

والوقوف في وجه أعداء البلاد الإسلامية سدا منيعا حال دون تقدمهم واحتلال الوطن الإسلامي وحسب ، بل كانت له ناحية أخرى من العظمة لا تقل عن عظمته الحربية ، فقد كان راعيا للأدب والفنون ، وكانت ندوته التي كان يقيمها في قصره في فترات السلم حافلة بالعلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة الذين يقصدونه من كل صوب ، يلقون من كرمه ما يدفع بهم إلى تجويد صناعتهم الأدبية ، بحيث كان هذا الأمير العظيم سببا مباشرا من أسباب ارتقاء الشعر العربي واستحداث فنون جديدة وسعت دائرته بعد أن كانت محصورة في محيط تقليدي محدود"[(١)].

ويشير أبو فراس إلى ما اجتمع لسيف الدولة من الصفات النفيسة والصفات الحسية ما أهله أن يكون قائداً مهاباً من أعدائه، ومحبوبا مطاعا من أتباعه فكان غيظ العدو وسرور الصديق[(٢)] :

وَأَرْوَعُ جَيْشُهُ لَيْلٌ بَهيمٌ   وَغُرَّتُهُ عَمُودٌ مِنْ صَبَاحِ

وإذا كان سيف الدولة قد أحسن في اختطاط ملكه وسياسته فإنه محق في اختياره لمن يقوم على شؤون مملكته وجيشه فيضع الأمر في نصابه ، والرجل في مكانه المناسب ، فقد" : كان لسيف الدولة قواد مدربون تتلمذوا عليه وخاضوا المعارك معه ورسموا خطط الحرب وكابدوها ، وكان أكثر قواد سيف الدولة ممن تربطهم به أواصر الدم والقربى ، فكان في مقدمة هؤلاء الفارس الشعر أبو فراس الذي خاض كثيرا من المعارك في صحبة سيف الدولة ومعارك أخرى بمفرده وانتصر على الروم حينا ، وعلى القبائل الثائرة حينا آخر... ومن قواد سيف الدولة ابن عمه أبو تغلب وائل بن داود بن حمدان... ومن القواد الأمراء أبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان الذي كان صديقا لأبي فراس ومعجبا بشعره وشجاعته... ومن قواد سيف الدولة

(١) سيف الدولة الحمداني :مملكة السيف ودولة الأقلام :١٩٧.

(٢) الديوان: ٧٨.

أيضا هبة الله ومحمد ابنا أخيه ناصر الدولة وقد ولاهما أكثر من مرة على رأس بعض الجيوش لخوض بعض المعارك.

هذا ما كان من أمر القواد الأمراء ، غير أن هناك قوادا آخرين من غلمان سيف الدولة كان قد رباهم ودربهم ، وقد امتازوا بالذكاء في قيادة الحروب ورسم الخطط ومطاردة الأعداء والإيقاع بهم ، وهم قرغويه ونجا ويماك ، وأشهرهم وأبرعهم بغير شك كان نجا الذي ما خاض معركة إلا انتصر فيها"[1].

فسيف الدولة لا يستأثر بالرفعة لنفسه بل يعين أتباعه على الوصول لأعلى الرتب :[2]

فَفِيمَ يُعَرِّضُنِي بالْخُمُـو ... لِ مَوْلًى بِهِ نِلْتُ أَعْلَى الرُّتَبْ

وقد أشار أبو فراس إلى هذه الدراية الحربية لسيف الدولة في اختيارقادته فـ" لما أوقع " سيف الدولة " " ببني عقيل " ، و "نمير" ، و " كلاب" ، حين عاثوا في أعماله واشتدوا ، أنفذ " أبا فراس" ، في بعض السرايا ؛ فظفر وانتصر ، فكتب إلى سيف الدولة " [3].

يَا ضَارِبَ الْجَيْشِ بِي فِي وَسْطِ مَفْرِقِهِ ... لَقَدْ ضَرَبْتَ بِنَفْسِ الصَّارِمِ الْعَضِبِ

محسن في مواطن الإحسان ، جبار في مواطن المغالبة والمكاثرة لا يطغى جانب على جانب[4].

فَنَرْجُوكَ إِحْسَانًا وَنَخْشَاكَ صَوْلَةً ... لأَنَّك جَبَّارٌ وَأَنَّكَ جَابِـرُ

وهكذا يكون الملك، فالملك الذي لا يرجى خيره ولا يخشى بطشه ليس بملك وقد " قال الحكيم : يجب على الملك الفاضل أن يحصن عقله من العجب ،

---

(1) سيف الدولة الحمداني :مملكة السيف ودولة الأقلام :١٢١ ــ ١٢٣

(2) الديوان :٢٥.

(3) نفسه:٦١.

(4) نفسه :١٤٤.

ووقاره من الكبر، وعطاءه من السرف،وصرامته من العنف،وحياءه من البلادة ، وحلمه من التهاون ، وإمضاءه من العجلة ، وعقوبته من الإفراط ، وعفوه من تعطيل الحقوق ، وصمته من العي ، واستئناسه من البذاء ، وخلواته من الإضاعة ، وعزماته من اللجاجة ، وأناته من الملالة ، وفرحاته من البطر ، وروعاته من الاستسلام"[١]

يقول ويفعل ، لا يأخذ شهوة في الغلبة لأنه محفوف بالتأييد ، ، قد خبر الأمور ، وعرف كنهها فجمع له بين الخبرة وحسن الطالع: [٢]

الْقَائِلُ الْفَاعِلُ الْمَأْمُونُ نَبْوَتُـهُ وَالسَّيِّدُ الأَيِّـدُ المَيْمُونُ طَائِرُهُ

بَنَى لنَّا العزَّ مَرّفُوعًا دَعَائِمَـهُ وَشَيَّـدَ المَجْـدَ مُشْتَدّاً مَرَائِرُهُ

وهو عظيم الشأن في ملكه وسيادته ، المجد رداؤه الذي لا يفارقه يختال به في المجالس والأماكن ، تنظر إليه الأعين فيروعها حسنه وجماله[٣].

يأَيُّهَا الْمَلِكُ الَّـذِي أَضْحَى لِذَيْلِ الْمَجدِ سَاحِـبْ

نُتِـجَ الرَّبِيـعُ مَحَاسِـنًا أَلْقَحْنَـهُ غُرُّ السَّحَائِـبْ

رَاعَ الْعُيُـونَ بِحُسْنِهَـا تَحْكِي لَنَا خَـدَّ الْحَبَائِـبْ

لا يجاريه أحد في فضله وملكه وسيادته ورفعته، فهو سابق في كل مكرمة وفضيلة، فكل الأنام تبع له، تعجز الكلمات عن صفته كما عجز الناس عن اللحاق به [٤] :

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الأَنَـامَ بِعِلْـمٍ وَكَمَـالٍ وَفِطْنَـةٍ وَثَبَـاتِ

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، تحقيق: أحمد شاكر ، دار الجيل – بيروت ، بدون تاريخ ، ص٤٤.

(٢) نفسه: ١٧٥.

(٣) نفسه : ٢٩.

(٤) الديوان : ٦٤

كُلَّمَا رُمْتُ أَنْ أَجِـيءَ بِوَصْفٍ قَصَّرَتْ عَنْ مَدَى عُلاَكَ صِفَاتِي

وإذا كان سيف الدولة قد سبق الأنام بهذا الفضل والسيادة فإنه قد حاز قصب السبق على خاصتهم من الملوك[١] :

لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقِدْحُ الْمُعَلَّى إِذَا استَبَقَ الْمُلُوكُ إِلَى الْقِدَاحِ

ولسيف الدولة عادات لا يدركه فيها أحد ولا يستطيعها إذ هي أشبه بالمعجزات[٢] :

مَحَلُّكَ الْجَوزَاءُ بَلْ أَرْفَعُ وَصَدْرُكَ الدَّهْنَاءُ بَلْ أَوْسَعُ

وسيف الدولة ملك ورئيس برغم أنوف الجاحدين فالأيام قد اصطفته بالملك والإمارة أقر بذلك العدو والصديق والملوك والمملوكون،ذكر ابن ظافر الأزدي أنه " في سنة ثلاثين وثلاث مئة سار البريديون من واسط إلى بغداد وبها المتقي لله وابن رائق فكتب المتقي كتابا إلى ناصر الدولة يطلبه النصرة ، فكتب ناصر الدولة إلى سيف الدولة وهو بنصيبين يحثه على المسير فوصل سيف الدولة بغداد وقد انهزم ابن رائق ، وتحصن في دار الخليفة ، ثم أخرج منها ومعه الخليفة وابنه على أقبح صورة ، وملك البريدي بغداد فتحكم فيها بما أراد ، واستولى على دار الخلافة.

فلما صار سيف الدولة ببعض الطريق ، وعلم بالأمر سار مسرعا لملاقاة ابن رائق فتلقاه وسار معه حتى وصل إلى الخليفة ، فشكا إليه ما ناله واستخبره عن ناصر الدولة فعرفه أنه بالأثر.

وأمر الخليفة له ولناصر الدولة مع التكنية والتلقيب أن تكتب أسماؤهما على الدنانير والدراهم ، وهذه فضيلة لم يسبقهما أحد إليها ، ثم سارا مع الخليفة متوجهين إلى بغداد ، فلما سمع البريدي ذلك انحدر عن بغداد . ثم

(١) الديوان :٨٢

(٢) نفسه :٢١٣

كانت له مع سيف الدولة وقعة هزمه سيف الدولة فيها ، واستبشر الناس بما وهب الله تعالى لهم على يديه من الراحة من فتنة البريدي ، وأمنوا على أنفسهم وحرمهم وأموالهم وأكثروا الدعاء له في المساجد والطرقات ، وكتب المتقي لله رسائل كثيرة يثني على صنيعه ، ويشكر له عمله[1].

لقد أثار كل هذا المجد التليد والحاضر شاعرية أبي فراس فراح يفاخر بها و يشدو بها بين الناس سجلا خالدا موصولا يرفع بها سيف الدولة الأمير الشجاع القوي، ويذم المتخاذلين المتهاونين في السعي إلى المجد ؛ لذلك نرى أبا فراس يقول يمدح سيف الدولة ، ويذكر أيامه وأمجاده [2]:

مَا زَالَ يَجْحَدُهَا قَوْمٌ وَيُنْكِرُهَا   حَتَّى أَقَرُّوا وَفِي أَنَافِهِمْ رَغَمُ

شُكْرًا فَقَدْ وَفَتِ الأَيَّامُ مَا وَعَدَتْ   أَقَرَّ مُمتَنِعٌ وَانْقَادَ مُعْتَصِمُ

وَمَا الرِّئَاسَةُ إلاَّ مَا تُقِرُّ بِهِ   شَمْسُ الْمُلُوكِ وتَعْنُو تَحْتَهُ الأُمَمُ

وكما بنى سيف الدولة ملكه واستوى به محسوساً يرمقه الناس فملك بقوته وعزمه ، فإنه قد بنى له ملكاً في القلوب : حب أصحابه وتضحيتهم من أجله، وتتبع مراضيه ، فكان ذلك تمام السعادة لهم وجميل ما أسداه إليهم[3]:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ   وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَكَ عَامِرٌ   وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ   وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

فَيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وِدَادِكَ صَافِيًا   وَشُرْبِيَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ سَرَابُ

وقد تحقق لأبي فراس مراده فقد نال ود سيف الدولة بالفداء من الأسر وناله كذلك سائر الأسرى الذين كانوا عند الروم بكرم غزير من سيف الدولة ففي

---

(١) أخبار الدول المنقطعة :٢١ ، ٢٢ .

(٢) الديوان : ٢٩١

(٣) نفسه :٤٨

سنة أربع وخمسين وثلاث مئة "سار سيف الدولة بالبطارقة إلى الفداء، ففدى بهم أبا فراس ابن عمه، وجماعة من أهله، وغلامه رقطاش، ومن كان بقي من شيوخ الحمصيين والحلبيين. ولما لم يبق معه من أسرى الروم أحد اشترى بقية المسلمين من العدو كل رجل باثنين وسبعين ديناراً حتى نفد ما كان معه من المال، فاشترى الباقين ورهن عليهم بدنته الجوهر المعدومة المثل وكاتبه أبا القاسم الحسين بن علي المغربي"(١)

وسيف الدولة ملك أخذ الملك بحقه وبذل له جهده حتى رأى المغرم مغنماً فأصبح الناس وقد لاذوا به يطلبون الحمى والندى ولقد تحقق لهم مرادهم مجللين بالحكم والكرم ، ففي سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، قدم ناصر الدولة مستنجداً بأخيه سيف الدولة إلى حلب ، عندما قصد معز الدولة الموصل، فتلقاه سيف الدولة ، ولما رآه ترجل له.

وكان يجلس ناصر الدولة على السرير ويجلس سيف الدولة دونه ، وتحمل عنه سيف الدولة لمعز الدولة مائتي ألف من الدراهم حتى انصرف عنه(٢) ، وقد حاز هذا الصنيع على إعجاب أبي فراس فخلده في شعر ، يقول : (٣)

مَغَارِمُ الْمُلْكِ يَعْتَدُّ الْمُلُوكُ بِهَا   مَغَانِمًا فِي العُلاَ فِي طَيِّهَا نِعَمُ
هَذِي شُيُوخُ بَنِي حَمْدَانَ قَاطِبَةً   لاذُوا بِدَارِكَ عِنْدَ الْخَوفِ وَاعْتَصَمُوا
حَلُّوا بَأَكْرَمَ مَنْ حَلَّ العِبَادُ بِهِ   بِحَيْثُ حَلَّ النَّدَى وَاسْتَوْثَقَ الكَرَمُ
فَكُنْتَ مِنْهُمْ وإِنْ أَصْبَحْتَ سَيِّدَهُمِ   تَوَاضعَ الْمُلْكِ فِي أَصْحَابِهِ عِظَمُ

---

(١) زبدة الحلب : ٨٥.
(٢) انظر: نفسه : ٧٦.
(٣) الديوان : ٢٩١.

والأبيات تحمل التعريض بناصر الدولة الذي فر من وجه عدوه ، ولجأ إلى سيف الدولة . وأبو فراس لا يترك ذلك دون رصد وإن أغضب ناصر الدولة(١).

و كان أبو وائل : تغلب بن داود بن حمدان يتولى حمص لابن عمه سيف الدولة فخرج في طلب أعراب عاثوا في عمله ، وخرج القرمطي صاحب الخال ومعه قبائل طيئ وكلب فلقي أبا وائل وأسره ، وورد الخبر إلى حلب فسار سيف الدولة إلى القرمطي فلقيه بالقرب من حمص ، فانهزم القرمطي وقتل وأخذ رأسه ، واستحر القتل في أصحابه ، واستنقذ سيف الدولة أبا وائل(٢) .

وسيف الدولة لا يستبد برأيه دون أصحابه فهو يستمع إليهم ، ويحاورهم فيما يحب أن يقدم إليه ، وقد جمع في مجلسه بين الحكمة والشجاعة ، فسيف الدولة حازم في موضع الحزم ، لا يتردد ولا يجبن إذا هم أمضى . ولا شك أن الحزم إحدى الصفات الأساسية التي ينبغي أن تتوافر في من يتولى القيادة العسكرية ، ويقصد به : القدرة على البت في الأمور السريعة عندما يتطلب الموقف ذلك ، ثم إصدار القرارات والأوامر بقوة ووضوح وإلزام الجند بها.

وإنما ينبغي توافر هذه الصفة فيمن يتولى هذا المنصب ؛ لأن القائد المتردد لا يقتصر ضرره على نفسه فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى جنوده لأنه قدوة لهم . وإذا كان التردد صفة سيئة في الناس عامة ، فإنها لدى القادة العسكريين أشد سوءا ، إذ إنها تعرض الجيش قادة وجنودا للهزيمة والخطر.

---

(١) انظر : الديوان :٢٩٠ / ٢٩١.

(٢) أخبار الدول المنقطعة : ٢٤ .

وقد شبه العلماء القائد الحازم بالتاجر الحكيم ، الذي لا يبذل ماله إلا فيما يعود عليه بالنفع ، فقالوا : القائد الحازم كالتاجر الحاذق إن رأى ربحا اتجر، وإلا تحفظ برأس ماله ، ولا يطلب الغنيمة حتى يحرز السلامة"[1]

وَبَاتَ يُدِيرُ الْرَأْيَ مِنْ كُلِ وِجْهَةٍ   وَذُو الحَزمِ نَاهِيهِ وَذُو الْعَزْمِ آمِرُ

وينظر أبو فراس إلى ما وصل إليه من العلى والرفعة مقرونة بالفصاحة والسماحة غير أن أبا فراس يعيد كل ذلك إلى ما اكتسبه من عُلى سيف الدولة وسيادته فسيف الدولة المثل الأعلى والنموذج المحتذى الذي ما زال أبو فراس ينهل منه ويستزيد : [2]

هَــلْ لِلْفَصَاحَةِ وَالسَمَــا   حَــةِ وَالْعُلَى عَــنِّي مَحِيــدُ

إِذْ أَنْتَ سَيِّــدِيَ الَّــذِي   رَبَّيْتَنِي وَأَبِــي سَعِيــدُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْتَفِيــ   ــدُ مِنَ العَــلاَءِ وَأَسْتَزِيــدُ

وَيَزِيــدُ فِــيَّ إِذَا رَأَيْــ   ــتُكَ فِي النَّدَى خُلُــقٌ جَدِيدُ

والسيد الأمير يبعث في نفوس أتباعه السيادة ، بما حاز من صفات الملك المؤهلة للقيادة والإتباع وحري بمن نهل من هذا المنهل أن يصل إلى أعالي المجد وسدد السيادة فالأمير بأفعاله العظيمة وبما حاز من قوة وهيبة تجعل أتباعه في مأمن من أن يصابوا فينطلقون يتقدمون البرايا كما تقدم سيف الدولة الملوك[3] :

وَهَلْ عُذْرٌ وَسَيْفُ الدِّينِ رُكْــنِي   إِذَا لَم أَرْكَبِ الْخُطَطَ الْعِظَامَــا

---

(1) القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، د. عبد الله محمد الرشيد ، شركة الرياض للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م ،الرياض ، ص١٤٠ .

(2) الديــوان : ٩٥.

(3) نفســه : ٢٨٩-٢٩٠ .

قال ابن خالويه : غدا " أبو فراس " يتصيد ، فلم يعلم حتى أحدقت به الخيل من جانب ، في عدد كثير ، فلم يزل يقاتل ، حتى كشفهم ، وأعتق فارسهم وأسر عدة منهم .

وَأَتْبَعُ فِعْلَهُ فِي كُلِّ أَمْـــــــرٍ   وَأَجْعَلُ فَضْلَــهُ أَبَدًا إِمَامَـــا
وَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْتَسِبًا إِلَيْــــــهِ   وَحَسْبِي أَنْ أَكُونَ لَهُ غُلاَمَـــا
أَرَانِي كَيْفَ أَكْتَسِبُ الْمَعَالِـــي   وَأَعْطَانِي عَلَى الدَّهْـرِ الذِّمَامَا
وَرَبَّانِي فَفُقْــتُ بِهِ الْبَرَايَـــا   وَأَنْشَأَنِــي فَسُدْتُ بِهِ الأَنَامَـا

والسيد لا ينجب إلا سيداً ، وأبناء الملك ملوك لأنهم نشأوا في بيــت عــز ورفعة وأبو فراس يلمح ذلك في تهنئته لسيف الدولة بابنه " أبي الكاتب"(١):

يَهْنِى الأَمِــيرُ بِشَـــارَةً   قَـــرَّتْ بِهَا عَيْنُ الْمَكَـــارِمْ
أَعْلَى الْوَرَى شَرَفًــا وَمَــنْ   قَدْ بَشَّرُوهُ بِخَيْرِ قَـــادِمْ
إِنِّي وإِنْ كُنْتُ الْمُشَّـــا   رِكَ فِي الأُبُوَّةِ وَالْمُسَاهِـــمْ
لأَقُـــولُ قَــوْلاً لاَ يُـــرَدُّ   وَلاَ يُرَى لِي فِيـــهِ لاَئِـــمْ
لـــ "أَبِي الْمَعَالِـي" فِي الْعُـــلاَ   وَ"أَبِي الْمَكَارِمِ" فِي الْمَكَـــارِمْ
بَيْــتٌ رَفِيـــعٌ سَمْكُــــهُ   عَالِــي الذُّرَى ثَبْــتُ الدَّعَائِـمْ

ومن كان هذا المجد مجده والعز عزه كان حرياً به أن يــصل إلــى ذرى المجد ، فالمجد يحف به من كل جانب أبوة وخؤولة ونسبًا(٢) :

لِمَ لاَ يَفُوقَانِ الأَنَامَ مَكَارِمًا   وَالسَّيِّدَان كِلاَهُمَـا جَدَّاهُمَـــا
تَلْقَى أَبَا الْهَيْجَاءِ فِي هَيْجَاهُمَا   وَيُرِيكَ فَضْلَ أَبِي الْعَلاَءِ عُلاَهُمَا

وأتباع سيف الدولة الذين رأوه في إقدامه وبأسه لا يتأخرون عنــه يأتمرون بأمره ، ويسيرون بهديه: (٣)

وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَـــا   كَمَا هَيَّجْتَ آسَــاداً غِضَابَـــا

---

(١) الديــوان : ٢٨٦ .
(٢) نفســه : ٢٨٧ .
(٣) نفســه: ٣٤ .

دَعَانَا وَالأَسِنَّـــةُ مُشْرَعَـــــــاتٌ   فَكُنَّـــا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَــــا

وهم يقدمون أنفسهم فداء له ؛ حبًا وإكراماً ، لا قهراً وإذلالاً ، فهــو الأب لصغيرهم والأخ والملك لهم والمعتمد عليه في رد البأس عنهم[١] :

إِذَا بَقِيَ الأَمِيرُ قَرِيرَ عَيْنٍ   فَدَيْنَاهُ اخْتِيَارًا لاَ اضْطِرَارَا

أَبٌ بَرٌ وَمَوْلًى وَابْنُ عَـــمٍ   وَمُسْتَنَدٌ إِذَا مَا الْخَطْبُ جَارَا

يَمُدُّ عَلَى أَكَابِرِنَا جَنَاحــاً   وَيَكْفُلُ فِي مَوَاطِنِنَا الصِّغَارَا

وسيف الدولة إذ يدعوهم إلى قتال الأعداء ، ويأمرهم بالنزول ، ليس جبناً منه واتقاء بجنده عن مواجهة العدو، لكن أتباعه يفدونه بأنفــسهم ، ولا يحبون أن يروا فيه ما يسوؤهم [٢]:

أَمَامَ مُشَيَّعٍ سَمْحٍ بِنَفْـــسٍ   يَعِــزُّ عَلَى الْعَشِيرَةِ أَنْ يُصَابَا

وَمَا ضَاقَتْ مَذَاهِبُـــهُ ولَكِنْ   يُهَابُ مِنَ الْحَمِيَّةِ أَنْ يُهَابَــــا

وَيَأْمُرُنَا فَنَكْفِيهِ الأَعَـــادِي   هُمَامٌ لو يَشَاءُ كَفَى وَنَابَــــا

وإذا كان أعداؤه يهابونه لما ينزل بهم من الهزائم ويحل بهــم مــن الخسار فإن أصحابه يهابونه إجلالاً وإكراماً لما عهدوا عنــه مــن جميــل الخصال وجليل الفعال[٣]:

وكَانَ عَتِــيدًا لَدَيَّ الْجَـــوَابُ   ولَكِـــــــنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِـــبْ

وَمَا زِلْتَ مُذْ كُنْتَ تُولِي الْجَمِيلَ   وَتَحْمِي الْحَرِيمَ وَتَرْعَى النَّسِبْ

وأبو فراس المحب لسيف الدولة التابع المطيع الذي يلقي بنفسه في مهالك الحروب دفاعاً عن سيف الدولة يتألم لمرض أميره وليس وحده الذي

---

(١) الديــوان :١٢٠

(٢) نفســـــه : ٣٦ – ٣٧ .

(٣) نفســـــه: ٢٥ .

تألم فكل قلب أحب سيف الدولة يجد الألم الذي يعتري الأمير ويتمنى لو كان فداه بنفس لا يمكن أن تقدم فداء إلا لسيف الدولة [1]:

وَعِلَـــةً لَمْ تَدَّعْ قَلبًا بِلاَ أَلَـــــمٍ سَرَتْ إلَى طَلَبُ الْعَلَيَّا وَغَارِبُهَا

هَلْ تَقْبَلُ النَّفسَ عَنْ نَفْسٍ فَأَفْدِيِهِ الله يَعْلَمْ مَا تَغْلُو عَليَّ بِهَـــــا

لَئِنْ وَهَبْتُكَ نَفسًا لاَ نَظِيرَ لَهَـــا فَمَا سَمْحت بِها إلاَّ لَوَاهِبِهَـــا

ومرض سيف الدولة ، يشقى به أتباعه ، وتسري عليهم علته فتسكب له العبرات الحرى وحق لها أن ينسكب فسيف الدولة لا نظير له ولا شبيه ، ومهما قيل من وصف فإنه مقصر عن أن يبلغ المنزلة الرفيعة التي قد تبوأها سيف الدولة[2] :

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الأَنَـــامَ بِعِلْـــمٍ وَكَمَـــالٍ وَفِطْنَـــةٍ وَثَبَـــاتِ

كُلَّمَا رُمْتُ أَنْ أَجِـــيءَ بِوَصْفٍ قَصَّرَتْ عَنْ مَدَى عُلاَكَ صِفَاتِي

وسيف الدولة يسن لأتباعه طرق العلا ويوصلهم إليها فيغـدو لهـم كنجم يهتدى به يصلون به إلى معالي الأمور .

وأبو فراس أعظم الأتباع رتبة وأعظمهم نصيباً من سيف الدولة وهو يعترف بهذا الفضل الذي أوصله له أميره وسيده فما من طريق موصلة إلى العلا إلا وقد وصل إليها أبو فراس بهدي من أميره وبمعونة من سيده عوناً واقتداء[3] :

وَإِنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَـدِي وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ الَّذِي بِكَ أَهْتَـــدِي

وَأَنْتَ الَّذِي عَرَّفْتِنِي طُرُقَ الْعُلاَ وَأَنْتَ الَّذِي أَهْدَيْتَنِي كُلَّ مَقْصِدِ

وَأَنْتَ الَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلَّ رُتْبَـــةٍ مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ حُسَّدِي

---

(١) الديوان : ٥٥ – ٥٦ .

(٢) نفســه : ٦٤ .

(٣) نفســه : ٩٨ .

وبنو حمدان أهل سيف الدولة وعشيرته وساعده الذين سادوا قديماً بنسبهم وسادوا بسيف الدولة في دولته يفدون سيف الدولة ، ويرخصون الأنفس في فدائه ، وأبو فراس السيد الفارس الذي يهابه العدو ويتقيه تسعده رؤية سيف الدولة بل إنها غاية في ذاتها ولا غرابة ما دام سيف الدولة هو حظ أبي فراس في الدنيا وولي نعمته ومعلي سؤدده[1]:

بَقِيتَ ابْنَ عَبْدِاللهِ تَحْمَي مِنَ الرَّدَى ... وَيَفْدِيكَ مِنَّا سَيِّدٌ بَعْدَ سَيِّدِ

فَلاَ يَحْرِمَنِّي اللهُ رُؤْيَاكَ إِنَّهَا ... نِهَايَةُ آمَالِي وَغَايَةُ مَقْصِدِي

ولاَ يَحْرِمَنِّي اللهُ قُرْبَكَ إِنَّهُ ... مُرَادِي مِنَ الدُّنْيَا وَحَظِّي وَسُؤْدَدِي

وليس أبو فراس وحيداً الذي عز بعز سيف الدولة فلقد عز بنو حمدان جميعاً بهذا الملك الذي بناه سيف الدولة وكل فضل ناله الأمير وكل مفخرة حازها فلبني حمدان النصيب الأكبر منها[2] :

بَنَى لَنَّا الْعِزُ مَرفُوعاً دَعَائِمَهُ ... وَشَيَّدَ الْمَجدَ مُشتَدًا مَرَائِرَهُ

سيف الدولة القائد الشجاع :

إذا كانت الشجاعة تعني : " الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك ، وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت"[3] ،

فإن "الذي يرى النتائج ويخاف من وقوعها ثم يواجهها في ثبات رجل شجاع (أيضا) . ومادام الإنسان يعمل في موقفه خير ما يعمل فهو شجاع ؛ فالقائد الذي يقف في خط النار فيرتعش ويخاف أن ينزل به الموت ثم يضبط نفسه

---

(١) الديـوان : ٩٩ .

(٢) نفسـه : ١٧٥ .

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ، القاهرة، دار الصحابة للتراث ، ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ، مصر ، ص ٢٧ .

ويؤدي عمله كما ينبغي قائد شجاع ، بل هو شجاع أيضا إذا رأى أن خير عمل يعمله أن يتجنب الخطر، وأن الواجب يقضي عليه أن ينسحب بجنوده حيث لا خطر"[١]

لقد أبرز أبو فراس ذلك جلياً في صور متعددة تؤول إلى شجاعة فذة تنقاد لسيف الدولة في مواجهته لخصومه وأعدائه لا يلحق به أحد في شجاعته يبز الفارس القوي الغالب الشجاع فلا يدركه[٢]:

تَرَاهُ إِذَا الكَمَاةُ الغُلبُ شَدُوا   أَشَدَّ الْفَارِسَيْنِ إِلَى الكِفَاحِ

وليس عدوه فقط الذي أجهده بأس سيف الدولة وأرهقته شجاعته ، بل شكا من إقدام سيف الدولة حتى الخيل والإبل [٣] :

قَدّ ضَجَ جَيْشُكَ مِنْ طُولِ القِتَالِ بِهِ   وَقَدْ شَكَتْكَ إِلَيْنَا الخَيْلُ وَالإِبِلُ

قد جمع صنوف الشجاعة ، فلا يختص بشيء منها دون شيء أعد للحروب عدتها وهذه صفة ينبغي أن يتصف بها كل قائد ، إذ ينبغي للقائد العسكري أن " يكون ملما إلماما واسعا بنواحي عمله ، سواء النواحي الفنية أم العملية ، كما يتطلب ذلك أيضا إلماما بموضوعات ووسائل التنظيم ، والشؤون الإدارية والتعليمات والموضوعات التي لها علاقة بفن الحرب وإدارة الرجال ... وأن يكون كثير الاطلاع ليقف أولا بأول على أحدث الوسائل والتطورات في فنون عمله" [٤] :

فسيف الدولة يمتلك كل مقومات القيادة العسكرية الذكية التي تفتك بالأعداء ولا تؤذي جنده[٥]

---

(١) الأخلاق ، أحمد أمين ،دار الكتاب العربي ، ط٣ ١٩٧٤م ، بيروت ، ص ٢٠٥ .

(٢) الديوان : ٨٢

(٣) نفسه : ٢٥٧ .

(٤) القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم : ١٨.

(٥) الديوان : ٧٠ ، ٧١

حَازِمٌ ، عَازِمٌ ، حَرُوبٌ ، سَلُوبٌ   ضَارِبٌ ، طَاعِنٌ ، خَرُوجٌ ، وَلُوجُ
مِحْرَبٌ ، هَمُّهُ حُسامٌ صَقِيــــلٌ   وَجَوَادٌ مُطَهّــمٌ ، عُنْجُـــــــوجُ
وَخُيُولٌ وَغِلْمَــــــــةٌ وَدُرُوعٌ   وَسُيُــوفٌ وَضُمَّرٌ وَوَشِيـــــجُ

" فليست الشجاعة تعتمد على الإقدام والإحجام ، ولا على الخوف وعدمه ، إنما تعتمد على ضبط النفس وعمل ما ينبغي، فإن ضــبط الــشخص نفــسه وعمل ما يجب أن يعمل في مثل موقفه رغم خطر أمامه ورغم ما يشعر به من خوف فهو شجاع ، وإلا فلا"(١).

صفات القيادة كما رآها أبو فراس في سيف الدولة :

سيف الدولة مع شجاعته المفرطة ، ودهائه الكبير ، وقدرته الحربية الفذة يعد للأمر عدته فلا يلاقي أعداءه إلا بالجيش الضخم المدرب المعد بـــأنواع العدة والعتاد ولا شك أن سيف الدولة قد نوع خططه العــسكرية ، وابتكــر طرائق وأساليب لم يعهدها أعداؤه فــ"لم يكن جنود سيف الدولة يــستعملون البغال أو العربات في نقل معدات الحرب ، بل كانوا يحملونها على ظهــور الإبل ، كما أنهم لم يكونوا يستعملون الطبول والأبواق في ساحة الحــرب ، وإنما كانوا يستعملون آلات ذات أصوات حادة مدوية ، وكانت أصوات هذه الآلات بالإضافة إلى هدير الإبل الكثيرة العدد تلقــي الرعــب فــي قلــوب المحاربين البيزنطيين وتفزع خيولهم مما يسبب لها الجموح والهروب.

وكان العرب يحملون البيارق ذات الأعلام المتعددة الألوان فتبدو الــصفوف الطويلة التي لا نهاية لها وقد رفرفت عليها هذه الأعلام الملونة وكان هدير الإبل يختلط مع صهيل الخيول وصياح الفرسان المحــاربين الــذين كانــت تنطلق حناجرهم بأناشيد الحرب"(٢).

---

(١) الأخلاق : ٢٠٥

(٢) سيف الدولة الحمداني: مملكة السيف ودولة الأقلام: ١١٩ .

ومما ذكره المؤرخون مما تفنن فيه سيف الدولة من طرائق القتال والفتك بالعدو ما يعرف " بنظام الجنود الفدائيين" الذين كانوا يفتكون بالعدو البيزنطي وينشرون الرعب في صفوفه إذ إن سيف الدولة قد " نظم فيالق من خيرة جنوده ودربهم تدريبا خاصا فيه جرأة ومغامرة وفداء وإقبالا على الأعداء ومباغتتهم من حيث لا يتوقعون، وكانت هذه الفرق تعرف باسم حملات القفز ، ذلك لأنها كانت تعمد في سبيل الوصول إلى الأعداء إلى القفز من قمة إلى قمة وبكل سهولة ويسر يقفزون بين هاويتين سحيقتين ، ثم ينزلون على العدو فيوقعون به شر الوقائع وينزلون العب في صفوفه وينشرون الفزع في معسكراته ويتركون الكثير من القتلى، وكان الجنود البيزنطيون حين يروون قصص الفدائيين العرب يروونها في كثير من الفزع والرعب" [١] :

عَلَوْنَا جَوْشَنًا بِأَشَدَّ مِنْهُ   وَأَثْبَتَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الرِّمَاحِ
بِجَيْشٍ جَاشَ بِالْفُرْسَانِ حَتَّى   ظَنَنْتَ الْبَرّ بَحْرًا مِنْ سِلاَحِ
وَأَلْسِنَةٍ مِنَ الْعَذَبَاتِ حُمْرٍ   تُخَاطِبُنَا بِأَفْوَاهِ الْرِمَاحِ
فَجَادَتْ لَيْلَهَا سَحًّا وَهَطْلاً   وَتَسْكَاباً كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ
وَأَرْوَعَ جَيْشُهُ لَيْلٌ يَهِيمٌ   وَغُرَّتُهُ عَمُودٌ مِنْ صَبَاحِ

" قال ابن خالويه : " قال أبو فراس : وافى رسول ملك الروم يطلب الهدنة ؛ فأمر "سيف الدولة " بالركوب بالسلاح فركب ، من داره ، ألف غلام مملوك، بألف جوشن مذهب ، على ألف فرس عتيق ، بألف تجفاف ، [وهو بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب] وركب الناس والقواد على تعبيتهم وراياتهم وسلاحهم ، حتى طبق الجيش جبل " جوشن" وما حوله"[٢].

ويشير أبو فراس إلى أن الملوك ينفقون الأموال في حرب الأعداء ، وسيف الدولة ينفق ماله ونفسه وإنه لغاية الجود والكرم، فإن من ينفق

---

(١) الديوان : ٧٨ .
(٢) نفسه : ٧٨ .

الأموال وهو جالس على أريكته ، يوجه الجيوش ويخاطبها وهو في مـــأمن ليس كمن يغشى الحرب، ويقابل الأعداء وجهاً لوجه[1] :

مَنْ كَانَ أَنْفَقَ فِي نَصرِ الْهُدَي نَشَباً فَأَنْتَ أَنْفَقْتَ فِيهِ النَّفْسَ وَالّنشَبَا

يُذْكِي أَخُوكَ شِهَابَ الْحَرْبِ مُعْتَمِداً فَيَسْتَضِيءُ وَيَغْشَى جَدُّكَ اللَّهَبَا

وليس سيف الدولة من يركن إلى ملكه ، وينتظر عدوه في داره ، بل إن سيف الدولة يهاجم أعداءه في عقر دارهم ؛ فيشردهم في الـــديار فتظـــل النساء حاسرات الرؤوس مما حل بقومهن من الهزيمة المنكرة التي بـــاغتهم بها سيف الدولة في حين ظنوا أنهم في مأمن منه بقوتهم وبأسهم .لقد اضطر سيف الدولة لتدعيم أركان ملكه أن يحارب داخليا وخارجيا إذ " لـــم تكـــن حروب سيف الدولة كلها ضد البيزنطيين ، بل كثيرا ما اضطر إلى خوض غمار بعض المعارك الداخلية في أرضه حينا وفـــي أجـــزاء أخـــرى مـــن الأراضي الإسلامية حينا آخر ، وكان الأمير العربي يخوض تلك المعـــارك الداخلية مضطرا ؛ لأنه كان يشعر بالخطر الكامن على الحـــدود المملكـــة الإسلامية ممثلا في أطماع البيزنطيين الذين حاربهم ببسالة ونجاح ، وكـــان في مكنته أن يحرز انتصارات أكبر لولا ما اضطر إليه في بعض الأحيـــان من خوض المعارك الداخلية ضد الأخاشدة حينا ، والقبائل العربية حينا آخر، وبعض القرامطة حينا ثالثا ، وعماله وقواده الذين كانوا يخرجون عليه حينا رابعا"[2]. ومن ذلك أن " قبائل عامر بن صعصعة عقيل وقشير والعجـــلان وأولاد كعب بن ربيعة بن عامر وكلاب بن ربيعة قد اتفقت على أن تخـــرج على سيف الدولة حينما آنست في نفسها شيئا من القوة ، وبدأت تعيث الفساد في أرض المملكة ، فاجتمعت في سليمة وتقدمت إلى قنسرين فقتلت والـــي

---

(١) الديـــوان : ٣٠-٣١ .

(٢) سيف الدولة الحمداني " مملكة السيف ودولة الأقلام" ، ص ١٦٣، نقلا عن شرح ابن خالويـــه لأبي فراس .

سيف الدولة عليها سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ، فخرج إليهم سيف الدولة وأبو فراس ، وظل يطاردهم ويوقع بهم في "الغوير" ثم في "تدمر" ثم في "السماوة". وعلى الرغم مما أوقع سيف الدولة بهم من هزائم فقد عف عن حريمهم وأكرم كثيرا ممن أسرهم "[١] :

وأبو فراس يصور هذا الجو المعتكر الذي اختلط فيه الدماء والتراب وأظلهم من غباره ما يوحي بهول المعركة ، ويوجه أبو فراس بأخذ أخبار المعركة عن القبائل الثائرة، فهي أقدر من يصور هذا الجو[٢]

قَصَدْنَا عَلَى الأَعْدَاءِ وَسْطَ دِيَارِهْم   بِضَرْبٍ يُرَى مِنْ وَقْعِهِ الْجَوُّ أَغْبَرا
فَسَائِلْ كَلاباً يَوْمَ "غَزْوَةِ بَالِسٍ"   أَلَمْ يَتْرُكُوا النِّسَوَانَ فِي الْقَاعِ حُسَّرَا

وأبو فراس يصف بأس تلك القبائل وقدرتهم الحربية الفائقة ، ولكن سيف الدولة قد سار إلى أعدائه وغزاهم وسط ديارهم وهو حين يقوم إلى تلك القبائل يعيدهم إلى رشدهم لا يلاقي قوماً أذلة ، فهو يقاتل قوماً أشدة في القتال يضربون حتى تتكسر سيوفهم ، لكن الغلبة تظل لسيف الدولة الشجاع القوي البطش ، فهو يسقيهم الموت أحمر ، فيطعم من لحومهم الطير والسباع ، وكان سيف الدولة يشارك بسيفه ضربا ، وبشعره وصفا وتخليدا(٣) :

وَسَائِلْ نُمَيْرًا يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِمُ   أَلَمْ يُوقِنُوا بِالْمَوْتِ لَمَّا تَنَمَّرَا
وَسَائِلْ عُقَيْلاً حِينَ لاَذَتْ "بِتَدْمُرٍ"   أَلَمْ نُقْرِهَا ضَرْبًا يَقُدُّ السَّنَوَّرَا
وَسَائِلْ قُشَيْرًا حِينَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا   أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْسًا مِنْ الْمَوتِ أَحْمَرَا
وَفِي "طَيئٍ" لَمَّا أَثَارَتْ سُيُوفُهُ   كُمَاتَهُمُ مَرْأًى لِمَنْ كَانَ مُبْصِرَا
وَ" كَلْبٌ " غَدَاةَ اسْتَعْصَمُوا بِجِبَالِهِم   رَمَاهمْ بِهَا شُعْثاً شَوَازِبَ ضُمَّرَا

(١) سيف الدولة الحمداني " مملكة السيف ودولة الأقلام" : ١٦٣
(٢) الديوان : ١١٧
(٣) نفسه : ١١٧

فَأَشْبَعَ مِنْ أَبْطَالِهِمْ كُلَّ طَائِـــــرٍ وَذِئْبٍ غَدَا يَطْوِي الْبَسِيطَةَ أَعْفَـرَا

وسيف الدولة يباغت أعداءه و يكون هو المقدم أمام جيشه ، فهو لا يستجن بجيشه بل يهجم في المقدمة مباغتاً العدو ، فلا يـستطيع العـدو أن يأخذ أهبته وحذره ، ولا شك أن " عنصر المباغتة يمثل لونـا مـن ألـوان التعاون بين مختلف الوحدات العسكرية ، فإذا أحسنت القوات المقاتلة تنفيـذ مخططاتها بدقة ، واستثمار هذا العنصر الحيوي ، فإنها تـتمكن مـن شـل القوات المعادية ، وتفقدها توازنها ، وبهذا تـتمكن مـن حـسم المعركـة لصالحها"[(١)] .

حَتَّى رَأَوْكَ أَمَامَ الْجَيْشِ تَقْدُمُـــهُ وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَا أَمِلُوا

فَاسْتَقْبَلُـوكَ بِفُرْسَـانٍ أَسِنَّتُهَـا سُودُ البَرَاقِعِ والأَكْوَارُ وَالْكِلَلُ

ولما يتمتع به سيف الدولة من قوة في جيشه وقـدرة علـى التوريـة والمباغتة فإن الأعداء يستولي عليهم الخوف، ويبلغ منهم مبلغاً كبيراً حتـى تبلغ قلوبهم حناجرهم من الرهبة والخوف ، فـ"المباغتة لها رد فعل خطيـر في نفوس من تحدث ضدهم ، فالمباغتة من أخطر أساليب الحرب التي تتبع حتى هذا اليوم لقلب موازين القوى وإحداث التحولات السريعة المفاجئة في سير المعارك . وكم كسب كثير من القادة الجولة الأخيـرة بـسبب قيـامهم بمباغتات ضد خصومهم أثناء المعارك من كمين أو هجوم غير متوقع"[(٢)] .

(١) مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة ، د.أحمد عوض أبو الشباب ،المكتبة العصرية ، صيدا ــ لبنان ، ١٤٢٠هــ ــ١٩٩٩م ، ط١ ج٢ ص٤٢٣ .

(٢) غزوة أحد: سلسلة معارك الإسلام الفاصلة ، محمد أحمد باشميل ، دار الفكر ، بيروت ــ لبنان ، ط٦، ١٣٩٧ هــ ــ ١٩٧٤م : ٣١٥ .

وقد أدرك سيف الدولة أهمية هذا العنصر فجعله سلاحا يجابه بـــه أعـــداءه ورأى أبو فراس مرارة هذا العنصر على العدو فأشاد به[١]

وَإِذَا رَأَتْـــهُ عُدَاتُـــــهُ   بَلَغَـتْ قُلُوبُهُـــمُ الْحَنَاجِـرْ
بَيْنَ السَّوَابِــغِ وَالسَّوَابِــقِ   وَالْمُهَنَّـــدَةِ الْبَوَاتِـــــرْ

وأبو فراس في مدحه لسيف الدولة يشيد بما يراه من تقـدم القائـد لجنـده حتى جعله وحده هو الذي يبعث الخوف والهلع في قلوب الأعداء. لقد "كان سيف الدولة في الميدان صاحب صولة ومهارة ، وكانت حركاته و جولاته تبعث الثقة والإعجاب والطمأنينة في قلوب جنوده بقد ما كانت تنزل الرعب والفزع في قلوب جنود أعدائه ، ولم يكن القائد يدير المعركة من الـصفوف الخلفية محوطا بالحراسة والرعاية كما هو حادث في حروبنا المعاصرة ، بل كان القائد أو الملك يتقدم جيشه بنفسه ، وهكذا كان يصنع سيف الدولة"[٢] ،

ولذلك يوقن العدو أن لا مفر من سيف الدولة ولا نجاة مهما بـذل مـن عدة وعتاد[٣] :

وَقَدْ دَرَى الرُّومُ مُذْ جَاوَزْتَ أَرْضَهُمُ   أَنْ لَيْسَ يَعْصِمُهُمْ سَهْلٌ وَلاَ جَبَلُ

وسيف الدولة مع ما يمتلك من قدرة على المباغتة فهو لا يفتأ يجوس خلال حدود الأعداء لا يثنيه عن ذلك شغل ولا ملك حتى أجهد سيف الدولة نفسه ، وأسهد عينه ، وأنهك جيشه وأنفق ماله[٤] :

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَزُورُ الثَّغْرَ لاَ ضَجَرٌ   يَثْنِيكَ عَنْهُ وَلاَ شُغْلٌ وَلاَ مَلَـلُ
فَالنَّفْسُ جَاهِدَةٌ وَالْعَيْنُ سَاهِـدَةٌ   وَالْجَيْشُ مُنْهَمِكٌ ، وَالْمَالُ مُبْتَذَلُ

---

(١) الديوان : ١١٤.
(٢) سيف الدولة الحمداني : مملكة السيف ودولة الأقلام : ١١٠.
(٣) الديوان : ٢٧٥ .
(٤) نفســه : ٢٥٧ .

لقد عايش أبو فراس أميره ورأى من شجاعته ما جعله يدل بهـا ، ويقـتحم المعارك حماسا وحمية أن يرى دون أميره ، لقد نشأ أبو فراس على هـذه السجية العالية التي هي سجية عظيمة في حياة العربي فـ"إذا تقصينا حيـاة العربي منذ طفولته أدركنا أن الشجاعة ولدت معه ، وأنه شب وكبر وهـي تتمشى في دمه. وكيف لا وقد ربي في بيئة تتمدح بالبطولة والإقدام ، وحسن البلاء في حماية الذمار والأخذ بالثأر ، وبالعدوان في كثير من الأحيـان ؟ وطالما فزع طفلا على قعقعة السلاح ، وصياح المقاتلين ، وسمع الأقاصيص عن شجعان من القبيلة حموها ، وردوا المغيرين عليها ، أو هجمـوا علـى أخرى وأجلوها ، ثم شب فرأى الرماح تشتبك ، والسيوف تتقارع ، والأبطال في ميدان الوغى تتنازع ، ثم كبر فشارك في المواقع ، وأفنى العمـر فـي المعارك ، فلا عجب أن كانت الشجاعة خلقا عاما عند العرب"[١].

وسيف الدولة في أثناء هذا الحوم على حدود الأعداء قد تعـن لـه زورة لعمق العدو ، فتكون تلك الزورة شقاء وبؤساً وحظاً أشـأم للأعـداء ولديارهم ، فزورة سيف الدولة ، تختتم بحرق الديار وأهلها حتى كأنما عجل لهم عذاب جهنم في دنياهم[٢] :

وَأَزَرْتَ صَارِخَةَ الْخُيولَ فَيَا لَهَا ... مِنْ زَوْرَةٍ طَلَعَتْ بِطَيْرٍ أَشْـأَمَ
أَحْرَقْتَ أَهْلِيهَا بِهَا فَتَرَكْتَهُـمْ ... فِي جَمْرِهَا الْمُتَلَهّبِ الْمُتَضَـرِّمَ
فَكَأَنَّمَا عَجَّلْتَ مَا قَـدْ أُوعِـدُوا ... يَوْمَ الْقِيَامَـةِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّـمِ

وسيف الدولة في توغله في عمق العدو لا يجد الطريق أمامه ممهدة سهلة لكنها روح المخاطرة التي ألفها ، يهجم فينتصر ، ويحارب فيكـسب ، وقد سطر أبو فراس شيئا من معارك سيف الدولة الداخلية والخارجية فـي

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د.أحمد محمد الحوفي ،دار القلم ، بيروت ــ لبنان، ط٤ ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م :٣٣١

(٢) الديـوان : ٣١٥.

وثيقته التاريخية الرائية التي مجد فيها بني حمدان وأشاد بذكرهم في لمحات شعرية سريعة تحمل روح الشعر ولا تستقصي التأريخ ؛ لذلك يحسن بي أن أورد بعضا من معارك سيف الدولة التي خاضها مع الروم وكان لها الأثـــر الكبير في تثبيت دعائم الدولة الحمدانية في حلب وما جاورها، فمن ذلك مـــا أورده ابن خالويه ، قال :" غزا سيف الدولة سنة ٣٢٦هـ حتى نزل "حصن زياد" فأقبل الدمستق في ثمانين ألفا ، حتى أحاط بالعسكر ، وفي موضع يقال له "سلام" فأشاروا على سيف الدولة بأخذ ماخف ، فأبى وناجزهم ، وهرب الدمستق". وقد أشاد بها أبو فراس في رائيته التي أرخت لبني حمدان [١] :

وَشَقَّ إِلَى ثَغْرِ الدُّمُسْتُقِ جَيْشُـــهُ بِأَرْضِ سُـــلاَمٍ وَالْقَنَـــا مُتَشَاجِـــرُ
سَقَى أَرْسَنَاسًا مِثْلَهُ مِنْ دِمَائِـــهِمْ عَشِيَّةَ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ الْحَنَاجِــرُ
وَبَاتَ يُدِيرُ الرَّأْيَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ وَذُو الْحَزْمِ نَاهِيهِ وَذُو الْعَزْمِ آمِرُ
وَأَوْرَدَهَا أَعْلَى "قَلُونِيَّةَ" امْرُؤٌ بَعِيدُ مُغَارِ الْجَيْشِ أَلْوَى مُخَاطِــرُ

وفي أثناء هذه الحركة الجبارة الشجاعة السريعة تتساقط أمامه المدن بضرب تسيل منه الدماء وتسقط فيه الشجعان وتفر منـــه الملـــوك وتؤخـــذ أسرى، "ومنها: أن سيف الدولة دخل بلد الروم، في سنة اثنتـــين وأربعـــين وثلاث مئة، وأغار على زبطرة، والتقاه قسطنطين بن بردس الدمستق على درب موزار وقتل من الفريقين خلق، ثم تم سيف الدولة إلى الفرات، وعبره، وقصد بطن هنزيط، ودخل سيف الدولة سميساط، فخرج الدمستق إلى ناحية الشام، فرجع سيف الدولة، فلحقه وراء مرعش، فأوقع به، وهـــزم جيـــشه، وقتل لاون البطريق في الحرب، وأسر قسطنطين ولـــد الدمـــستق، وحملـــه الإبريق إلى بيت الماء، وكان أمرد، فخرج فوجده قائماً يبكي، ولم يزل عنده حتى مات من علة اعتلها" [٢] .

---

(١) الديـــوان : ١٤٠

(٢) زبدة الحلب : ٧٣.

لقد أنطقت هذه الانتصارات الكبيرة ألسنة الشعراء مـدحا وتعظيمـا لـسيف الدولة، وإن أبا فراس لفي مقدمة المحتفين بالقائد المظفر[1]:

فَلَمَّا رَأَتْ جَيْشَ الدُّمُسْتُقِ رَاجَعَـــتْ   عَزَائِمَهَا وَاسْتَنْهَضَتْهَا الْبَصَـائِرُ
وَمَا زِلْنَ يَحْمِلْنَ النُّفُوسَ عَلَى الْوَجَى   إِلَى أَنْ خُضِبْنَ بِالدِّمَاءِ الأَشَاعِرُ
وَأُبْنَ بِقُسْطَنْطِينَ وَهْوَ مُكَبَّـــلٌ   تَحُفُّ بَطَارِيقٌ بِـهِ وَزَرَاوِرُ
وَوَلَّى عَلَى الرَّسْمِ الدُّمُسْتُقُ هَارِبـاً   وَفِي وَجْهِهِ عُذْرٌ مِنْ السَّيْفِ عَاذِرُ
فَدَى نَفْسَهُ بِابْنٍ عَلَيْهِ كَنَفْسِـهِ   وَلِلشِدَّةِ الصَّمَّاءِ تُقْنَى الذَّخَائِـرُ

ولا غرابة أن يحقق سيف الدولة تلك الانتصارات الضخمة فهو قوي شجاع ذو همة عالية لا يرده شيء ، فنراه يقطع الصحراء في شدة القيظ لا يركن إلى الدعة ولا ينتظر انقضاء الحر ، " ولم تكن غزوات سيف الدولـة في أرض الروم تقوم على غير أساس أو خطة ، بل كان يختـار الأوقـات المناسبة للغزو ، وكانت لهذه الغزوات أسماؤها التي تتفـق مـع أوقاتهـا ، فغزوات فصل الربيع كانت تسمى "الربيعيات" وغزوات فصل الصيف تسمى "الصائفات" وغزوات فصل الشتاء كانت تسمى "الشواتي"...وأما الـصائفات فكانت تبدأ في منتصف فصل الصيف ، وكانت معاركها في الغالب رهيبـة عنيفة يكثر فيها الكر والفر ، وتطول مـدتها وتكثـر ميادينهـا ، ويكـون البيزنطيون فيها أقدر على القتال ، ورغم ذلك كله كان المسلمون يـصمدون ويغنمون ويحصنون ثغورهم ، ويحصدون القمح والحبوب ، ويعودون بهـا إلى حلب وبقية مدن المملكة"[2] .

فسيف الدولة يتجشم الحرارة الشديدة ليصل إلى أعدائه لا يرده خوف ولا عجز ، ولا يرهبه موت فقد ألف حياة المصاعب[3] :

---

(١) الديوان : ١٤٢.

(٢) نفسـه :١٤٤

(٣) نفسـه : ١٤٤

وَجَشَّمَهَا بَطْنَ السَّمَاوَةِ قَائِظًـا وَقدْ أَوْقَدَتْ نَارَ السَّمُومِ الْهَوَاجِـرُ
وكَانَ أَخِي إِنْ رَامَ أَمْراً بِنَفْسِهِ فَلاَ الْخَوْفُ مَوْجُودٌ وَلاَ الْعَجْزُ ظَاهِرُ
وكَانَ أَخِي إِنْ يَسْعَ سَاعٍ بِمَجْدِهِ فَلاَ الْمَوْتُ مَحْذُورٌ وَلاَ السُّمُ ضَائِـرُ

لقد ملك سيف الدولة شجاعة كبيرة في نفسه وهبته صرامة قلب على الأهوال ، ورباطة جأش في المخاوف ، ولا شك أنها فضيلة عظيمة عندما يقدم في ساحات الوغى فلا يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة ، فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه ، وتلك محمدة عظيمة يخلعها أبو فراس على أميره(١) :

وَحَسْبِي بِهَا يَوْمَ الأُحَيدِبِ وَقْعَةً عَلَى مِثْلِهَا فِي الْعِزِّ تُثْنَى الْخَنَاصِرُ
عَدَلْنَا بِهَا فِي قِسمَةِ الْمَوتِ بَيْنَهُمْ وَلِلسَّيْفِ حُكْمُ فِي الْكَتِيبَةِ جَائِـرُ
إِذِ الشَّيْخُ لاَ يَلْوِي وَنَقْفُورُ مُحْجِرٌ وَفِي الْقَيْدِ أَلْفٌ كَاللُّيُوثِ قَسَـاوِرُ
وَلَمْ يَبْـقَ إِلاَّ صِهْـرُهُ وَابْنُ بِنتِهِ وَثَوَّرَ بِالْبَـاقِينَ مَنْ هُوَ ثَائِـرُ

لقد كانت موقعة "الحدث" من المعارك الكبيرة التي تسابق الشعراء إلى الإشادة بها ، وتخليدها شعرا يذكي الشعور بالفخر والهيبة ، "وقد كان الدمستق تسلم ثغر الحدث من أصحابه وأخربه في سنة سبع وثلاثين، فسار سيف الدولة إليه ونزله في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين فحط الأساس بيده ، وحفر أوله بيده وحفر الناس فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس في نحو من خمسين ألف فارس وراجل من الروس والبلغار والأرمن فصافه سيف الدولة في يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة إلى وقت العصر ثم حمل بنفسه في خمسمائة غلام من غلمانه فهزمه وأسر من بطارقته وخواصه جماعة وقتل نحو ثلاثة آلاف

(١) الديوان : ١٤٢-١٤٣ .

فارس وراجل ، وأقام على الحدث إلى أن بناه ووضع بيده آخر شرافة منه لثلاث عشر ليلة خلت من رجب من السنة"[١].

وَأَجْلَى إِلَى الْجوْلاَنِ كَلْبًــا وَطَيِّئًا   وَأَقْفَــرَ عَجْبٌ مِنْهُمُ وَأَشَاعِــرُ
وبَاتَتْ نــزَارٌ يقْسِــمُ الشَّــامَ بيْنَــهَا   كَــرِيمُ الْمُحَيَّــا لَوذَعِيٌّ مُغَــاوِرُ
عَلاَءُ كُلَيْبٍ لِلضِّبابِ عَــــلاَءَةٌ   وَحَاضِرُ طَيْءٍ للجَعَافِرِ حَاضِرُ

ونفس سيف الدولة التي تحيا بها الأمم ، وتقدم الأنفس فداء لهــا لا ترتفع منزلة عن المال فنفس سيف الدولة وماله في عينه سواء يبذلها رخيصة في سبيل مبادئه ودولته ، فلا موت يخيفه ولا فقر يثنيه بل زاد على ذلك ببذلها وهو يبتسم[٢] :

أَشِــدَّةٌ مَا أَرَاهُ مِنْكَ أَمْ كَــــرَمُ   تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالأَرْوَاحُ تُصْطَلَــمُ
يَا بَاذِلَ النَّفْسِ وَالأَمْوَالِ مُبْتَسِمًا   أَمَا يَهُولُكَ لاَ مَوْتٌ وَلاَ عَــــدَمُ

ويشتد إعجاب أبي فراس بشجاعة سيده وبأسه عندما يــرى ســيف الدولة يقدم نفسه في المعارك يريد إعطابها لأنه من فرط شجاعته يــرى أن السلامة في القتال عار وفضيحة[٣] :

لَقَدْ ظَنَنْتُكَ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ تَــــرَى   أَنَّ السَّلاَمَةَ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا تَصِــمُ

وسيف الدولة حينما يصول ويجول في ساحات القتال ، لا يأبه بقتال أعدائه منفرداً فهو عدل جيش[٤] :

إِذَا لَقِيتَ رِقَاقَ الْبِيضِ مُنْفَـــــرِدًا   تَحْتَ الْعَجَاجَةِ لَمْ تُسْتَكْثَرِ الْخَــدَمُ

(١) أخبار الدول المنقطعة : ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) الديوان : ٢٩٩ .
(٣) نفسه : ٢٩٩ .
(٤) نفسه : ٢٩٩ .

ليس قتال سيف الدولة منفرداً لضعف في جيشه ،أو جبن في أتباعه لكنه يريد أن يفدي أولئك الأتباع الذين رووا من شجاعة سـيف الدولـة ، وغذوا من بأسه ، وصنعوا على عينه وكان حقه وقتئذ أن يكونوا هم الفادين لأميرهم لكن شجاعته ، وضنه بأتباعه عن أن يصيبهم أذى قدم نفسه إلى المهالك(١) :

تَفْدِي بِنَفْسِـكَ أَقْوَامًا صَنَعْتَهُـمُ   وكَانَ حَقُّهُمُ أَنْ يَفْتَـدُوكَ هُـمُ

وَمَنْ يُقَاتِلُ مَنْ تَلْقَى القِتَالَ بِـهِ   ولَيْسَ يَفْضُلُ عَنْكَ الخَيْلُ وَالْبُهُـمُ

تَضِنُّ بِالْحَرْبِ عَنَّا ضَنَّ ذِي بَخَلٍ   وَمِنْكَ ، فِي كُلِّ حَالٍ يُعْرَفُ الكَرَمُ

سيف الدولة الحليم :

يقل حديث أبي فراس عن حلم سيف الدولة بالنظر إلى صفات أخرى أسبغها على الأمير كالسيادة والشجاعة ، ولعل من أسباب ذلـك أن وقـائع سيف الدولة ولقاءاته العسكرية كان معظمها مع الروم الذين كانوا يتربصون بالدولة الإسلامية وخاصة دولة بني حمدان في حلب فكان الحزم والقوة هي الأولى مع هؤلاء الذين يرون الحلم ضعفاً وذلة ، وهذه الحياة الحربيـة قـد ملأت حياة سيف الدولة حتى ودع مكانه ودنياه ، وعلى ما يبدو فإن بعد أبي فراس عن حياة سيف الدولة الخاصة ، حيث كان والياً على منبج لم يمكنـه من الاطلاع على هذه الصفة في حياة سيف الدولة مع أهل إمارته لهـذا ــ فيما أرجحه ــ لم تكن صفة الحلم بارزة في مدائح أبي فراس لسيف الدولة٠

و" الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد "(١) و" هو دلالـة كمـال العقـل

---

(١) الديوان : ٢٩٩

واستيلائه ، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل "[٢] وهذه الحال محمودة ما لم تؤد إلى ثلم جاه أو فساد سياسة وهي بالرؤساء والملوك أحسن ، لأنهم أقدر على الانتقام من مغضبهم "[٣].

وأبو فراس في مدحه لسيف الدولة يقرر هذه الصفة لأميره ، فيرى أن سيف الدولة هو الأحق بهذه الصفة دون غيره من الملوك[٤]:

وَأَنْتَ الكَرِيمُ وَأَنْتَ الحَلِيمُ وَأَنْتَ العَطُوفُ وَأَنْتَ الْحَـدْبُ

فسيف الدولة واسع الحلم ، صدره أوسع من الدهناء ، وقلبه رحب يجد به الجد موضعه والهزل موضعه[٥]:

مَحَلُكَ الْجَوزَاءَ بَلْ أَرْفَعُ وَصَدْرُكَ الدَهْنَاءَ بَلْ أَوْسَعُ

وَقَلْبَكَ الْرَّحْبُ الَذِي لَمْ يَزَلُ لِلجَدِ وَالهَزَلُ بِهِ مَوْضِعُ

" ضبط النفس عند هيجان الغضب"[٦]صفة لصيقة بسيف الدولة فهو يصفح عن المسيء ، ويضبط نفسه عند جهل أصحابه فلا يؤاخذهم بما يتقحمونه من أخطاء ولا يقابل السيئ بل يعفو ويصفح فـ"ليس ينبغي لمن كان الله عز وجل جعله سائس الناس : عامتهم وخاصتهم ، وعالمهم وجاهلهم ، وضعيفهم وقويهم ، وراجحهم وشائلهم ، أن يضجر مما يبلغه

---

(١) أدب الدنيا والدين ، الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي ، تحقيق : ياسين محمد السَّوَّاس ، دار ابن كثير ، ط١ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ، دمشق ، ص٣٩٧.

(٢) إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، خرج أحاديثه وعلق عليه د. محمد وهبي سليمان و أسامة عمورة ، دار الفكر ، ط١ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، دمشق ، ج٣ص١٩٤٨.

(٣) تهذيب الأخلاق للجاحظ : ٢٣ .

(٤) الديوان :٢٤

(٥) نفسه : ٢١٣

(٦) أدب الدنيا والدين : ٣٩٧.

عنهم ، أو عن واحد منهم لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقــولهم ، وحلمه أفضل من حلومهم ، وصبره أتم من صبرهم ؛ ومنها أنهم إنما جعلوا تحت قدرته ، ونيطوا بتدبيره ، واختبروا بتصريفهم على أمره ونهيه ؛ ليقوم بحق الله تعالى فيهم ، ويصبر على جهل جاهلهم ، ويكون عماد حاله معهم الرفق بهم ، والقيام بمصالحهم ، ومنها أن العلاقة التي بين السلطان وبــين الرعية قوية ؛ لأنها إلهية ، وهي أوشج من الرحم التي تكون بــين الوالــد والولد ، والملك والد كبير ، كما أن الوالد ملك صغير ، وما يجب على الوالد في سياسة ولده من الرفق به ، والحنو عليه ، والرقة له ، واجتلاب المنفعة إليه أكثر مما يجب على الولد في طاعة والده ، ذلك أن الولد غر ، وقريب العهد بالكون ، وجاهل بالحال ، وعار من التجربة ؛ كذلك الرعية الــشبيهة بالولد ، وكذلك الملك الشبيه بالوالد"[١] ، وعلى هذا أسس أبو فراس رؤيتــه لما يتصف به سيف الدولة حقيقة[٢]

وَأَسكنُ مَا كُنْتَ فِي ضَجْرَتِــي ... وَأَحْلَمُ مَا كُــنْتَ عِنْدَ الْغَضَبُ

فسيف الدولة يغضب حتى إذا ملك واستطاع الانتقام قــدّم الرضــا وعصى الغضب مع قدرته على الأخذ ، فمن ذلك ما ذكره ابن الأثير مــن أحداث سنتي (٣٥٢ و ٣٥٣) هــ ، من أن أهل طرسوس دخلوا بــلاد الروم غازين ودخلها أيضا نجا غلام سيف الدولة بن حمدان من درب آخر ولم يكن سيف الدولة معهم لمرضه ، فأوغل أهل طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا إلى قونية وعادوا ، فرجع سيف الدولة إلى حلب فأصابه في الطريق غشية ظن الناس أنه مات فوثب "هبة الله" ابن أخيه ناصر الدولة بن حمدان "بابن دنجا" النصراني فقتله وكان خصيصا بسيف الدولة ، ثم أفاق ســيف الدولة فلما علم "هبة الله" أن عمه لم يمت هرب إلى حران فلما دخلها أظهر

---

(١) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، عني به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، ط١ ، ١٤٢٥هــ ــ ٢٠٠٤م ، بيروت ، ص٣١٦ــ ٣١٧.

(٢) الديوان: ٢٥

لأهلها أن عمه مات ، فأرسل سيف الدولة غلامه "نجا" إلى حـران فطلب "هبة الله" فلما قاربها هرب "هبة الله" إلى أبيه بالموصل فنزل نجا على حران، فصادر أموال أهلها ، فلما اجتمعت عنده تلك الأموال قوي بها ، وسار إلى "ميافارقين" وقصد بلاد أرمينية ، فاستولى على كثير منها ، وأظهر العصيان على سيف الدولة ، واتفق أن معز الدولة بن بويه سار من بغداد إلى الموصل ونصيبين واستولى عليها وطرد عنها ناصر الدولة ، فكاتبه "نجا" يعده المعاضدة والمساعدة على مواليه بني حمدان ، فلما عاد معز الدولة إلى بغداد واصطلح هو وناصر الدولة ، سار سيف الدولة إلى "نجا" ليقاتله على عصيانه عليه وخروجه عن طاعته ، فلما وصل إلى ميافارقين هرب "نجا" من بين يديه ، واستأمن إليه جماعة من أصحاب "نجا" فقتلهم، وأرسل إلى نجا يرغبه ويرهبه إلى أن حضر عنده فأحسن إليه وأعاده إلى مرتبته[١] .

فسيف الدولة لا يعجل على المناوئ له الخارج عن طاعته فلعله يعود إلى رشده فيكون العفو والصفح هو المقدم على العقوبة ، وقد أشار أبو فراس إلى هذه الحادثة وهو في الأسر ثناء على سيف الدولة وتذكيرا له بان أبا فراس أحق بالرفد والمساعدة فهو عضد الأمير وساعده الذي لم يند عنه ولم يخرج عليه[٢]:

جَنَى جَانٍ وَأَنْتَ عَلَيهِ حَـانٍ ... وَعَادَ فَعُدْتَ بِالْكَرَمِ الْغَزِيـرِ
صَبَرتَ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَ طَوْعَـاً ... إِلَيْكَ وَتِلْكَ عَاقِبَةُ الصَّبُـورِ[٣]

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ ، ٧ / ٧ و ٩ ، أحداث سنتي (٣٥٢ ــ ٣٥٣ هـ)

(٢) الديوان : ١٩١.

(٣) قال ابن خالويه : واصطنع "سيف الدولة " غلامه " نجا الكاسكي " ؛ ونوه به ؛ وقلده "طرسوس" ، وسائر الأمور و "الثغور الشامية " ٠ واستكتب له الوزير " أبا عبدالله السامري" ؛ فند عنه ؛ وافتتح " منازكرد" ، و" خلاط" ، و "بركري" ، و "ذات الجوز" ، و"أرجيش" ؛ وقتل صاحبها "أبا الوردين سالماً " ؛ فكاتبه الأمير "سيف الدولة" ؛ فأقام على أمره حتى توجه

فَإِنْ يَكُ عَذْلَةٌ فِي الْجِسْمِ كَانَتْ فَمَا عَدَلَ الضَّمِيرُ عَنِ الضَّمِيرِ
وَمِثْلُ "أَبِي فِرَاسٍ" مَنْ تَجَافَى لَــهُ عَنْ فِعْلِــهِ مِثْــلُ الأَمِيرِ

وأعداء سيف الدولة إذا سقط في أيديهم ، ورأوا أنه قد ملك عليهم المنافذ ، فلم يعد لهم به طاقة ولا مهرب ، لجئوا إليه فعفا عنهم ، وهذا ديدنهم في الكر والفر مع سيف الدولة ، وهذا ديدنه ، كلما سلموا له عاد بالعفو والصفح عنهم مع قدرته على إبادتهم ، كما كان فعله مع القبائل التي خرجت عليه وقاتلته ، فخرج إليهم وبصحبته أبو فراس فقاتلهم حتى هزمهم، فولوا هاربين ، فلم ينج إلا من سبق به فرسه ، واتبعهم سيف الدولة حتى لحقهم فقتلهم ، وأهلكهم عطشا وقتلا ، ثم انكفأ سائرا إلى بني "تمير" وهي "بالجزيرة" فوجدها قد أخذت المهل ولحقته خاضعة ذليلة طائعة ؛ تعطي الرضا ، وتنزل على الحكم ، فصفح عنهم ، وأحلهم "بالجزيرة"[(١)]:

لقد شاهد أبو فراس ما لحق هؤلاء القوم من القتل والتشريد ، ثم شاهد ما منَّ به سيف الدولة على صائلهم من عفو وحلم .

لقد بلغ بهم الخوف مبلغا عظيما أيقنوا معه بالهلاك ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، واستجابت أعناقهم لداعي السيف لكنهم ذكروا عفو سيف الدولة وسعة حلمه فعادوا إليه خاضعين نادمين فكان العفو مع القدرة على العقاب .

إن " للطباع الأصيلة في النفس دخلا كبيرا في أنصبة الناس من الحدة والهدوء ، والعجلة والأناة ، والكدر والنقاء ، إلا أن هناك ارتباطا مؤكدا بين ثقة المرء بنفسه ، وبين أناته مع الآخرين ، وتجاوزه عن خطئهم ؛ فالرجل

إليه الأمير سيف الدولة " ؛ وانحل أمره حتى طرح نفسه بين يديه ، ورجع له ؛ وزاده على مرتبته ، الديوان ، ص ١٩٠ -١٩١ .

(١) الديوان :٣٢، ٣٣ .

العظيم حقا كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره ، وامتد حلمه ، وعذر الناس من أنفسهم والتمس المبررات لأغلاطهم !" [١]

وهكذا عبر أبو فراس عن هذه الخلة العظيمة التي وقف عليها في حياة سيف الدولة[٢]:

فَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنْ لاَ غَيَاثٌ ... دَعَوْهُ لِلمَغُوثَةِ فَاسْتَجَابَا
وَعَادَ إِلَى الجَمِيلَ لَهُمْ ؛ فَعَادُوا ... وَقَدْ مَدُّوا لِصَارِمِهِ الرِّقَابَا
أَمَرَّ عَلَيْهِمُ خَوْفَاً وَأَمْنَاً ... أَذَاقَهُمُ بِهِ أَرْيَاً ، وَصَابَا
أَحَلَّهُمُ الجَزِيرَةَ ، بَعْدَ يَأْسٍ ، ... أَخُو حِلْمٍ ، إِذَا مَلَكَ الْعِقَابَا

وسيف الدولة يغلب حلمه غضبه في مضنة القتل والأخذ والتشريد حين تأخذ القائد نشوة الانتصار فيعمل سيفه في عدوه ، لكن سيف الدولة يمن ويعفو" ومن الحق أن ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب بطولة لا يستطيعها إلا الأشداء أقوياء الإرادة ، والمؤمنون أقوياء الإيمان ، فليس من السهل إذا غضب الإنسان أن يضبط نفسه ويكف غضبه ، وليس من السهل إذا اغتاظ الإنسان أن يضبط نفسه ويكظم غيظه ، ويكف عن الانتقام ممن أغضبه أو غاظه"[٣].

لقد فاجأهم سيف الدولة بضربة سريعة قاضية كان نتيجتها أن النساء هن من بقي في استقبال سيف الدولة أما الرجال فقد ولوا هاربين لكن حلم سيف الدولة وكرمه قد وهب لهم أنفسهم وأعادهم إلى ديارهم وأهليهم[٤].

حَتَّى رَأَوْكَ أَمَامَ الْجَيْشِ تَقْدُمُهُ ... وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَا أَمِلُوا

---

(١) خلق المسلم ، محمد الغزالي ، دار القلم ، ط٢١ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ، دمشق ،ص١٠٧ .

(٢) الديوان :٣٧ .

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، ط٦ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ، دمشق ، ج٢ : ٣٤٣.

(٤) الديوان : ٢٥٨ .

فَاسْتَقْبَلُــوكَ بِفُرْسَـــانٍ أَسِنَّتُهَـــا   سُودُ البَرَاقِعِ والأَكْوَارُ وَالْكِلَلُ[1]
فَكُنْتَ أَكْرَمَ مَسْؤولٍ وَأَفْضَلَــهُ   إِذَا وَهَبْتَ فَلاَ مَنٌّ وَلاَ بُخُــــلُ

وهكذا هو حال سيف الدولة إنه ليدفع جيشه وقد أعمل سلاحه فــي عدوه لطفاً منه ورحمة وحلماً .

لقد كان سيف الدولة متسامحا رحب الصدر مع الثائرين من العرب الــذين حاولوا الخروج عليه مرارا ، لكنه علم أنهم مادته ، وأساس ملكه فكان عفوه مقدما على عقوبته " وقد انتبه أبو فراس إلى هذه الخلال الإنسانية الكريمــة التي صدرت عن ابن عمه سيف الدولة نحو هؤلاء العرب الثائرين ، فعــاد مرة أخرى وأنشد قصيدة أكثر إنسانية من قصيدته الأولى[2] التي يبدوا أنــه أنشدها في ميدان الحرب ، فلما خلا إلى نفسه ، ورأى ما صدر عن أميــره من إحسان وتكريم لنساء القبائل وقد وقعن في خضم من الفزع والرعــب ، أنشد يقول موجها إلى سيف الدولة"[3] مثنيا على حفظه للعرض العربي وذبه عنه[4]:

فَكُنْــتَ أَخَاهُــــنَّ إِذْ لاَ أَخٌ   وَكُنْــتَ أَبَــاهُنَّ إِذْ لَيْــسَ أَبْ
وَمَا زِلْتَ مُذْ كُنْتَ تُولِي الْجَمِيلَ   وَتَحْمِــي الحَرِيمَ وَتَرْعَى النَّسَــبْ

---

(١) الأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : جمع كلة وهي الستر الرقيق .

(٢) يشير إلى قصيدة أبي فراس التي مطلعها :
أَبَتْ عَبَرَاتُهُ إلا انْسِكَابًا   وَنَارُ ضُلُوعِهِ إلا الْتِهَابا
ومنها قوله :
أَلَمْ تَرَنَا أَعَزَّ النَّاسِ جَارًا   وَأَمْنَعَهُمْ ، وَأَمرَعَهُمْ جِنَابَا
لَنَا الْجَبَلُ المُطِلُّ عَلَى نِزَارٍ   حَلَلْنَا النَّجْدَ مِنْهُ والهِضَابَا
وَقَدْ عَلِمَتْ رَبِيْعَةُ بَلْ نِزَارٌ   بِأَنَّا الرَّأسُ والناسُ الذُنَابَى
فَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفَهَاءُ كَعْبٍ   فَتَحْنَا بَيْنَنَـــا لِلْحَرْبِ بَابَا
(الديوان :٣٣، ٣٤).

(٣) سيف الدولة : مملكة السيف ودولة الأقلام : ١٦٤.

(٤) الديوان : ٢٨.

وَتَغْضَبُ حَتَّى إِذَا مَا مَلَــــكْتَ   أَطَعْتَ الرِّضَى وَعَصَيْتَ الْغَضَبْ

وللفرسان المقاتلين من الحلم مثل غيرهم ، يقول أبو فراس[1]:

عَجِبْتُ وَقَدْ لَقِيــتَ بَنِي كِــــلاَبٍ   وَأَرْوَاحُ الْفَــوَارِسِ تُسْتَبَــــاحُ
وَكَيْفَ رَدَدْتَ غَرْبَ الْجَيْشِ عَنْهُمْ   وَقَدْ أَخَذَتْ مَــآخِذَهَا الرِّمَـــاحُ

وحلم سيف الدولة يمتد إلى العدو غير العربي طبعا وسجية وإن ناصبه العداء فسيف الدولة يصطنع عنده المعروف كرما وتفضلا وحلما .

ذكر ابن العديم أن الإخشيد سير عسكراً إلى حلب مع كافور ويأنس المؤنسي، وكان الأمير سيف الدولة غازياً بأرض الروم فرجع فسار إلى الإخشيدية، فلقيهم بالرستن ، فحمل سيف الدولة على كافور، فانهزم، وازدحم أصحابه في جسر الرستن، فوقع في النهر منهم جماعة، ورفع سيف الدولة السيف، فأمر غلمانه أن لا يقتلوا أحداً منهم، وقال: الدم لي والمال لكم ، فأسر منهم نحو أربعة آلاف من الأمراء وغيرهم، واحتوى على جميع سواده ، ثم أطلق سيف الدولة الأسارى جميعهم، فمضوا وشكروا فعله [2] . هذا الموقف وغيره من مواقف الكرم والحلم التي شاهدها أبو فراس في أميره قد أثارت شاعريته فعبر عنها في مثل قوله :[3].

حِلُوا بِأَكْرَّمَ مِنْ حَلَ العِبَادَ بِــهِ   بَحَيْثُ حَلَ النَّدَى وَاسْتَوثَقَ الكَــرَمُ

وسيف الدولة يلتمس العذر للمذنب المسيء قد لج في الإساءة فلا يتعجل في أخذه بل يفتش له عن أسباب تحمله على الصفح والعفو وتبطل كل ظن قبيح قد يحمل على العقوبة [4]:

وَلِي مَوْلًى أَسَأْتُ إِلَيْهِ جُهْـدِي   فَحَمَّلَ حِلْمَهُ مَا رَابَ مِـنّي

---

(١) نفســه : ٧٤ ، ٧٥.
(٢) انظر : زبدة الحلب : ٦٨.
(٣) الديــوان : ٢٩١.
(٤) نفســـه : ٣٣٠

وَأَكْثَرَ فِي الْعِتَابِ عَلَى ذُنُوبِي فَيَطْلُبُ عِلَّـــةً لِلصَّفْحِ عَنِّي
وَأَبْطَلَ كُلَّ ظَنّ بِي قَبيـــــحٍ لِحُسَّادِي وَحَقَّقَ حُسْنَ ظَنِّي

وليس حلم سيف الدولة عن جهل بحال المسيء أو ضعف عن الأخذ والمساءلة فالذنوب كثيرة مشاهدة لكن الحلم يغلب الغضب حتى غدا الحلـم عادة لا تنفك عن سيف الدولة[1]:

إِنْ لَمْ تُجَافِ عَنْ الذُّنُـــو بِ وَجَدْتَهَا فِينَـــا كَـــــثِيرَهْ
لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَمِيــــــــــ ــــلَةَ أَنْ تَغُضَّ عَلَى بَصِيرَهْ

سيف الدولة الكريم :

الكرم خلة عظيمة إذا تقلدها أمرؤ وصل بها إلى مبتغـــاه ومـــراده، تقرب له الصديق والعدو، وتخلع عليه صفات الحـــسن ، وتبلغـــه مراتـــب السيادة. قال بعض الفصحاء : " جود الرجل يحببه إلى أضـــداده ، وبخلـــه يبغضه إلى أولاده "[2] وقالوا في ذلك أيضا : " خير الأقوال ما استرق حراً ، وخير الأعمال ما استحق شكراً "[3] وحينما يتصف الإنسان بالكرم والجـــود والسخاء يقبل عليه الناس ويتبارون في القرب منه واصطناع المعروف لديه ولا غرابة فإن السخاء من أخلاق الأنبياء – عليهم السلام- ، وهو أصل من أصول النجاة " [4].

والمتأمل في سيرة سيف الدولة الحمداني يجد الكرم والجود والسخاء تتبارى في يده ، وتتصرف طوع أمره قال عنه ابن كثير : أحـــد الأمـــراء الشجعان والملوك الكثيري الإحسان ٠٠٠٠ وكان سيف الدولة كريماً جواداً

---

(١) الديـــوان : ١٢٢
(٢) أدب الدنيا والدين : ٢٩٧ ٠
(٣) نفســـه : ٢٩٧ ٠
(٤) انظر :إحياء علوم الدين: ج٣ ص٢٠٨٢ ، ٢٠٨٣ ٠

معطياً للجزيل[١] قال الثعالبي : " وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال"[٢].

وأبو فراس الحمداني لا يفتأ يذكر هذا الخلق العظيم في شعره الذي بذله لسيف الدولة حباً وإكباراً وإجلالاً ، وأبو فراس لا يجد أي غرابة في كون سيف الدولة كريماً فهو من أسرة كريمة لا ينقطع الضيف عن منازلهم، فهم مأوى للكرم ، ومحل لاستقبال الضيفان[٣]:

إِقْرَا السَّلاَمَ مِنْ الأَسِيرِ الْعَانِي ... إِقْرَا السَّلاَمَ عَلَى بَنِي حَمْدَانِ

إِقْرَا السَّلاَمَ عَلَى الَّذِينَ بُيُوتُهُمْ ... مَأْوَى الْكِرَامِ ، وَمَنْزِلُ الضِّيفَانِ

فأسرة بني حمدان التي ينتسب إليها سيف الدولة أسرة كريمة فحق لكل من أنتسب إليها أن يكون كريماً ، فقد " كان حمدان بن حمدون على جانب من الثراء ، وكان يجمع إلى ثرائه وغناه خلقا عاليا وكرما واسعا ، فقد أجدبت الأرض بديار ربيعة والموصل ذات سنة ففزع أهلها إليه فتكفل بميرتهم جميعا ما وسعه ذلك ثم تلا العام عام مثله فلم يقصر وفعل معهم مثل فعله في العام الذي انقضى "[٤] ، ومن انتدب نفسه لسياسة الناس وللملك فلا بد أن يغدق عليهم وأن يعطيهم . وآل حمدان كانوا يعدون أنفسهم للملك ، ومن سعى للملك أعد له عدته . على أن الحمدانيين وإن كانت أعينهم على الملك فإنهم قبل ذلك عرب أصلاء ، فقد كانوا " أصحاب كرم وسماحة ونجدة وغيرة ، يؤثرون على أنفسهم سواء أكانوا في عسر أم يسر.

---

(١) البداية والنهاية : ج١١ ص٢٨١.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ج١ص٣٧.

(٣) الديوان : ٣٤١-٣٤٢

(٤) انظر نفسه : ١٢٩

الحق أن كل هذه الصفات ليست غريبة عن قوم لهم في العروبة أصول ثابتة وجذور عميقة [١]" . وأبو فراس يلمس هذا الجانب في شخصية سيف الدولة فينبهه عليها ، ويذكره بها : [٢]

أَلَسْتُ وَإِيَّاك مِنْ أُسْـــــرَةٍ   وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ قُــرْبُ النَّسَـــــبْ

وَدَارٍ تَنَاسَبُ فِيهَا الْكِــرَامُ   وَتَرْبِيَةٍ وَمَحَــلٍّ أَشِـــــــــبْ

وسيف الدولة الكريم ابن سادة كرام ، فقد ورث خلة الكرم فكــان كريمــا جوادا ، " وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بهــا أيام المجد ، وتخلد في صحائف حسن الذكر" [٣]:

فَإِنْ هُنَّ يَابْنُ السَّرَاةِ الْكِرَامُ   رَدَدْنَ الْقُلُوبَ رَدَدْنَا النُّهُــبُ

فهو فرع من أصل كريم ،ورثه في كرمه ، ونهل من جوده [٤]:

وَهَذَا السَّيْلُ مِنْ تِلكَ الغَّوَادِي   وَهَذْي السُّحُبُ مِنْ تِلكَ الرِّيَــاحِ

قال ابن خالويه :" والعرب تدعو سيف الدولة :" أبا الفــيض " لفيــضه عليهم بالإحسان ؛ وسرنا معه إلى " ديار بكر" سنة (٣٣٨) ؛ فأقام يميــر الناس على طبقاتهم مدة إقامته ، وكان جده " أبو العباس " حمدان بن حمدون " مار " المعتضد " وحاشيته وقت إصعاده إلى " الطولونية ". ولقد حدث أبو العباس حمدان بن حمدون قال : كنت عديل المعتضد في طريقه ذلك ، من " الحديثة " إلى " رأس عين " ، وهو يتمنى أن يصير إليها ؛ فيكافئني ، فلمــا وصل إليه الأمر لم يبتدئ بغيره وأخذ منه أموالا ، نحو ثلاث مئــة ألــف

---

(١) سيف الدولة :مملكة السيف ودولة الأقلام : ٣٢

(٢) الديوان : ٢٥

(٣) نفســه : ٢٨

(٤) نفســه: ٨٣

دينار، وحبسه إلى أن أخذ ابنه " الحسين الشاري " فسئل في إطلاقه فأطلقه"[١].

وما دام سيف الدولة قد رضع خلق الكرم من أسرة كريمة ، فقد شب هذا الخلق معه ونما وكبر وزكا حتى استوى على عوده [٢] :

لَقَدْ فَقَدتَ أَبِي طِفْلاً فَكَانَ أَبِي   مِنَّ الرِّجَالِ كَرِيمُ العُودِ نَاضِرُهُ

" إن اكتساب خلق حب العطاء يولد في الفرد شعورا بأنه جزء من الجماعة ، وليس فردا منعزلا عنهم إلا في حدود مصالحه ومسؤولياته الشخصية.

فهو بهذا الشعور النبيل يجد نفسه مدفوعا إلى مشاركتهم في عواطفهم مشاركة وجدانية ومشاركة مادية ، فيفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم ، ويتألم عندما يتألمون ، وينشرح صدره إذا وجدهم منشرحين ، ويساهم معهم في الأعمال العامة ، ويعين منهم ذا الحاجة بجسمه ، أو جاهه ، أو ماله ، أو شفاعته في الحق ، أو عواطفه ومشاعره وتعبيراتها" [٣]

ويشير أبو فراس إلى وفاء سيف الدولة لأسرته التي نما وزكا فيها وأخذ عنها المجد والكرم ، فسيف الدولة لا ينسى أهله في كربهم وعسرهم ، ولا يضعهم بل هو حافظ أمين لهذه الأسرة فهو أخو الكرم والوفاء والصلة:[٤]

لَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَوْلَى الَّذِي   لَمْ أَنْسَهُ وَأَرَاهُ لاَ يَنْسَانِي

أَيُضِيعُنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ لِيَ حَافِظاً   كَرَماً وَيَخْفِضُنِي الَّذِي أَعْلاَنِي

خِدْنُ الْوَفَاءِ وَلاَ وَفِيٌّ غَيْرَهُ   يَرْضَى أُعَانِي ضِيقَ حَالَةِ عَانِ

---

(١) الديوان : ١٤٤.

(٢) نفسه : ١٧٥.

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها : ٣٧٨ .

(٤) الديوان : ٣٤١.

لقد حصل سيف الدولة من المكارم أعلاها وأكملها فهو السيد الكريم الذي تتبارى المكارم في راحتيه في أتم صورها وأجلى معانيها:[١]

يَا سَيِّدًا ، مَا تُعِدُ مَكْرُمَــــةً   إِلاَّ وَفِي رَاحَتَيهِ أُكَمِلُهَـــــا

حلت المكارم عنده فلا تغادره ، ووثق الكرم أن سيف الدولة لن يدعه فإذا حل بداره قوم وثقوا أنهم قد نزلوا بأكرم مسؤول ، وأندى يد .

" إن الكرم يتضمن فكرة المجانية ، فكرة الإفضال ، إنه رفعة ونبل لأنني أمتنع به عن نوال حقي لمصلحة الآخر . إن الكرم يتفجر في العفو والمغفرة ، وهو يذكرنا بأن مبدأ لكل حقه ، وبوجه عام بأن القواعـد التـي تـسود العلاقات الاجتماعية لا تستنزف إمكانات العلاقات بين الشخصية . هناك ما يجاوز العدالة : إنه الكرم"[٢].

فكرم سيف الدولة ليس كرماً عادياً يستطيعه أي أحد فهو بحر وغيره خلجان ، لقد خاض في المكارم خوضاً لا يستطيع غيره أن يفعل فعله: [٣]

لَكَ بَحْرٌ مِنْ النَّدَى كُلُّ بَحْـــرٍ   مِنْ بِحَارِ النَّـدَى لَدَيْهِ خَلِيــجُ

أَنْتَ لَجَّجْتَ فِي الْمَكَارِمِ ما كُــ   ـلُّ كَرِيمٍ مِنْهَا لَهُ تَلْجِيــــجُ

لقد كان سيف الدولة صاحب منن كبيرة ، ونعم عظيمة على أتباعه خاصتهم ــ كأبي فراس ــ وعامتهم ، فكرمه قريب المنـال لمجتديـه ، لا يترفع على أحد ٠ فلا يستطيع أحد أن يغمز في هذه الخصلة ، ومن فعل فهو جاحد مخاتل : [٤]

عَلَيَّ لِسَـيْفِ الدَّوْلَةِ الْمُـلْكِ أَنْعُـمٌ   أَوَانِسُ لاَ يَنْفِرنَ عَنِّي رَبَائِبُ

---

(١) الديوان : ٢٦٤.

(٢) المواقف الأخلاقية ، روجيه ميل ، ترجمة : د. عادل العوا ، منشورات عويدات ، ط١ ، ١٩٨٧م ، بيروت ، ص ١٢٥ ، ١٢٦.

(٣) الديوان : ٧١.

(٤) نفســه :٤١-٤٢.

أَأَجْحَــدُهُ إِحْسَـــانَــهُ بِيَ إِنْـــنِي   لَكَافِرُ نُعْمَى إِنْ فَعَلْتُ مُوَارِبُ

وكيف يستطيع جاحد أن ينكر إنعام سيف الدولة وكرمه وقد عم كل مجتد ، وغمر كل طالب [١]:

فَجُودُكَ الْغَامِــرُ مَا يَنْقِضــي   وَفَضْلُكَ الْبَاهِــرُ لاَ يُدْفَـــعُ

قد عم فضله كل الأمم ، ونال سيبه جميع النـاس ، فالكــل يعــيش في بحبوحة فضل الأمير. قال الثعالبي : "حدثني أبو الحسن علي بن محمــد العلوي الحسيني الــهمداني الوصي، قال: كنت واقفاً في السماطين بين يدي سيف الدولة بحلب، والشعراء ينشدونه، فتقدم إليه أعرابــي رث الـــهيئة، فاستأذن الحجاب في الإنشاد، فأذنوا لــه، فأنشد:

أَنْتَ عَلــيٌّ وَهَذِهِ حَلَــبُ   قَدْ نَفِدَ الزَادُ وَانْتَهَى الطَلَبُ

بِهَذِهِ تَفْخَرُ البِلاَدُ وَبِالأَمِيرِ   تَزْهَــى عَلَى الوَرَى العَرَبُ

وَعَبْدُكَ الدَّهْرُ قَدْ أَضَرَّ بِنَا   إِلَيْكَ مِنْ جَورِ عَبْدِكَ الْــهَرَبُ

فقال سيف الدولة، "أحسنت، ولــه أنت!". وأمر لــه بمائتي دينار[٢]:

وأبو فراس ما يفتأ يصور هذه المواقف النبيلة ، والصور المشرقة الكريمة التــي امتدت بها يد سيف الدولة إلى كل أحد[٣] :

لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ أُمَّةٌ عُرِفَتْ   إلاَ وَفَضْلُ الأَمِيرِ يَشْمُلُهَــا

" حدث مرة أن انصرف سيف الدولة من حرب ، فــدخل عليــه الــشعراء فأنشدوه ، فدخل معهم رجل شامي فأنشده :

وكَانُوا كَفَأرٍ وَسْوَسُوا خَلفَ حَائِــطٍ   وكُنْتَ كَسِنَّورٍ عَلَيْهِمُ تَسَقَّفَــا

---

(١) الديوان : ٢١٣

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ٤٢.

(٣) الديوان : ٢٦٥.

فأمر بإخراجه ، فوقف على الباب يبكي ، فأُخبِر سيف الدولة ببكائه ، فأمر برده ، فقال له الرجل: قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه ، أطلب منه بعض ما يقدر عليه ، فلما خاب أملي بكيت . فقال له سيف الدولة : ويلك ! فمن يكون له مثل هذا النثر ، يكون له مثل هذا الشعر ؟ وكم كنت أملت ؟ قال خمس مئة درهم . فأمر له بألف درهم" [١].

فسيف الدولة يعطي بلا من ولا بخل ، لا أحد يضارعه في كرمه ، فهو أكرم مسؤول وأعم الملوك فضلاً [٢]:

فَكُنْتَ أَكْرَمَ مَسْؤولٍ وأَفْضَلَهُ إِذَا وَهَبْتَ فَلاَ مَنٌّ وَلاَ بُخُلُ

جمع مكارم الأخلاق فليس يفوته من ذلك شيء حتى غدت مكارمه واضحة لكل أحد[٣] :

وَإِنَ مَعَالِيهِ لَكُثْرٌ غَوَالِبُ وإِنَ أَيَادِيهِ لَغُرٌ غرَائِرُ

وسيف الدولة سباق إلى كل مكرمة ، يجد أضيافه كل خصب وندى ، فما حل بداره أحد إلا عاد بغنم وذلك ديدنه في كل أحواله ، يخص أهله وإخوانه بالكرم والرفد مع ما يبذله للناس جميعا من الإحسان والكرم:[٤]

وَمَا زِلْتَ تَسْبِقُنِي بَالْجَمِيلِ وَتُنْزِلُنِي بِالْجنَاب الْخَصِبْ
عُلًى تُسْتَفَادُ وَعَافٍ يُفَادُ وَعِزٌّ يُشَادُ وَنُعْمَى تُرَبْ

ينال أعداؤه من فضله كما ينال أصحابه فلا يحمل في صدره غل على خارج عليه أو مناوئ له إذا عاد إلى رشده وعلم قدر الأمير فلا يأخذه سيف الدولة بجريرة سابقة بل يغدق عليه من جوده وكرمه[٥]:

---

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : ١١٣
(٢) الديوان : ٢٥٨
(٣) نفسه : ١٣٩
(٤) نفسه : ٢٤ .
(٥) نفسه : ١٩١

جَنَى جَانٍ وَأَنْتَ عَلَيهِ حَـــــانٍ   وَعَادَ فَعُدْتَ بِالْكَرَمِ الْغَزِيــرِ

وينبه أبو فراس على أن سيف الدولة كريم في المواضع التي ينبغي فيها الكرم ويحسن ، فإذا كان الموضع موضع حزم وقوة كان سيف الدولــة أحق به وأولى : [١]

صَفُوحٍ عِنْدَ قُدْرَتِه كَرِيــمٌ   قَلِيلُ الصَّفْحِ مَا بَيْنْ الصِفَـــاحِ

إن للصفح مواضع وللحزم مواضع لا تتداخل فلكل موضعه ومحلــه بحــسب اقتضاء المراد "فالمرء يعزم على صنع ما كان لا يريده لأنه يدرك أن لا بد مما ليس منه بد. وعلى العكس ؛ فإن الحزم ، وموقف الحزم يدلان على أن شيئا لا يستطيع أن يحملني على التراجع عن قرار قطعت فيه بحرية لأننـــي أعتقد أن هذا الفعل صالح عادل ضروري. ومن الحق القول بـــأن النظــر باعتبار إلى الضرورة قد ينطوي على أنني لا أنتهي إلى هذا القرار الحازم من تلقاء نفسي ، وإنني إنما قررت بمراعاة الظروف والوضع مما لا أسيطر عليه ، وما كنت أن يكون على منوال آخر . ولكن قراري الحـــازم إشـــارة على أنني أريد حلا لوضع معطى ، وإنني لا أقبل أن يتحول الوضـــع إلـــى درب مسدود ... إن الإنسان الحازم هو من لا يستسلم أما حتمية قـــاهرة ، وهو يعتبر ــ على العكس ــ أن في وسعه على الأقل أن يحاول التأثير في مجرى الحوادث ولذا فإنه ، من ثم ، يقيم جهازا لتوجيه هذا المجرى لصالحه "[٢].

سيف الدولة الجافي :

أسر أبو فراس بعد أن أبلى في خدمة ســيف الدولـــة ، ، والدولـــة الحمدانية بلاءً حسناً ، وكان ظنه في أميره أن يهب من فوره لفداء الفـــارس الأمير ولكن سيف الدولة أبطأ عن الفداء ولم يلتفت إلى طلب أبي فراس لأن

---

(١) الديوان : ٧٨

(٢) المواقف الأخلاقية : ١٤٣ ، ١٤٤.

سيف الدولة فيما قيل كان يريد أن يفتدي جميع أسرى المسلمين الذين كانوا في يد الروم لا أن يفتدي أبا فراس وحده.[1]

لقد رأى أبو فراس في تأخر فدائه مهانة له ما كان ينتظرها من أميره المفدى ؛ فأخذ يرسل له كثيراً من القصائد التي تنوعت بين الرقة والهدوء حينًا ، والعنف والشدة حينًا آخر "[2] تحمل كثيراً من العتاب وكثيراً من الشكوى ، لكنه عتاب ممتزج بمدح يذكر به أبو فراس تلك الأيادي البيضاء التي حضنته صغيراً ، وقامت على تربيته وتنشئته حتى كان أبا فارس الفارس الشاعر ، والعتاب : "من الفنون التي تجيش بالعواطف الزاخرة التي يحملها الشاعر نحو صديق كان بينهما مودة وحب ، ثم طرأ على علاقتهما ما شابها وعكر صفوها ، فيعمد الشاعر في عتابه إلى لون من المؤاخذة الرقيقة التي يذكر فيها ماضي ودهما ويفصل فيها ما كان يربط بينهما من علاقات طيبة في شيء من التقريع الذي يعنف حيناً ، ويرق أحياناً، وقد ازدهر هذا اللون في الشعر حين تشعبت الحياة الاجتماعية وتعددت نواحيها .

ولم يكن العتاب يوجه إلى الأصدقاء فحسب ، بل كثيراً ما كان يوجه إلى الأمراء وذوي السلطان ، وفي هذه الحالة يكتسي بغلالة من المديح الرقيق "[3] ، لقد " برز هذا الفن الشعري بجلاء في شعر أبي فراس بعد أسره ولا غرو في ذلك فقد تضافرت عوامل متعددة على ذلك: سجن وأسر ، وغربة وبعد الأهل والوطن ، وبعد عن المطامح التي كانت تراود أحلامه والميادين التي كان يصول فيها ويجول ، مثل الفروسية والكرم ، وتأخر في

---

(1) انظر : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، للقاضي أبي علي الحسن التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي المحامي ، مطبعة مصر ١٣٩١هـ ، القاهرة ج١ص ٢٢٨.

(2) أبو فراس الحمداني في رومياته ، د. خالد بن سعود الحليبي ، نادي المنطقة الشرقية الأدبي ط١ ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م ، ص٧٧ .

(3) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : ٢٦٨ .

افتدائه ، وتنكر أقاربه وأصدقائه ، والأهم من ذلك كله حالة أمه العجوز التي كانت تعاني من سوء صحتها ، وبخاصة بعد أن وقع وحيدها في الأسر "[١].

أمام ذلك كله وجه أبو فراس رسائل شعرية كثيرة في عتاب سيف الدولة ، عتاب " بعضه رقيق يخالطه المديح والاستعطاف ، وبعضه عنيف يصل إلى حد التعريض بالأمير "[٢] ، حاول أبو فراس في قصائد العتاب التي كان يبعث بها إلى سيف الدولة أن يرسم صورة متكاملة لشخصية سيف الدولة وهي صورة ستكون واضحة المعالم بما عرف الأسير عن الأمير .

لقد رسم أبو فراس لأميره صورة عالية جميلة من السيادة والشرف إلى الكرم والحلم والإسراع في قضاء حوائج الناس شابها شيء من القتامة التي قد تكون الحالة النفسية لأبي فراس قد ساعدت في قتامتها مصطبغة بألم الأسر وتجاهل الأمير ، فأبو فراس يريد من أميره كمالاً عالياً لا يشوبه شيء ، لكنه لم يظفر بتلك الصورة الكاملة التي حاول تجسيدها في شعره قبل الأسر ، وظل يلح عليها وهو أسير .

يقابل أبو فراس في عتابه لسيف الدولة بين صورتين ؛ الصورة الأولى : صورة السيد العظيم ذي العزة والمنعة الذي حوى خلال المروءة من كرم وحلم وعطف وإسراع في قضاء الحاجات ويلح على هذه الصور كثيراً في عتابه ، فسيف الدولة السيد العظيم ذو العزة والمنعة لا يرضى الضيم كان ينبغي له الإسراع في فك أسره ولو على دماء الأبطال فكيف بالفداء وهو الكريم الذي يبذل ما له لكل أحد فكيف يضن به على فارس بني حمدان ، وهو الحليم الذي يصفح ويعفو إن كان أبو فراس قد قارف خطيئة أو ألم بجرم ، وهو العطوف الذي يرق قلبه للبعداء فكيف برفيق دولته وفارسه الشجاع ، وسيف الدولة مبادر إلى الفضل والجميل وأبو فراس أحق بأن يبادر سيف الدولة في فكاكه ؛ تلك هي الصورة الجميلة الزاهية التي

---

(١) أبو فراس "حياته وشعره" : ٢٩٥ .

(٢) نفسه : ٢٩٦ .

ألفها عن سيف الدولة ، أما الصورة الثانية ، فقد ظهرت بعد الأسر وهي صورة قاتمة اصطبغت بنفسية أبي فراس المتألمة في الأسر ، فكان الجفاء والغضب والهجران الذي ظنه أبو فراس من أميره. يقول الدكتور زكي المحاسني : " وقد فات مؤرخي العرب الذين ذهبوا فذهب التعليل الخاطئ إذا زعموا أن سيف الدولة تجافى عن ابن عمه وقعد عن فدائه ؛ فاتهم أن يعرفوا الحالة السياسية والاجتماعية التي كان عليها سيف الدولة حينذاك .

إنه كان كالخارج من الموت ، حلب مهدمة ، ورجاله منفكون عنه ، وبعضهم قتل أو أسر . وما له الذي كان في بيته في حلب في (الحلية) منهوب ، حمله البيزنطيون إلى القسطنطينية وغلمانه شامسون يتربصون به الوثوب عليه ، والرومان ظافرون ظفراً لم يحلموا بمثله منذ عهد الفتح الإسلامي ، زمن الخلفاء الراشدين حين جاء الإسلام بلادهم. فلم يعد لسيف الدولة عندهم ذلك المجد الحديدي ، وتلك الصولة التي كانت ترهبهم ، كل هذه الأمور لم يعرض إلى واحد منها أحد من مؤرخي العرب بما فيهم ابن خلدون ، كما لم يعرض لها مؤرخو التاريخ البيزنطي الذي نقله لنا هواة البحث فيه من مؤرخي الفرنجة . [1] ولعل ظن أبي فراس بسيف الدولة هو الذي دفعه إلى عتاب سيف الدولة بهذه الأبيات التي يلمح أبو فراس فيها إلى تعارضها مع صفات الملك والسيادة ومكارم الأخلاق: [2]

أَسَيْفَ الْعِدَى ، وَقَرِيعَ الْعَرَبْ   عَلاَمَ الْجَفَاءُ! وَفِيمَ الْغَضَبْ !؟
وَمَا بَالُ كُتْبِكَ قَدْ أَصْبَحَتْ   تَنَكَّبُنِي مَعَ هَذِي النُّكَبْ
وَأَنْتَ الْكَرِيمُ ، وَأَنْتَ الْحَلِيمُ ،   وَأَنْتَ الْعَطُوفُ ، وَأَنْتَ الْحَدِبْ

(1) شعر الحرب في أدب العرب : ٣١٦

(2) الديوان : ١٤-٢٥

وَمَا زِلْتَ تَسْبِقُنِي بَالْجَمِيلِ   وَتُنْزِلُنِي بِالْجنَابِ الْخَصِبْ
وَتَدْفَعُ عَنْ حَوْزَتَيَّ الْخُطُوبَ   وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيَّ الْكُرَبْ

وأبو فراس يعتب على سيف الدولة تغيره الذي لم يعتده منه فسيف الدولة الذي طال بكرمه وجوده كل أحد حري به أن يسع أبا فراس بشيء من ذلك لكن سيف الدولة لم يفعل حينما أثاقل عن فدائه ، وتركه قربة للعدو الذي لا يرحم [1]:

وَأَفْعَالُهُ لِلرَّاغِبِينَ كَرِيمَةٌ   وَأَمْوَالُهُ لِلطَّالِبِينَ نِهَابُ
وَلَكِنْ نَبَا مِنْهُ بَكَفِّيَ صَارِمٌ   وَأَظْلَمَ فِي عَيْنَيَّ مِنْهُ شِهَابُ
وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيعَةٌ   وَلِلْمَوتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطلَّ وَنَابُ

ويلمس أبو فراس شيئاً من أسباب تغير سيف الدولة عليه حينما غمز إلى خموله وعدم معرفة الناس به ، فقد حدث ابن خالويه قال : " وتأخرت كتب سيف الدولة عن أبي فراس وهو في الأسر ٠ وذلك أنه بلغه أن بعض الأسراء قال " إن ثقل هذا المال على الأمير كاتبنا فيه صاحب خُراسان وغيره من الملوك وخفف علينا الأسر " وذكر أنهم قرروا مع الروم إطلاق أسراء المسلمين بما يحملونه ٠ فآتهم سيف الدولة أبا فراس بهذا القول لضمانه المال للروم وقال : " من أين يعرفه أهل خراسان ؟ " فقال أبو فراس – رحمه الله تعالى – هذه القصيدة وأنفذها إلى سيف الدولة رحمه الله تعالى ٠ [2] :

فَفِيمَ يُعَرِّضُنِي بالْخُمُو   لِ مَوْلًى بِهِ نِلْتُ أَعْلَى الرُّتَبْ
وَكَانَ عَتِيدًا لَدَّيَ الْجَوَابُ   وَلَكِنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِبْ

---

(١) الديوان : ٤٧.
(٢) نفسه : ٢٥.

إن كان أبو فراس خاملاً فمن سيف الدولة أخذ أخلاقه ، فإن كان ذا فضل فلسيف الدولة وإن كان الخمول فلسيف الدولة[١]:

فَلاَ تَنْسِبَنَّ إِليَّ الْخُمُـــولَ أَقَمْـتُ عَلَيْكَ فَلَمْ أَغْـتَرِبْ
وَأَصْبَحْتُ مِنْكَ فَفَضْلٌ يَكُونُ وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ فَأَنْتَ السَّبَبْ

ونسبة سيف الدولة الخمول إلى نفسه بما نسب إلـى أبـي فـراس يتعداهما إلى أسرة بني حمدان فهي أسرة خاملة أيضاً لا يختص بذلك سيف الدولة وأبو فراس[٢] :

وَمِنْ أَيْنَ يُنْكِرُنِي الأَبْعَدُونَ أَمِنْ نَقْصِ جَدٍّ أَمِنْ نَقْـصِ أَبْ
أَلَسْتُ وَإِيَّاك مِنْ أُسْـرَةٍ وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ قُـرْبُ النَّسَـبْ
وَدَارٍ تَنَاسَبُ فِيهَا الْكِـرَامُ وَتَرْبِيَةٍ وَمَحَـلٍّ أَشِـبْ

وسرعان ما يتنكر سيف الدولة لفارسه الشجاع أبي فراس فيمر اسم البطل الشجاع على مسمع سيف الدولة لا يلقي له بالاً بل يزيد إمعانـاً فـي تجاهله إذ عاتبه قومه على إبطائه عن الفداء أن يسأل عنه سـؤال المنكـر المتجاهل : من حارث ؟

لقد نقض سيف الدولة العهود والمواثيق فغـدت بعـد قـوة باليـة ضعيفة[٣] :

وَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ جَرَتْ بِفِرَاقِنَـا يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ مَنْ هُوَ حَارِثُ
يُذَكِّرُنَا بُعْدُ الْفُرَاقِ عُهُـودَهُ وَتِلْكَ عُهُودٌ قَدْ بَلِينَ رَثَائِـثُ

(١) الديـوان : ٢٥.
(٢) نفسـه : ٢٥.
(٣) نفسـه : ٦٧ .

وسيف الدولة يصغي إلى العذال ، ويستمع القيل والقال ، فيشتد هجره لأبي فراس ، وهذه أمارة بغض وقلى ، ولو كان محباً حقاً ما استمع إلى العذال والحساد[1] :

أَيْنَ الْمَحَبَّةُ وَالذِّمَـا مُ وَمَا وَعَـدْتَ مِنَ الْجَمِيلِ
أَجْمِلْ عَلَى النَّفْسِ الْكَرِيـ مَـةِ فِيَّ وَالْقَلبِ الْحَمُـولِ
أَمَّا الْمُحِبُّ فَلَيْسَ يُصْـ ـغِي فِي هَوَاهُ إِلَى عَـذُولِ
يَمْضِـي بِحَـالِ وَفَائِـهِ وَيَصُدُّ عَنْ قَـالٍ وَقِيْـلِ

سيف الدول أذن يستمع لكل واش وكل حاسد حتى لم يعد يفرق بين صدق وكذب[2] :

أَمِثْلِي تُقْبَـلُ الأَقْـوَالُ فِيـهِ وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرُّ عَلَيْـهِ كِـذْبُ

ولم يكتف سيف الدولة بالإصغاء إلى الوشاة ، بل تعدى ذلك إلى اغتياب أبي فراس في مجالسه وهو أسير لا يستطيع أن يدفع عن نفسه تهمة ولا يرد عنها وشاية[3] :

فَلَمَّا حَالَتِ الأَعْدَاءُ دُوْنِـي وَأَصْبَحَ بَيْنَنَا بَحْرٌ وَدَرْبُ
ظَلِلْتَ تُبَدِّلُ الأَقْوَالَ بَعْـدِي وَيَبْلُغُنِي اغْتِيَابُكَ مَا يُغِبُّ

وهجر سيف الدولة لأبي فراس أمر متوقع لا يرى فيه أبو فراس غرابة ؛ قد خشيه وهو ملازم للأمير فكيف وهو أسير في بلاد الروم بعيد عن سيف الدولة[4] .

وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى الْهَجْرَ وَالشَّمْلُ جَامِعٌ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لُقْيَةٌ وَخِطَـابُ

---

(1) الديوان : ٢٧٤ .
(2) نفسه : ٤٩
(3) نفسه : ٤٩
(4) نفسه : ٤٨

فَكَيْفَ وَفِيمَا بَيْنَنَا مُلْـكُ قَيْصَـــرٍ   وَلِلْبَحْرِ حَوْلِي زَخْرَةٌ وعُبَابُ

ويشتد أبو فراس على سيف الدولة فيراه لا يحفظ المواقف فليس حق أبي فراس الذي قدم نفسه سخية سمحة فداء لسيف الدولة ليس حقه أن يهجر ويشنع عليه في العتاب[1].

أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ النَّفْسِ فِيمَا تُرِيدُهُ   أُثَابُ بمُرِ الْعَتْبِ حِينَ أُثَـــابُ

وإن أثنى عليه أثنى على استحياء[2] :

حَتَى رَأَيْتُكَ بَيْنَ النَّاسِ مُجْتَنِباً   تُثْنِي عَلَيّ بِوَجِهِ غَيْرِ مُتَّئِبِ

لقد بذل أبو فراس نفسه للأمير وكان الجزاء العادل أن يبذل سـيف الدولة الفداء لأبي فراس لكن ذلك لم يحدث [3]:

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذُلِ الْفِدَاءَ لَهَـا   فَلِمَ أَزَلْ فِي رِضَاكَ أَبْذُلُهَـــا

إن سيف الدولة الذي استنفد شباب أبي فراس ، ذلك الشباب الذي لا يوهب إلا لمستحقه ، مع ما صاحبه من بذل كل نفيس غال إرضاء لـسيف الدولة ، فلما عاد أبو فراس محتاجاً للأمير تخلى عنه وتركه ، فجمع عليــه فجع الأسر وفجع الهجر[4] :

عَلَيَّ لِمَنْ ضَنَّتْ عَلَيَّ جُفُـونُــهُ   غَوَارِبُ دَمْعٍ يَشْمَلُ الْحَيَّ أَجْمَعَا

وَهَبْتُ شَبَابِي وَالشَّبَابُ مَضنَّــةٌ   لأَبْلَجَ مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّيَ أَرْوَعَـــا

أَبِيتُ مُعَنًّى مِنْ مَخَافَةِ عَتْبِـــهِ   وَأَصْبَحُ مَحْزُوناً وَأُمْسِى مُرَوَّعَا

فَلَمَّا مَضَى عَصْرُ الشَّبِيبَةِ كُلُّــهُ   وَفَارَقَنِي شَرْخُ الشَّبَابِ مُوَدّعَــا

تطَلَّبْتُ بَيْنَ الْهَجْرِ وَالْعَتْبِ فُرْجَةً   فَحَاوَلْتُ أَمْرًا لا يُرَامُ مُمَنَعَـــا

---

(١) الديوان : ٤٨.

(٢) نفســه : ٦٢.

(٣) نفســه : ٢٦٤.

(٤) نفســه : ٢٠٨.

إنه خذلان من لا ينتظر خذلانه ولا يخطر ببال ، لقد أصاب سيف الدولة أبا فراس إصابة لم يكن يحتسب أن تجيء من أميره وحبيبه وأقرب الناس إليه ، فسيف الدولة هو العدة في العسر ، والنجدة وقت الحاجة ، فلما حان ذلك تخلى وخذل منتظره[١] :

قَدْ كُنْتَ عُدَّتِيَ الَّتِي أَسْطُو بِهَا   وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعِدِي

فَرُمِيتُ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أَمَّلْتُهُ   وَالْمَرْءُ يَشْرَقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ

بل زاد على الخذلان بالتنكر لأبي فراس ، والتعريض بشجاعته ووفائه ، وأغلظ عليه القول بما لم يتوقعه منه[٢]:

تَنَكَّرَ سَيْفُ الدِّينِ لَمَا عَتَبْتُهُ   وَعَرَّضَ بِي تَحْتَ الكَلَامِ وَقَرَّعَا

ويرى أبو فراس اضطراب الموازين عند سيف الدولة عندما يقدم النافلة على الفريضة ، فسيف الدولة ينفق ماله في كل وجهة إلا ما ينبغي عليه من فداء أبي فراس فإنه لا يلتفت إليه[٣] :

أَصْبَحْتَ تَشْرِي مَكَارِمًا فُضُلاً   فِدَاؤُنَا قَدْ عَلَمْتَ أَفْضَلُهَا

لاَ يَقْبَلُ الله قَبْلَ فَرْضِكَ ذَا   نَافِلَةً عِنْدَهُ تَنَفَّلُهَا

ومن الخلل الذي رآه أبو فراس أصاب سيف الدولة فعدل به عن صفاته التي كان عهدها عنه أن سيف الدولة تخلى عن مكارم كان هو الأولى بها والأمثل لها فلما عدل عنها سيف الدولة عدل عنه أبو فراس إلى غيره يطلب النجدة والفداء[٤] :

أَيَنْبَرِي ، دُونَكَ ، الْكِرَامُ لَهَا   وَأَنْتَ قَمْقَامُهَا ، وَأَحْمُلُهَا!

---

(١) الديوان : ١١٠.

(٢) نفسه : ٢٠٩.

(٣) نفسه : ٢٦٦.

(٤) نفسه : ٢٦٥.

وَأَنْتَ ، إِنْ عَنَّ حَادِثٌ جَلَـلٌ   قَلْبُهَا الْمُرتَجَـى ، وَحُوَّلُهَـا!
مِنْكَ تَرَدَّى بِالفَضْلِ أَفْضَلُهَـا   مِنكَ أُفَادَ النَّوَالَ أَنْوَلُهَـا
فَإِنْ سَأَلْنَا سِوَاكَ عَارِفَـةً   فَبَعْدَ قَطْعِ الرَّجَاءِ نَسْأَلُهَـا

وسيف الدولة الذي عرف عنه أنه رجل مبادئ لا يفرط ولا يتخلى قد أصابه المكروه في مبادئه ففرط في المعالي التي عرف بها ، وكانت قوله وفعله فقد أهمل المودات وأخلف المواعيد التي كان قطعها على نفسه وحلّ العقود التي عقدها مع أصحابه(١) :

تِلْكَ المَوَدَّاتُ ، كَيْفَ تُهْمِلُهَـا   تِلكَ المَوَاعِيدُ ، كَيْفَ تُغْفِلُهَـا ؟
تِلْكَ العُقُودُ ، الَّتِي عَقَدَتَ لَنَـا   كَيْفَ – وَقَدْ أُحْكِمَتْ – تُحَلِّلُهَا ؟
أَيْنَ المَعَالِي ، الَّتِي عُرِفْتَ بِهَـا   تَقُولُهَا ، دَائِـماً ، وَتَفْعَلُهَـا ؟

لقد ضيع سيف الدولة المودة ، فنضب وفاؤه ، فلم يعد الصاحب الذي يرتجى عند الملمات ، بل أشد من ذلك أن أبا فراس أصبح يخشى منه الضرر أكثر من خشيته من عدوه(٢) :

أَمَا صَاحِبٌ فَرْدٌ يَدُومُ وَفَـاؤُهُ   فَيُصْفِي لِمَنْ أَصْفَى وَيَرْعَى لِمَنْ رَعَى
أَفِي كُلِّ دَارٍ لِي صَدِيـقٌ أَوَدُّهُ   إِذَا مَا تَفَرَّقْنَا حَفِظْـتُ وَضَيَّعَـا
أَقَمْتُ بِأَرْضِ الرُّومِ عَامَيْنِ لاَ أَرَى   مِنَ النَّاسِ مَحْزُونـاً وَلاَ مُتَصَنِّعَـا
إِذَا خِفْتُ مِنْ أَخْوَالِيَ الرُّومِ خُطَّـةً   تَخَوفْتُ مِنْ أَعْمَامِـي العُرْبِ أَرْبَعَـا
وَإِنْ أَوْجَعَتْنِي مِنْ أَعَادِيَّ شِيمَـةٌ   لَقِيتُ مِنَ الأَحْبَابِ أَدْهَى وَأَوْجَعَـا

ولم يقف الأمير عند تضييع الحقوق بل إن أبا فراس يرى أميره قد أسلمه للحادثات واستبدل به غيره ممن لا يقوم مقامه ولا يسد مسده

(١) الديوان : ٢٦٤-٢٦٥.
(٢) نفسه : ٢٠٩.

وهذا غاية في الخذلان واضطراب المفاهيم عند سيف الدولة[^١]:

أَسْلَمَنَا قَومُنُا إِلَى نُـــــوَبٍ   أَيْسَرُهَا فِي القَلْبِ أَقْتَلُهَـــا
وَاسْتَبْدَلُوا بَعْدَنَا رِجَالَ وَغَى   يَوَدُّ أَدْنَى عُلَيَاي أَمْثَلُهَـــا

وسيف الدولة عونٌ للأيام على أبي فراس ، بعد أن كـان سـاعده ومعينه الذي يدفع عنه الخطوب والكروب[^٢]:

زَمَانِي كُلُّهُ غَضَبٌ وَعَتْـــبُ   وَأَنْتَ عَلَيَّ وَالأَيْـــامُ إِلْـــبُ
وَعَيْشُ الْعَالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْـلٌ   وَعَيْشِي وَحْدَهُ بِفِنَاكَ صَعْـــبُ
وَأَنْتَ – وَأَنْتَ دَافِعُ كُلِّ خَطْبٍ -   مَعَ الخَطْـبِ الْمُلِمِّ عَلَيَّ خَطْبُ

وسيف الدولة لم يعد يعرف للقرابة والصلة باباً فهذه أم أبي فـراس تقف ببابه ذليلة تسأله أن يفتدي وحيدها ومجيرها من الزمان ، فيردها دون أملها[^٣] :

عَلِيلَةٌ بِالشَّـآمِ مُفْـــرَدَةٌ   بَاتَ بِأَيْدِي الْعِـدَا مُعَلِّلُهَـــا
تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرَقٍ   تُطْفِئُهَا وَالْهُمُـومُ تُشْعِلُهَـــا
إِذَا اطْمَأَنَّتْ وَأَيْنَ أَوْ هَـدَأَتْ   عَنَّتْ لَهَا ذِكْرَةٌ تُقَلْقِلُهَـــا
تَسْأَلُ عَنَّا الرُّكْبَانَ جَاهِـدَةً   بِأَدْمُعٍ مَا تَكَـادُ تُمْهِلُهَـــا

وتعلو نبرة أبي فراس فيرى أن سيف الدولة قد قطع رحمـه ، قـال ابـن خالويه : ولما طال الأمر على والدته ، خرجت من " منبج " إلى " حلب " ؛ وراسلت "سيف الدولة ؛ ووافق ذلك أن البطارقة قيدوا بـ"حلـب" ؛

[^١]: الديوان : ٢٦٣-٢٦٤.
[^٢]: نفسـه : ٤٩.
[^٣]: نفسـه: ٢٦٣.

فقيد " أبو فراس " بـــ"خرشنة" ؛ ورأت الأمر قد عظم فاعتلت من الحسرة ، فبلغ ذلك "أبا فراس" فكتب إلى " سيف الدولة " بهذا [(١)]:

أَرّحَامُنَا مِنْكَ لِمْ تُقَطِّعُهَـــــا   ولَمْ تَزَلْ دَائِمـــاً تُوَصِّلُهَـــــا

وسيف الدولة لا يحفظ وداً ولا يدوم على عهد لكن أبا فـــراس يؤمـــل أن حـــق الإسلام بينهما لم يضع إن كان حق القرابة والود قد ضاع[(٢)]:

فَإلاَّ يكُنْ وُدٌّ قَدِيــمٌ عَهِدتُــــهُ   وَلاَ نَسَــبٌ بَيْنَ الرِّجَالِ قـــرَابُ
فَأَحْوَطُ لِلإِسْلاَمِ أَنْ لاَ يُضِيعَنِي   وَلي عَنْـــهُ فِيـــهِ حَوْطَةٌ وَمَنَابُ

إن سيف الدولة الذي ظل مغيظاً عدوه كابتاً وقاهراً له حتى سد عليه منافذ الفرح والبهجة قد أعاد للعدو ما فقده من السرور والغبطة[(٣)]:

فَلاَ تَتْرُكِ الأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا   وَلاَ تَقْطَعِ التَّسْآلَ عَنِّي وَتَقْعُــدِ
وَلاَ تَقْعُدنْ عَنِّي وَقَدْ سِيْمَ فِدْيَتِـــي   فَلَسْتَ عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ بِمُقْعَدِ

قال ابن خالويه :" لما خرج " بودرس الأسطراطيغوس ابن مرديس البطريق " – وهو ابن أخت ملك الروم – في ألف فارس من الروم ؛ إلى نواحي " منبج " صادف الأمير "أبا فراس " ، يتصيد في سبعين فارساً ؛ فأراده أصحابه على الهزيمة . فأبى وثبت ؛ حتى أثخن بالجراح وأسر . وكان في مجلس الأمير " سيف الدولة " أخو " بودرس الأسطراطيغوس ابن مرديس البطريق" ؛ وكان أسر هو وأبوه ، يوم هزم جده "الدمستق" "بالحدث". فلما وقع " أبو فراس " ؛ في يد " بودرس" ، ابن أخت الملك ؛ سامه إخراج أخيه ، أو دفع فدائه . فكتب " أبو فراس " – رحمه الله تعالى – إلى "سيف الدولة " ، بهذه القصيدة ، أول ما أسر ، يسأله المفاداة به"[(٤)] .

---

(١) الديوان : ٢٦٢-٢٦٣ .
(٢) نفســـه : ٤٧.
(٣) نفســـه : ٩٧.
(٤) نفســـه : ٩٥-٩٦ .

وسيف الدولة يحمل بين جنبيه قلباً قاسياً ، وحساً مصاباً وإلا فكيف بالعدو الكاشح يكون أرأف قلباً وأسعى إلى كسب الحمد والثناء وأسرع إلى نجدة أصحابه من سيف الدولة[(١)]:

فَلاَ كَانَ كَلْبُ الرُّومِ أَرْأَفَ مِنْكُمُ   وَأَرْغَبَ فِي كَسْبِ الثَّنَاءِ الْمُخَلَّـدِ
وَلاَ يَبْلُغِ الأَعْدَاءُ أَنْ يَتَنَاهَضُوا   وَتَقْعُدَ عَنْ هَذَا الْعَلاَءِ الْمُشَيَّـدِ

إن سيف الدولة بمعاملته القاسية لأبي فراس لظالم لا يستطيع أحد أن يرد ظلمه فهو الوحيد القادر على إعطاء الحق لأصحابه[(٢)]:

إِلَيْكَ أَشْكُو مِنْكَ يَا ظَالِمِـي   إِذْ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مُعْـدٍ عَلَيْـكَ
أَعَانَكَ اللهُ بِخَيْرٍ أَعِـنْ   مِنْ لَيْسَ يَشْكُو مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْـكَ

ومرارة هجر سيف الدولة وتنكره لا تدعو أبا فراس للتعامل مع أميره بالمثل فهو رجل مواقف لا يضيع الحقوق كما أضاعها سيف الدولة ، فبرغم السجن والأسر والبعد فهو شريك لسيف الدولة في كل ضائقة تحل به [(٣)]:

لَمْ يَنْتَقِصْنِيَ بُعْدِي عَنْكَ مِنْ حُزُنٍ   هِيَ الْمُوَاسَـاةُ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدِ
لأَشْرَكَنَّكَ فِي اللأْوَاءِ إِنْ طَرَقَتْ   كَمَا شَرِكْتُكَ فِي النَّعْمَاءِ وَالرَّغَـدِ
وَلاَ أُسَوِّغُ نَفْسِي فَرْحَةً أَبَـداً   وَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ كَمَـدِ

---

(١) الديوان : ٩٧.

(٢) نفسه : ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) نفسه : ١١١.

الفصل الثاني

صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس

(الدراسة الفنية)

- المبحث الأول : اللغة والأسلوب
- المبحث الثاني : الصورة الشعرية
- المبحث الثالث : الموسيقى

المبحث الأول

اللغة والأسلوب

تعد "اللغة أهم أدوات العملية الاجتماعية ، وأدوات صناعة الإنســان ، فاللغة هي الواسطة التي تجعل من الأمة " مجتمعاً متخيلاً " وتربط الفرد في وقت وحيز اجتماعي مع أبناء أمته ممن لم يرهم أو يقابلهم "[١] ، فاللغة بهذه الصورة مقوم أساسي في بناء أي حضارة إنسانية، ولــيس لحــضارة " أن تواصل تقدمها وارتقاءها حقبة إثر أخرى منذ الألف الرابع قبل الميلاد مــن غير هذه الأداة الحضارية : اللغة ، ذلك أنها حققت لدى الإنسان القدرة على تثبيت مدركاته الحسية والمجردة ، ومكنته من إيصال ما يعرفه وما يجــول في خاطره وذهنه إلى الآخرين ٠ وبهذين الأمرين تحرك ركب الحــضارة واشتدت الأواصر بين البشر في مجتمع متحضر "[٢]٠

إن المتتبع لمسيرة الحضارة البشرية على امتداد مسيرتها يعلــم أن اللغة "أهم وأخطر بكثير من أن تكون مجرد أصوات وأدوات للتفاهم أو تبليغ فكرة معينة ، فهي على مستوى الماضي الذاكرة الجماعية للأمة المحافظــة على خلاصة تجربتها في التاريخ ، وحصيلة ما أسست لنفسها من أســاليب النظر والفكر والتقويم والاكتشاف. وهي على مستوى الحاضر خير معبــر عن الهوية القومية للأمة ، وما انتهت إليه من درجات النضج والنمو ٠ وهي على مستوى المستقبل طريق وحيدة لكل نمو داخلي عــضوي ، يمكــن أن يستفيد من جميع التجارب الإنسانية من دون أن يركن إلى التواكل والبحــث عن الحلول الجاهزة أو الملفقة ، أو يجنح إلى الاتباع فيقبل الاستلاب ويفقد

---

(١) اللغة العربية والهوية القومية ، ياسر سليمان ، عرض موقع الجزيرة ـــ نت رابط القناة : http://www.aljazeera.net ، وروابط العرض : http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DD٦٦A٦٦٧-B٨٠٦-٤٤٣E-AD٢A-DD١٢٩٩٥٠A١F٥.htm

(٢) جماليات الأسلوب : الصورة الفنية في الأدب العربي ، د.فــايز الدايــة ، دار الفكــر ط٢ ، ١٤٢٤هـــ ـــ ٢٠٠٣م ، دمشق : ٢٦.

القدرة على الإبداع ، ويستقيل من كل مهمة في صناعة التاريخ والمساهمة في إثراء الثقافة الإنسانية "(١) .

" إن اللغة في حقيقة دورها الوظيفي رأس وسائل ترابط المجتمع الإنساني وتنظيمه ، فهي تربط بين الأفراد و تربط بين الجماعات أحاسيس ومشاعر ورؤى .إنها فعل القوة الدائم في التواصل والتفاعل "(٢).

وتبرز اللغة كعنصر جمالي له أثره العظيم عندما يحسن المبدع التعامل معها فيوظفها في إبداعه شعراً ونثراً ؛ ليقدم لنا إبداعاً مادته اللغة إذ هي الأساس " والظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ٠ هي أول شيء يصادفنا ، وهي النافذة التي من خلالها نطل ، ومن خلالها نتنسم ، وهي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب ، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق"(٣). وإذا كانت اللغة بمفهومها العام هي أداة التواصل فإنها تأخذ في الإبداع الأدبي شكلاً جديداً ومختلفاً يحمل قدرة المبدع على تكوين مادته الإبداعية من خلال أسلوبه الخاص به حتى يستطيع الوصول إلى المتلقي بصورة جمالية ٠

إن لغة الشعر تترفع عن اللغة العادية التي لا تشكل سوى أداة للتفاهم، يقول جودت فخر الدين : إن " ياكوبسون(٤) يرى أن الأمر في اللغة

---

(١) اللغة العربية : أسئلة التطور الذاتي والمستقبلي مجموعة من الباحثين ،من دراسة بعنوان " لغتنا العربية جزء من هويتنا ، عمار بو حوش ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، بيروت ، ص١٢ ٠

(٢) نفسه : ١٧٤ .

(٣) الشعر العربي الحديث قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ط٥ ١٩٨٨ ، بيروت ، ص ١٧٣.

(٤) لغوي روسي ، قدّم مع اثنين من زملائه بحثا إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللسان الذي انعقد في لاهاي في هولندا سنة ١٩٢٨م ، ثم أصدروا بيانا بعد ذلك أعلنوه في المؤتمر الأول للغويين السلاف المنعقد في براغ سنة ١٩٢٩م ، وبه بدأ نشاط دائرة براغ اللغوية. (انظر :

الشعرية يتعلق بتبدل جوهري في العلاقة بين الدال والمدلول ، ويطرح السؤال الآتي: أين نعثر على الشعرية ؟ على ذلك الذي يجعل من النص الشعري شعراً ؟، ويجيب كالآتي : " نشعر بشعرية النص عندما نحس بالكلمة ككلمة ، لا بديلاً لشيء أو تفجيراً لانفعال ، عندما لا تقتصر الكلمات بتركيبها ودلالاتها على كونها علامات مطابقة للحقيقة ، بل تكتسب وزنها الخاص وقيمتها الخاصة "[1] . وبهذا يتضح أن لغة الشعر تتمايز عن اللغة العادية بما تحمله اللغة الشعرية من دلالات جديدة تنطوي عليها العبارات محملة بما يستجنه الأديب من انفعالات ومشاعر ؛ إذ إن لغة الشعر " لا تستمد من معجم اللغة المعروف ، وإنما تستمد من معجم الحالات النفسية الذي يتنوع ويتغير ، بتغير المبدع ، وتنوع التجربة ، و تغير الزمان والمكان "[2].

لقد احتل عنصر اللغة في القصيدة منزلة كبيرة إذ ظلت "أعظم عنصر في صياغة القصيدة في الآداب الإنسانية جميعها ، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري ، ومن لبناتها تبنى المعمارات الفنية التي تتآزر على إبداعها مجموعة عناصر نفسية وجمالية معقدة "[3].

إن اللغة أهم عناصر الأسلوب ، بل هي أهم لبناته ، يستمد منها قوته ووجوده ، فاختلاف العبارات والتراكيب يدل على أختلاف الطرائق في

ملحق موسوعة الفلسفة ، د. عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ١٩٩٦م ، بيروت ، ص٢٥٩.

(١) في لغة الشعر والبحث عن الشعرية ، جودت فخر الدين ، مستفاد من النت : رابط الصفحة : http://www.nizwa.com/volume١٢/p٤٧_٥٢.html

(٢) البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية " عنترة بن شداد نموذجا، محمد أبو الفتوح محمد العفيفي ، إيتراك ،ط١ ٢٠٠١م ، القاهرة ، ص٢٣٨ ، نقلاً عن: شعر الأسر والسجن في الأندلس ، بسيم عبد العظيم .

(٣) لغة الشعر العربي ، عدنان حسين قاسم ، مكتبة الفلاح ، ط١ : ١٤١٥ ، الكويت ، ص١٥ .

التعبير عن الأفكار والعواطف[1].كما أن اللغة الشعرية إلى جانب وظيفة التوصيل تقوم بمهمة الاستبطان والاكتشاف ومن أهم غاياتها الإثارة والتحريك وفتح أبواب التجديد[2] . فالشاعر حينما يتعامل مع اللغة في القصيدة ، لا يستخدم الحروف الأبجدية وحدها ، بل يتعامل مع عدد من المؤثرات ، فاللون والحركة والنوع والمعنى ، ومن هنا يبدو التعامل مع اللغة بالمعنى الشامل [3].

من كل هذا يتضح لنا العلاقة الوطيدة بين الدلالة في لغة الشعر وبين شخصية الشاعر والظروف النفسية والخارجية المحيطة به ، وهذا ما يميز لغة الشعر عن اللغة العادية ، والتي يجعلها معرضة للتأثر بالتطور الحضاري. [4]

واللفظ هو أساس اللغة ، ولبنتها الأولى التي تقوم بها وهو قرين المعنى ، والوجه الآخر للإبداع بحسب النقاد قديماً وحديثاً على خلاف في الأولوية والتقدم في الفضل. ومهما يكن أمر هذا الخلاف فإن اللفظ لا ينفك عن المعنى ، والمعنى لا ينفك عن اللفظ ، فالألفاظ وعاء تفرغ فيه المعاني فلا " يظهر المعنى مصوغاً صياغة قوية ومؤثرة ، ولا يكون المعنى القوي ، أو العميق ، أو المخترع بليغاً ، حتى يعرض عرضاً واسعاً في ألفاظه

---

(١) انظر : لغة الشعر بين جيلين ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الثقافة ، بيروت ، دون تاريخ ، ص٤٥.

(٢) مقدمة للشعر العربي ، علي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ، ط٣ ١٩٧٩م ، بيروت ، ص ٧٩.

(٣) انظر : الشعر العربي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ـ بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٨م ، ص٥٠ ، ٥١.

(٤) انظر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبد القادر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص٣٩٦.

المختارة ، وأسلوبه الجميل "[1] . وعلى هذا فلا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى بسبب " شدة الارتباط بين المادة والصورة أو بين اللفظ والمعنى ، أو بين الفكرة والعاطفة من ناحية ، والخيال واللفظ من ناحية ثانية ، إذ كان هذان صورة لذينك ، وأي تغيير في المادة يستتبع نظيره في الصورة والعكس صحيح "[2] ، فاللفظ والمعنى متحدان اتحاداً كاملاً فـ"ليست منزلة المعنى دون منزلة اللفظ في تقدير القيمة الفنية للعمل الأدبي ، ولا شك عند المنصفين أن وجوب مراعاة جانب المعنى لا يقل شأناً عن وجوب الاهتمام بالألفاظ"[3].

وبهذا يتضح للناقد أنه لا يمكن بحال الفصل بين اللفظ والمعنى ، "فليس هناك محتوى وصورة ، بل هما شيء واحد ، ووحدة واحدة إذ تتجمع في نفس الأديب مجموعة من الأحاسيس ويأخذ في تصويرها بعبارات يتم بها عمل نموذج أدبي ٠ وأنت لا تستطيع أن تتصور مضمون هذا النموذج أو معناه بدون قراءته ، وكذلك لا تستطيع أن تتصور صورته أو شكله ولفظه دون أن تقرأه فهو يعبر عن الجانبين جميعاً مرة واحدة ، وليسا هما جانبين ، بل هما شيء واحد أو جوهر واحد ممتزج متلاحم ، ولا يتم نموذج فني بأحدهما دون الآخر ... وإذن فلا فارق بين المعنى والصورة ، أو اللفظ في نموذج أدبي ... ومعنى ذلك أن مادة النموذج الأدبي وصورته لا تفترقان ، فهما كل واحد ، وهو كل يتألف من خصائص جمالية مختلفة، قد يردها النظر السريع إلى الخارج أو الشكل ، ولكنا إذا أنعمنا النظر وجدناها ترد إلى الداخل والمضمون ، فهي تنطوي فيه ، أو قل تنمو فيه ... وإذن فكل ما

---

(1) أسس النقد الأدبي عند العرب ، د.أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، بدون تاريخ طبعة ، ص٣٦٧ ٠

(2) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٨ ١٩٧٣م ، القاهرة ، ص٢٤٦.

(3) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث ، د.بدوي طبانة ، دار الثقافة ، ط٦ ١٩٧٤م ــ ١٣٧٤هـ ، بيروت ــ لبنان ، ص٢٠٣ .

نلقاه في كتب البلاغة من وصف للفظ إن تأملنا فيه وجدناه في حقيقته يـرد إلى المعنى ، حتى الجناس ، وجرس الألفاظ ، فضلاً عما توصف به الكلمات من ابتذال أو غرابة ، فكل ذلك مرده إلى المعنى في نفس الشاعر أو الكاتب ... والمضمون بهذا المعنى يتحد مع الشكل ، فهو البناء الأدبي كله ، وهـو الحقائق والأحاسيس النفسية الكامنة فيه" [١].

الأسلوب :

يقال للسطر من النخيل : أسلوب ٠ وكل طريق ممتد ، فهو أسلوب ٠ قال : والأسلوب الطريق ، والوجه ، والمذهب ؛ يقال أنتم في أسلوب سوء ، ويجمع أساليب ٠ والأسلوب الطريق تأخذ فيه ٠

والأسلوب بالضم : الفن ، يقال : أخذ فلان في أساليب من القـول، أي أفانين منه[٢].

وقال الزمخشري سلكت أسلوب فلان : طريقته . وكلامـه علـى أساليب حسنة[٣].

وفي المعجم الوسيط : (الأسلوب : الطريق ، ويقال : سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه ، والأسلوب : طريقة الكاتب فـي كتابتـه ، والأسلوب : الفن ، يقال أخذنا في أساليب من القـول : فنـون متنوعـة ٠ والأسلوب : الصف من النخل ونحوه (ج) أساليب[٤].

---

(١) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٧ ، ص١٦٣ -١٦٥ ٠

(٢) لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بـن مكـرم بـن منظـور ، دار صـادر ، ط٣ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ، بيروت ، مادة (سلب).

(٣) أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق ، د. مزيد نعـيم و د. شـوقي المعري ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ١٩٨٨م بيروت ، مادة (سلب).

(٤) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، إخراج ، د. إبراهيم أنيس ، د. عبد الحليم منتـصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمـد ، المكتبـة الإسـلامية ،إسـتانبول ، تركيـا ط٢ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ، مادة (سلب).

يتضح مما سقته من تعريف المعاجم للأسلوب أنهم يتفقون على أنه الطريق ، أو الطريقة ، أو المذهب ، كما يطلق على الفن الكلامي إذا تفنن فيه صاحبه ، وأخذه في طرق مختلفة .

وعندما ظهرت الدراسات البلاغية التي تعنى بالبلاغة القرآنية رأينا أولئك البلاغيين يستعملون كلمة " الأساليب " لدلالات متعددة ، فالخطابي يوردها بمعنى طرق التعبير فيقول : " قيل : إنا قدمنا من بيان أوصاف بلاغة القرآن، وذكرنا من شرائطها ما اسقطنا به عن أنفسنا هذا السؤال ٠ وزعمنا أنها أمور لا تجتمع لأحد من البشر ولا يجوز أن تأتي عليها قدرته ، وإن كان أفصح الناس وأعرفهم بطرق الكلام ، وأساليب فنون البيان..." [١]. ويقول : " وأما من تبحر في كلام العرب ، وعرف أساليبه الواسعة ووقف على مذاهبه القديمة فإنه إذا ورد عليه منها ما يخالف المعهود من لغة أهل زمانه لم يسرع إلى النكير فيه والتلحين" [٢] ومرة أخرى يورده ويريد به المعنى إذ يقول : "وهاهنا وجه واحد يدخل في هذا الباب ، وليس بمحض المعارضة ولكنه نوع من الموازنة بين المعارضة ، والمقابلة ، وهو أن يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام من أوديته ، فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان من الآخر في نعت هو بإزائه ، وذلك مثل أن يتأمل شعر أبي دؤاد الإيادي[٣] ، والنابغة الجعدي[٤] ، في صفة الخيل ،

---

[١] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، من رسالة (بيان إعجاز القرآن) ، تحقيق محمد خلف الله أحمد و د.محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط٤ ، (بدون تاريخ) ص٣٥ ، ٣٦ ٠

[٢] السابق : ٤٦ ، ٤٧.

[٣] جارية بن الحجاج ، شاعر جاهلي ، أحد نعّات الخيل المجيدين .
(انظر الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح ، أحمد محمد شاكر ، ط٣ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م ، دار الحديث ــ القاهرة ج١ ص٢٣٧ ــ ٢٤٠).

[٤] أبو ليلى ، عبد الله بن قيس ، من جعدة بن كعب بن ربيعة ، شاعر مخضرم .
(انظر : نفسه : ج١ ص ٢٨٩ ــ ٢٩٦) .

وشعر الأعشى[١] والأخطل[٢] في نعت الخمر ٠ وشعر الشماخ[٣] في وصف الحمر ، وشعر ذي الرمة[٤] في وصف الأطلال والدمن ، ونعوت البراري والقفار، فإن كل واحد منهم وصاف لما يضاف إليه من أنواع الأمور فيقال : فلان أشعر في بابه ومذهبه من فلان في طريقته التي يذهبها في شعره، وذلك بأن تتأمل نمط كلامه في نوع ما يعنى به ويصفه ، وتنظر فيما يقع تحته من النعوت والأوصاف ، فإذا وجدت أحدهما أشد تقصياً لها ، وأحسن تخلصاً إلى دقائق معانيها ، وأكثر إصابة فيما حكمت لقوله بالسبق ، وقضيت له بالتبريز على صاحبه ولم تبالي باختلاف مقاصدهم وتباين الطرق بهم فيها"[٥].

وابن قتيبة يجعل الأسلوب بمعنى طريقة التعبير عن المعنى فيقول : " وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات ، فإنه ليس في الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان ، واتساع المجال ، ما أوتيته العرب خصيصي من الله لما أرهصه في الرسول وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعله علَم ، كما جعل علَم كل نبي من المرسلين ما أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه ، فكان لموسى فلق البحر ، واليد والعصا ، وتفجر الحجر في التيه بالماء الرواء إلى سائر أعلاق زمن

---

(١) ميمون بن قيس ، من سعد بن ضبيعة بن قيس ، وكان أعمى ، ويكنى أبا بصير . شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام ولم يسلم . يسمى " صناجة العرب " لأنه أول من ذكر الصَّنْج وهو العود. (انظر : نفسه : ج١ ص ٢٥٧ ــ ٢٦٦).

(٢) غياث بن غوث ، شاعر نصراني من بني تغلب ، يكنى أبا مالك . كان يمدح بني أمية. (انظر : نفسه : ج١ ص٤٨٣ ــ ٤٩٦).

(٣) معقل بن ضرار (والشماخ لقب) ، شاعر مخضرم ، من أوصف الشعراء للقوس والحمر . (انظر : نفسه : ج١ ص ٣١٥ ــ ٣١٩) .

(٤) غيلان بن عقبة بن بهيش ، ويكنى أبا الحارث . (انظر : نفسه : ج١ ص٥٢٤ ــ ٥٣٦).

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان إعجاز القرآن): ص٦٥ ، ٦٦.

السحر ٠٠٠ وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به ولو بعضهم لبعض ظهيراً ، إلى سائر أعلاق زمن البيان ٠٠٠ فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكـــاح أو حمالة تحضيض أو صلح أو ما اشبه ذلك ، لم يأت به من واد واحد بل يفتن فيختصر تارة إرادة التخفيف ، ويطيل تارة إرادة الإفهام ويكرر تـــارة إرادة التوكيد ، ويخفي بعض معانية حتى يغمض على أكثر السامعين ، ويكـــشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين ، ويشير إلى الـــشيء ويكنـــي عنـــه ، ويكون عنايته بالكلام على حسب الحال وكثرة الحشد ، وجلالة المقام ٠٠٠ ثم لا يأتي الكلام كله مهذبا كلّ التهذيب ، ومصفى كل التصفية ، بل يمزج ، ويشوب ليدل بالناقص على الوافر وبالغث على السمين ، ولو جعله كله بحراً واحدا لبخسه بهاءه ، وسلبه ماءه ٠"[١].

فابن قتيبة في هذا النص قد ربط " بين الأسلوب وطرق أداء المعنى في نسق مختلف بحيث يكون لكل مقام مقال فتعدد الأســـاليب راجـــع إلـــى اختلاف الموقف أولا ثم طبيعة الموضوع ثانياً ، وإلى مقدرة المتكلم وفنيتـــه ثالثاً ٠ ويبدو – أيضاً – أن الرجل أدرك ، أو كاد يدرك ، ربط الأســـلوب بالقطعة الأدبية كلها ، ولم يقصر كلامه على الجملة الواحدة بل إن طبيعـــة الأسلوب عنده تمتد لتشمل النص الأدبي وما يتخلله من خصائص بلاغية من حيث الإيجاز والإطناب ، ومن حيث الإيـــضاح والإبهـــام ، ومـــن حيـــث التصريح والتضمين " [٢].

وإذا تقدم بنا الزمان قليلاً رأينا عبدالقاهر الجرجاني يتناول الأسلوب من خلال فهمه للنظم الذي يعني توخي معاني النحو إذ يقول : " واعلـــم أن

---

(١) تأويل مشكل القرآن تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٤ ،القـــاهرة ، ص ١٠ ، ١١ ٠

(٢) البلاغة والأسلوبية ، د.محمد عبدالمطلب ، ط١ ، ١٩٩٤ ، مكتبة لبنان ناشـــرون و الـــشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ص ١٢ ٠

الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه ، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً ، والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره ، فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلاً على مثال نعل قد قطعها صاحبها ، فيقال : " قد احتذى على مثاله "[١] .

وإذا كان عبد القاهر قد عرف الأسلوب بما حده به من توخي معاني النحو مبتعداً عن عموم المعنى اللغوي الذي ظل سابقوه يدورون حوله نجد أن حازمًا القرطاجني يحاول أن يحدد ملامح الأسلوب من خلال ربطه بين المعنى والصياغة والعلاقات النحوية فيقول : " ولما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد ، ومسائل منها تقتنى: كجهة وصف المحبوب ، وجهة وصف الخيال ، وجهة وصف الطلول ، وجهة وصف يوم النوى ، وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب ، وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات ، والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفية الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني ونسبة النظم إلى الألفاظ ؛ لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول ، وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة ، فكان بمنزلة النظم في الألفاظ هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات ، والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض ، وما يعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب ؛ فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية ، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية "[٢].

---

[١] دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط٥ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ص٤٦٨ – ٤٦٩ .

[٢] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الفرا الإسلامي ، ط٢ ، ١٩٨١م ، بيروت ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

ويلحظ ابن خلدون الاضطراب الحاصل في فهم الأسلوب فيقرر "أن الأسلوب هو المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ... وأن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة "(١) .

" وهذا تعريف دقيق فرق فيه ابن خلدون بين اللغة والأسلوب ، وبين التراكيب والأسلوب ، وبين الوزن والأسلوب "(٢) ، " مما سبق تكون لدينا ثلاثة معان متميزة لكلمة " أسلوب " ؛ الأسلوب كلازمة من لوازم الشخصية ، والأسلوب كوسيلة متميزة للشرح أو التفسير أو الإبانة ، والأسلوب كأسمى إنجاز أدبي "(٣).

لقد تآزر علماء البلاغة والنحو في إيصال مفهوم الأسلوب العربي إلى ما وصل إليه عند ابن خلدون وحازم القرطاجني ليقف على أبواب النقد الحديث الذي عني عناية كبيرة بالأسلوب حتى غدا علماً ينطلق مما عرف بالأسلوبية التي ترتكز على " ثنائية تكاملية هي من مواصفات التفكير اللساني، وقد أحكم استغلالها سوسير، وتمثل في تفكيك الظاهرة اللسانية إلى واقعين : ظاهرة اللغة ، وظاهرة العبارة ، وقد اعتمد كل اللسانيين بعد سوسير هذا الثنائي فحاولوا تركيزه في التحليل وتدقيقه بمصطلحات تتلون بسمات اتجاهاتهم اللسانية "(٤) .

لكن هل الأسلوب فن أم علم ؟

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحيم بن محمد بن خلدون ، تحقيق د.علي عبدالواحد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، جـ٣ ، ص١١٥٩ .

(٢) في المصطلح النقدي ، د.أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م بغداد ، ص ١٢٢.

(٣) البحث الأسلوبي " معاصرة وتراث " ، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف ، ١٩٩٣م الإسكندرية ، ص١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام مسدي ، ط٢ ١٩٨٢م ، تونس ، ص٣٨ .

لم يتفق علماء اللغة ومنظرو الأسلوبية على تحديد دقيق للأسلوب ، وقد أشار الدكتور شكري عياد إلى هذا الأمر ؛ إذ يرى أن الأسلوب ظاهرة من الظواهر التي اختلط مفهومها على العلماء والنقاد قديما وحديثا ، بناء على اختلاف تناولهم لها ، فالقدماء ــ بشكل عام ــ تناولوها من مدخل التقاليد الفنية ، والمحدثون من مدخل التجربة الذاتية النفسية ، غير أنهم اتفقوا على أن عمادها اللغة ، وبالتالي فهي ظاهرة لغوية ، تبرز من خلال طرق مختلفة في استعمال اللغة على وجه يقصد به التأثير ، أو ــ كما نقول اليوم ــ تتوفر له صفة الفن [(1)] ، " ومن الممكن القول أن الأسلوب مهاد طبيعي للأسلوبية ، فهو يقوم على مبدأ الانتقاء والاختيار للمادة الأدائية التي تقوم ــ في الخطوة التالية ــ الدراسات الأسلوبية بمهمة تحليلها من الناحية الأسلوبية ، ومن ثم فإن مصطلح " الأسلوبية " يتجاوز مصطلح " الأسلوب " ، وإن كان مجالها يظل في دائرته ، وهي في الوقت ذاته تفتح لها مجالات أرحب وأفسح ، فمنها دراسة الإمكانات اللغوية التي تولد تأثيرات جمالية ، ودراسة الركائز التي يعتمد عليها هذا التأثير الجمالي "[(٢)] .

الخصائص اللغوية والأسلوبية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة:

١ - سهولة الألفاظ وبساطة التراكيب :

ظهر شعر أبي فراس في معظمه آسراً للقلوب بسهولته وجزالته ورقته وشدته " فشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة

---

(1) انظر : اتجاهات البحث الأسلوبي ، د. شكري محمد عياد ، دار العلوم ، ط١ ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م ، الرياض : ص ٢٠ ــ ٢٥ و ص ٨٤ ، ٨٥.

(٢) البحث الأسلوبي " معاصرة وتراث " : ٢١.

والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك"[(١)] .

وهذا رأي كثير من النقاد الذين تناولوا شعر أبي فــراس ، فــشعره عندهم يتسم بسهولة ألفاظه ووضوح معانيها ، حتى في نهجه نهج الــشعراء السابقين ، فلم يكن أبو فراس مغرماً بالغريب أو مستكثراًمنه.[(٢)]

و " أما شعره من الناحية الفنية فهو واضح قوي منسجم ذو ديباجــة ناصعة ومعان هي غالباً مزيج من الابتكار والمحاكاة ، يشعر القارئ له بميل واضح ، ميل إلى سماعه ، وميل إلى ترديده ، وهذه من أهم صفات الشعر الرفيع".[(٣)]

لقد كان لثقافة أبي فراس ، وسعة إطلاعه على شعر من سبقه مــن الشعراء أثراً واضحاً في شعره ، فقد سلك مسلك السهولة والوضوح فــ"جاء شعره متسماً بالوضوح والإبانة بعيداً عن التعقيد والتكلف ، جارياً مع طبعه ، ومتسماً بالعذوبة والبساطة آنا ، والجزالة والبداوة آناً آخر ".[(٤)]

وعند الحديث عن الجزالة في شعر أبي فراس يحسن عــرض رأي النقاد الذين امتدحوا هذه الصفة في الشعر وقرنوها أحياناً بالسهولة وأحيانــاً بالقوة فــ" الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحــروب ، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فإنه يــستعمل في وصف الأشواق ، وذكر أيام البعاد، وفي اســتجلاب المــودة وملاينــة الاستعطاف ، وأشباه ذلك . ولست أعني بالجزل مــن الألفــاظ أن يكــون

---

(١) يتيمة الدهر : ٥٧/١ .

(٢) انظر : شاعر بني حمدان ، ص١٤٤.

(٣) أبو فراس في رومياته ، د.خالد بن سعود الحليبي ، نادي المنطقة الــشرقية الأدبــي ، ط١ ، ١٤٢٨هــ - ٢٠٠٧م ، ص١٥٥ ، نقلاً عن " شاعرية أبي فراس لنعمان ماهر الكنفاني.

(٤) أبو فراس الحمداني : حياته وشعره : ٣٦١ .

وحشيا متوعراً ، عليه عنجهة البداوة ، بل أعني بالجزل أن يكون متيناً على عذوبته في الفم ، ولذاذته في السمع ٠وكذلك لست أعني بالرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً وإنما هو اللطيف ، الرقيق الحاشية ، الناعم الملمس ".[١]

واقتران الجزالة بالسهولة صفة تحسن في الكلام يقول ثعلب: "فأما جزالة اللفظ فمما لم يكن بالمغرب البدوي ولا السفساف العامي ، ولكن ما اشتد أسره ، وسهل لفظه ، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مراده وتوهم إمكانه"[٢]. فالسهولة " هي خلو اللفظ من التكلف، والتعقيد ، والتعسف في السبك"[٣] . فلا تعارض بين جزالة الكلام وسهولته كما قد يُتوهم ، قال العسكري : " وأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً لا ينغلق معناه ، ولا يستبهم مغزاه ، ولا يكون مكدوداً مستكرهاً ، ومتوعراً متقعراً ، ويكون بريئاً من الغثاثة عارياً من الرثاثة"[٤].

إن المتأمل في شعر أبي فراس ليدرك أنه شاعر مطبوع جبل شعره على التحلي بأكرم صفات الكلام من جزالة وسهولة حتى أصبح شعره يجري كالينبوع ، لا نجد فيه التواء أو غموضاً ، ألفاظه سهلة مألوفة ، طيعه كالماء المنحدر ، فهو واضح المرامي ، لا تتلاشى عنك فكرته إذا طلبتها ، بل هي جلية واضحة ، تهتز بشعره النفوس ، وتفيض من جوانبه الرقة والانسجام ،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ١٤١١ – ١٩٩٠ ، ٧٢/١ ٠

(٢) قواعد الشعر ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١ ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م ، مصر ، ص٥٩.

(٣) معجم النقد العربي القديم ، د. أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، ط١ ١٩٨٩م ، بغداد ، ج٢ ص ٥١.

(٤) كتاب الصناعتين ، " الكتابة والشعر " تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية : صيدا – بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص٦٧.

وتعلوه الفخامة والمتانة[1] قال أبو هلال العسكري : "ولا خير في المعـــاني إذا استكرهت قهراً ، والألفاظ إذا أختيرت قسراً ، ولا خير فيما أجيد لفظه إذ سخف معناه ، ولا في غرابة المعنى إذا شرف لفظه مع وضوح المغــزى ، وظهور المقصد ٠ وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكد ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزة غليظـــة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلساً عذباً ، وسهلاً حلواً ؛ ولم يعلموا أن السهل أمنع جانباً ، وأعز مطلباً ، وهو أحسن موقعاً ، وأعــذب مستمعا"[2].

لقد امتاز " شعر أبي فراس – أيضاً – بوحدة النسج غالبا فلا تجد فيـــه بيتا من حرير وآخر من قنب ، ولكن الجمال موزع هنا وهنـــاك لا يرتفـــع محلقاً، ولا ينحط مسفا وما فيه من مظاهر الــضعف لا ينــزل بـــه إلـــى الحضيض ٠[3]

وسأتحدث عن ألفاظ أبي فراس في شعره الذي صور سيف الدولـــة من خلال النعتين ٠

فالجزالة ظهرت بوضوح في شعره الحربي الذي صور وقائع سيف الدولة ، والرقة ظهرت في شكواه وعتابه وإخوانياته ٠

لا شك أن أحسن مواطن الجزالة وأفضلها ، وأكثرهـــا ملاءمـــة ، معاني القوة والبأس[4] .

---

(١) انظر : أبو فراس الحمداني " شاعر الفروسية والوجدان ، د. محمد حمُّود ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ١٩٩٤م ، لبنان ، ص٧٧.

(٢) كتاب الصناعتين : ٠٦٠

(٣) أبو فراس الحمداني " دراسة في الشعر والتاريخ " ، جورج غريب ، دار الثقافة – بيـــروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٥م ، ص٩٤ ٠

(٤) انظر : الشعر في ظل سيف الدولة ، د. درويش الجندي ،مكتبة الأنجلـــو المـــصرية ، ط١ ، ١٩٥٩م ، مصر ، ص٢٦١.

ومواطن الحرب وأماكن القتال تحتل النصيب الأكبر من معاني القوة والبأس ٠

لقد كان سيف الدولة أميراً وفارساً شجاعاً عرفته مواطن الـوغى، وساحات القتال ، وأبو فراس بطل شجاع جمع بين المهارة الحربية ، والقدرة الأدبية ، فكان الأمين على تجسيد تلك الوقائع فنياً بعد أن خاضها وعاركها جسدياً ، وبعد أن رأى أميره وسيده يخوض تلك الوقائع فيوقع بأعدائه ويكسر شوكتهم . وسيف الدولة مع شجاعته وقدرته الحربية " كانت له ناحية أخرى من العظمة لا تقل عن عظمته الحربية ، فقد كان راعياً للأدب والفنون ، وكانت ندوته التي كان يقيمها في قصره في فترات السلم حافلة بالعلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة الذين يقصدونه من كل صوب ، يلقون من كرمه ما يدفع بهم إلى تجود صناعتهم الأدبية "[١] . وأبو فراس واحد من أولئك والعبء عليه سيكون أكبر في إبراز مواقف سيف الدولة الحربية في أحسن صورة فهو الفارس والشاعر فلابد أن يكون شعره الذي صور وقائع سيف الدولة ذا لغة حربية واضحة الجزالة ، تشكل معجمها من ساحات القتال وأدواته ، وأن يمارس الحرب إبداعا كما مارسها واقعاً وعملاً [٢]، وليست الحرب هي المهيمنة على معجم أبي فراس فهو شاعر استطاع أن يطوع الكلمة لتجربته التي يريد أن يعبر عنها ، فإذا كانت ألفاظ الحرب قد سيطرة على مدائحه الحربية فإنه قد أحسن توظيف مفرداته الجوانب الأخرى مثل السيادة والشرف ، والقيادة والكرم ، والصبر وغيرها ٠

وهكذا يكون الشاعر المجيد المتمكن من أدواته فإنه كلما التجربة الفنية قوية وحية في نفس الشاعر أتت الألفاظ والقيم التعبيرية المعبرة عنها وثيقة الصلة بها ، قادرة على تجسيدها وتفجير ما يتصل بها من حالات

---

(١) سيف الدولة : مملكة السيف ودولة الأقلام ، ص١٩٧.

(٢) انظر : شعر أبي فراس الحمداني دلالاته وخصائصه ، د.عبد المطلب عمران ، دار الينابيع ، ط١ ، ١٩٩٩م ، دمشق ، ص١١٦.

وجدانية في نفس المتلقي ومكنت الشاعر من توصيل طاقاته الشعورية إلـــى قارئه.

وشعر أبي فراس حافل بذلك كله يلاحظ في أثناء مدحه لسيف الدولة أو عتابه ، فعندما يمدح سيف الدولة بالسيادة والإمارة والملك تطفــح لغتــه الشعرية بمفرداتها الدالة على مراده ، فلفظة " السيد " وما يرادفهــا تظهــر بوضوح في شعر أبي فراس الذي يصور سيف الدولة، يقول: [١]

أيا سيداً عمني جـــــوده   بفضلك نلت السنا والسنـــاء

لقد نادى أميره بأداة النداء البعيدة التي توحي بعلو منزلته وقدره فـــ" قد ينزل القريب منزلة البعيد ، فينادى بأحد الحروف الموضوعة له ، وذلك لاستبعاد الداعي نفسه عن مرتبة المنادى ، وإعظامه إياه ، فكأن بعد درجته عنه في الرفعة والعظم بعد حسي" [٢].

وفي تنكير كلمة " سيد " دلالة على سيادته المطلقة وتعظيمه إياه ٠

وتأمل الفعل " عمّ " ترى كيف أفاد إفاضة الفضل وشـــموله لأبـــي فراس حتى لم يبق منه موضع إلا ولسيف الدولة عليه فضل ومنّة، واستعماله للفعل دلالة على الحدوث والتجدد " فمن المعلوم أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد ، والاسم يدل على الثبوت "[٣].

وقد يضيف الشاعر لفظ : السيد إلى نفسه إضافة افتخار واعتـــزاز بسيف الدولة ، واعتراف بفضل الممدوح على المادح [٤]:

---

(١) الديـــوان : ١٧.

(٢) معجم البلاغة العربية ، د.بدوي طبانة ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـــ - ١٩٨٢م ،ج٢ص٨٥٠ .

(٣) التعبير القرآني ، د.فاضـــل صـــالح الـــسامرائي ، دار عمـــار – عمـــان – الأردن ، ط٥ ، ١٤٢٨هـــ - ٢٠٠٧م ، ص٢٢ ٠

(٤) الديـــوان : ٩٥

هَــلْ لِلْفَصَاحَةِ وَالسمَــا   حَــةِ وَالْعُلَى عَــنِّي مَحِيــــدُ
إِذْ أَنْتَ سَيِّــدِي الَّـــــذِي   رَبَّيْتَنِي وَأَبِــي سَعِيــــــــــدُ

وأبو فراس يكرر الأوصاف التي أطلقها على ممدوحه سيف الدولة لما فيها من فخامة وعلو وجزالة ، ومنها "القريـــع" بمعنـــى " الـــسيد "[1] ، والجبل، سيف الهدى ، سيف الدولة مثل قوله: [2]

أَسَيْفَ الْعِــدَى وَقَرِيعَ الْعَــــرَبْ   عَــلاَمَ الْجَفَاءُ وَفِيمَ الْغَضَــبْ؟

في الشطر الأول لفتة جميلة وذكية من الشاعر ، فقد بعث الـــشاعر بهذه القصيدة إلى سيف الدولة من سجنه عند الروم عندما بلغـــه أن ســـيف الدولة غضب عليه بسبب مقولته " إن ثقل هذا الأمر على الأمير كاتبنا فيـــه صاحب خراسان ، وغيره من الأمراء وخفف علينا الأسر"[3] ، ففي الشطر الأول إشارة من الشاعر على سبيل الطباق غير الصريح أن سيف الدولـــة شديد على أعدائه رحيم بأوليائه فلا ينبغي له أن يتحول عن هذه العادة ٠

ومن الأوصاف التي تدل على السيادة وفيها الجزالة والفخامة مـــع السهولة لفظ " سيف " مضافاً وقد كثر عند أبي فراس في مخاطباته لـــسيف الدولة ، وقد يقرنه بصفة الملك بمثل قوله : [4]

إذا كانَ " سَيْفُ الدَّولَةِ " المَلْكُ كَافِلِي   فَلا الْحَزْمُ مَغْلُوبٌ ولا الْخَصْمُ غَالِبُ

ومثل: [5]

وَهَلْ عُذْرٌ ، وَسَيْفُ الدِّيْنِ رُكْنِي   إِذَا لَمْ أَرْكَبِ الخُطَطَ العِظَامَا

---

(١) قال الزمخشري في أساس البلاغة : ومن المجاز : فلان قريع قومه : لسيدهم ٠(مادة: قرع).
(٢) الديــوان : ٢٤.
(٣) نفســـــه : ٢٤.
(٤) نفســـــه : ٤١.
(٥) نفســـــه : ٢٩٠.

ومثل قوله : [١]

سيف الهدى ،من حد سيفك يرتجى   يوم يــذل الكفــر بالإيمـــــــان

وتأمل كيف قرن لفظ " الهدى " بلفظ " الكفر والإيمان " .

ومثل قوله : [٢]

يا " سيف دين الله " غير مدافع   اغضب لدين الله ربك واعزم

وقد تأتي صفة " الملك " مفردة دون أن يعرفها بوصف "سيف الدين أو سيف الدولة " مثل قوله : [٣]

يا أَيُّهَا الْمَــلِكُ الَّـــــذِي   أَضْحَى لِذَيْلِ الْمَجْدِ سَاحِــبْ

ومن الألفاظ الجزلة التي وصف بها أبو فراس سيف الدولة للدلالـــة على السيادة والملك لفظ " القرم "[٤] بمعنى " السيد " وأوردها مقرونة بصفة " سيف الدولة دائماً كقوله : [٥]

فلا تخش "سيف الدولة " القرم أنني   سواك إلى خلق من النـــاس راغب

وكقوله: [٦]

ما زال سيف الدولة ، القرم الذي   يلقى الجسيم ، ويحمل الأثقالا

وكقوله : [٧]

وَمَا دَامَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْقَرْمُ بَاقِيًــا   فَظِلُّكِ فَيَّاحُ الْجَنَــابِ ظَلِيـــــلُ

---

(١) الديــوان : ٣٤٢.
(٢) نفســـــه : ٣١٦.
(٣) نفســـــه : ٢٩.
(٤) قال الزمخشري في أساس البلاغة : ومن المجاز : هو قَرْم القروم ، ومقرم : ســيد ، مــادة (قرم).
(٥) الديــوان : ٤٢.
(٦) نفســـــه : ٢٤٣.
(٧) نفســـــه : ٢٥٥.

وكقوله : [١]

أعادات سيف الدولة القرم إنهــا   لإحدى الذي كشفت بل هي أعظم

وفي شعر أبي فراس صفتان وردتا غالباً فــي ســياق العتــاب أو الشكوى ، وهما صفتا " المولى " و " الأمير " ٠

فصفة " المولى " ترد غالباً في الشكوى والاستعطاف كقوله: [٢]

ففيم يعرضنـــي للخمـــول   مولـــى به نلت أعلـــى الرتب

وكقوله : [٣]

وملكتك النفس النفيسة طائعــاً   وتبذل للمولى النفوس النفائس

وكقوله : [٤]

وَإِنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَــدِي   وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ الَّذِي بِكَ أَهْتَـــدِي

وأما صفة " الأمير " فقد وردت في شعر أبي فراس في سياق العتاب الغاضب الذي لا يصاحبه استعطاف كقوله: [٥]

لم يبق في الناس أمة عرفــت   إلا وفضل الأمير يشملهــــا

وكقوله : [٦]

أَقَمْتُ عَلَى الأَمِيْرِ وَكُنْتُ مِمنْ   يَعِزُّ عَلَيْهِ فُرْقَتُهُ اخْتِيَـــارَا

إِذَا سَارَ الأَمِيْرُ فَلا هُـــدُوًّا   لِنَفْسِيْ أَوْ يَؤُوْبَ وَلا قَرَارَا

---

(١) الديــوان : ٢٩٦.

(٢) نفســـه : ٢٥.

(٣) نفســـه : ١٩٧.

(٤) نفســـه : ٩٨.

(٥) نفســـه : ٢٦٥.

(٦) نفســـه : ١٢٠.

وكقوله : [1]

وَمِثْلُ أَبِيْ فِرَاسٍ مَنْ تَجَافَىْ   لَهُ عَنْ فِعْلِهِ ، مِثْلُ الأَمِيْرِ

وشعر أبي فراس الذي يصف فيه وقائع سيف الدولة وحروبه مع أعدائه تظهر فيه الجزالة في أوضح صورها ، وتتجلى فيها اللغة الحربية، كما في قوله : [2]

حَازِمٌ ، عَازِمٌ ، حَرُوبٌ ، سَلُوبٌ   ضَارِبٌ ، طَاعِنٌ ، خَرُوجٌ ، وَلُوجُ

مِحْرَبٌ ، هَمُّهُ حُسامٌ صَقِيلٌ   وَجَوَادٌ مُطَهَّمٌ ، عُنْجُوجُ

وَخُيُولٌ وَغِلْمَةٌ وَدُرُوعٌ   وَسُيُوفٌ وَضُمَّرٌ وَوَشِيجُ

وهذه الصفات / الأخبار جمل اسمية تدل على الثبوت فهي صفات ثابتة للمدوح لا تنتقل عنه. ونلاحظ فيها بأن أبا فراس قد حذف المسند إليه وهو الضمير العائد على سيف الدولة ، والحذف " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه السحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ..." [3]. وبلاغة المدح هنا أن يكون كما أورده الشاعر " وسر الحذف ... هو رغبة الشاعر في تمييز هذه المعاني ، وظهورها صنوفاً متباينة ، وألواناً مختلفة ، وأخبارا متغايرة ، وحذف المبتدأ في تلك الجمل المستأنفة يحقق هذه الرغبة إذ يجعل الجمل المستأنفة مستقلة بمعانيها ، غير مرتبطة بما قبلها ... وشيء آخر وراء حذف المسند إليه في هذا المقام ، وهو أنه ينبئ بمدى انفعال الشاعر وامتلاء نفسه

---

(١) الديوان : ١٩١.

(٢) نفسه : ٧٠.

(٣) دلائل الإعجاز : ١٤٦.

بتلك المعاني ، فيفيض بها صنوفاً مختلفة ، وألواناً متخيرة "[١]، لكن أبا فراس في كثير من مدائحه الحربية يعتمد على الجمل الفعلية التي تفيد الحدوث والاستمرار كما في قوله : [٢]

قَدّ ضَجَّ جَيْشُكَ مِنْ طُوْلِ القِتَالِ بِهِ وَقَدْ شَكَتْكَ إِلَيْنَا الخَيْلُ وَالإِبِلُ

إنك تشعر بالجلبة واختلاط الأصوات من الإعياء والتعب الذي ما زال سيف الدولة يلحقه بجيشه ، ثم تسمع بعد ذلك حمحمة الخيل ورغاء الإبل تشتكي ما أصابها من عزم سيف الدولة وبأسه الذي ما فتئ يرمي بها في كل وجهة . والشطر الثاني مضمن فيه بيت عنترة بن شداد يتحدث عن فرسه : [٣]

لَوْ كَانَ يَدْرِيْ مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلامَ مُكَلِّمِي

على أن أبا فراس أثبت لخيلهم وإبلهم حديثاً ووشوشة بينما ترى عنترة ينفي عن جواده الحديث والكلام . ولهذا أرى أن شطر أبي فراس أبلغ من بيت عنترة ، ولأن أبا فراس أوجز في شطر بيت في حين استغرق عنترة بيتاً كاملاً .

ويظل الفعل هو المسيطر على حربيات أبي فراس التي يصف فيها سيف الدولة: [٤]

وَسَائِلْ نُمَيْرًا يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِمُ أَلَمْ يُوقِنُوا بِالْمَوْتِ لَمَّا تَنَمَّرَا

---

(١) علم المعاني : دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م ، ص ٨٠ ، ٨١.

(٢) الديوان : ٢٥٧.

(٣) من معلقته التي مطلعها:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

ديوان عنترة بن شداد ، تقديم وشرح وتعليق الدكتور محمد حمود ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ١٩٩٦م ، بيروت ، ص١٥١.

(٤) الديوان : ١١٧.

وَسَائِلْ عُقَيْلاً حِينَ لاَذَتْ "بِتَدْمُــرٍ"   أَلَـــمْ نُقْرِهَا ضَرْبًا يَقُدُّ السَّــنَــوَّرَا
وَسَائِلْ قُشَيْرًا حِينَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا   أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْسًا مِنْ الْمَوتِ أَحْمَرَا

هنا أفعال تتآزر لترسم لنا جوا معتكراً بالحركة لا يهدأ ولا يتوقـف (سار – يوقنوا – تتمر – سائل – نقرهم – يقِد – جفت – نسقهم) ٠

وقد تحل مشتقات الفعل لتؤدي الدور الحركي الذي يفيـده الفعـل، كقوله :(١)

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَزُورُ الثَّغْرَ لاَ ضَجَرٌ   يَثْنِيكَ عَنْهُ وَلاَ شُغْلٌ وَلاَ مَلَـلُ
فَالنَّفْسُ جَاهِدَةٌ وَالْعَيْنُ سَاهِـــدَةٌ   وَالْجَيْشُ مُنْهَمِكٌ ، وَالْمَالُ مُبْتَذَلُ

فالمشتقات (جاهدة – ساهدة – منهمك – مبتذل) قد صورت حركية الحرب مع دلالتها الاسمية ٠

ولا تقف الجزالة في شعر أبي فراس على حركة الحرب وبأسها، بل هي ظاهرة في شعره الذي كان يبعث به طلبا للنجدة والفداء كما في قول أبي فراس : (٢)

دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّـــدِ   لَدَيَّ وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيـلِ الْمُشَـــرَّدِ
دَعَوْتُكَ ، والأَبْوَابُ تَرْتَجُّ دُونَنَـا   فَكُنْ خَيْرَ مَدْعُوٍّ ، وَأَكْرَمَ مُنْجِـدِ
فَمِثْلُكَ مَنْ يُدْعَـي لِكُلِّ عَظِيْمَـةٍ   وَمِثْلِيَ مَنْ يُفْـدَى بِكُلِّ مُسَـوَّدِ
أُنَادِيكَ لاَ أَنِّي أَخَافُ مِنَ الــرَّدَى   وَلاَ أَرْتَجِي تَأَخِيـرَ يَوْمٍ إِلَى غَدِ
وَقَدْ حُطِّمَ الْخَطِّيُّ وَاخْتَرَمَ الْعِدَى   وَفُلِّلَ حَــدُّ الْمَشْرَفِـي الْمُهَنَّـدِ

هذه الأبيات تتزاحم بالألفاظ الجزلة (– القريح ــ المسهد – ترتج – مسود – الردى – حطم – الخطي ــ اخترم – فلل – المــشرفي المهنــد)،

---

(١) الديــوان : ٢٥٧، القريح : الجريح ، ترتج : تقفل ، مــسود : ســيد ، الخطــي : الــرمح ، المشرفي : السيف.

(٢) نفســـه : ٩٦ ، ٩٧.

وفي الأبيات تآزر واضح بين الاسم والفعل ، فالأبيات تتحرك بين الحدوث والثبوت ، فهي بحق نبض صادق لانفعالات الشاعر وأحاسيسه ، فالسجن يقعدها حتى إذا اهتزت في أبي فراس عروبته ، وحبه للحرب ، وشوقه للمعارك تحركت واضطربت ٠

وإذا كانت الجزالة قد شملت جانباً كبيراً من شعر أبي فراس ، فإن جانباً آخر قد طفح بالرقة والعذوبة ، يتضح هذا الجانب في إخوانياته ، وفي عتابه وخاصة بعد الأسر، فمن معالم الرقة قوله : [١]

هَلْ لِلْفَصَاحَةِ وَالسَمَا ... حَةِ وَالْعُلَى عَنِّي مَحِيدُ

إِذْ أَنْتَ سَيِّدِي الَّذِي ... رَبَّيْتَنِي وَأَبِي سَعِيدُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْتَفِيـ ... ـدُ مِنَ العَلاَءِ وَأَسْتَزِيدُ

وَيَزِيدُ فِيَّ إِذَا رَأَيْـ ... ـتُكَ فِي النَّدَى خُلُقٌ جَدِيدُ

فالرقة واضحة في هذه الأبيات بكثرة الأسماء التي حشدها فيها، والاستفهام الذي افتتح به الأبيات يريد به التأكيد للمعنى اللاحق له ، الأمر الذي أضفي على التركيب رقة وعذوبة ، ويظهر فيها الأسلوب النثري المباشر ، والمباشرة والنثرية قد تكونان " قرينتين للعفوية والرغبة في التعبير عن الذات تعبيرا قاصدا مكشوفا ، ... أو للسرعة وضيق الوقت عن معاودة النظر في الشعر "[٢] ، وأبو فراس في إخوانياته يتميز بهاتين الميزتين فهو يعبر عن نفسه دون تكلف ، ووقته يضيق عن معاودة النظر ، وتحكيك شعره والعناية به ؛ لاشتغاله بأمور السياسة والملك.

---

(١) الديوان : ٩٥.

(٢) الشعر والناقد " من التشكيل إلى الرؤيا " ، د. وهب رومية ، سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، رجب ١٤٢٧هـ ــ سبتمبر ٢٠٠٦م ، الكويت ، ص٢٢.

كما يظهر في الأبيات استخدام الشاعر للمفردات التي تدل على أجزاء المعاني ببساطة ويسر فلا تكلف ولا تقعر . وهذا النوع من التراكيب هو ما أشار إليه حازم القرطاجني وهو يتحدث عن الأقاويل الشعرية حين تقع من النفوس موقعاً حسناً، إذ يقول " فإن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ ، وتنتقي أفضلها وتركب التركيب المتلائم المتشاكل وتستقصي بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها حتى تكون حسنة إعراب الجمل والتفاصيل عن جملة المعنى وتفاصيله ... "[١]

فالأبيات تحمل هذه السمة التي أشار إليها حازم وتظهر جلية في البيتين الثاني والثالث ، فقد ركب أسلوبه من كلمات مفردة ، كل كلمة منها تدل على مراده من غير زيادة أو نقص.

ومن ذلك قوله : [٢]

قَدّ ضَجَّ جَيْشُكَ مِنْ طُولِ القِتَالِ بِهِ   وَقدْ شَكَتْكَ إِلَيْنَا الخَيْلُ وَالإِبِلُ

وقَدْ دَرَى الرُّومُ مُذْ جَاوَرْتَ أَرْضَهُمُ   أَنْ لَيْسَ يَعْصِمُهُمْ سَهْلٌ وَلاَ جَبَلُ

فأسلوب أبي فراس في المثالين السابقين تركب من كلمات مفردة ، دلت كل كلمة منها على المعنى الذي يراد منها دون زيادة أو نقص، ولم تكن من بينهما كلمة لا فائدة في وجودها ، أو لم تؤد المعنى المراد.

ومن ذلك قوله أيضاً : [٣]

أَسَيْفَ الْعِدَى وَقَرِيعَ الْعَرَبْ   عَلاَمَ الْجَفَاءُ وَفِيمَ الْغَضَبْ؟

وَإِنَّكَ لَلْجَبَلُ الْمُشْمَخِـ   ـرُّ لِي بَلْ لِقَوْمِكَ بَلْ لِلْعَرَبْ

---

(١) منهاج البلغاء : ١١٩.

(٢) الديوان : ٢٥٧.

(٣) نفسه : ٢٤.

عُلًى تُسْتَفَادُ وَعَافٍ يُفَادُ وَعِزٌّ يُشَادُ وَنُعْمَى تُرَبْ

وفي شعر أبي فراس ذلك الأسلوب المضطرد في القصيدة الواحدة ، إذ نراه يسير في مستوى واحد من الأسلوب لا يتغير من أول القصيدة إلى آخرها الأمر الذي يشعر بمتعة التلقي ولذة التذوق إذ يبقى الشعور واحداً حتى نصل إلى نهاية النص ، وإنما يحسن ذلك الاضطراد الأسلوبي في القصيدة ذات الغرض الواحد المسيطر على الأبيات ، ومن ثم يظهر لكل نص ما يناسبه من الأسلوب ، وهي مزية حسنة يوفق إليها الشاعر المتمكن من أداته الشعرية ، وذلك ظاهر بجلاء في شعر أبي فراس ٠ وقد امتدح نقادنا القدامى هذه الميزة الأسلوبية ، وأثاروها في قراءتهم للشعر فرأوا بأن " تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه"[(١)] ٠

وتأمل هذين المثالين من شعر أبي فراس لتتبين مقدار ما برع فيه من جودة الأسلوب لما يطرقه من غرض . يقول أبو فراس مادحاً سيف الدولة : [(٢)]

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَضْحَى لِذَيْلِ الْمَجْدِ سَاحِبْ
نُتِجَ الرَّبِيعُ مَحَاسِناً أَلْقَحْنَهُ غُرُّ السَّحَائِبْ
رَاعَ الْعُيُونَ بِحُسْنِهَا تَحْكِي لَنَا خَدَّ الْحَبَائِبْ

(١) الوساطة : ٢٤.

(٢) الديوان : ٢٩.

حَضَرَ الشَّرَابُ وَلَمْ يَطِبْ   شُرْبُ الشَّرَابِ وَأَنْتَ غَائِبْ

فالمشاهد في هذه الأبيات ما نهجه أبو فراس فيها من أسلوب رقيق عذب يناسب موقف اللباقة والظرف الذي أشار إليه القاضي الجرجاني سابقاً، بينما ينحى منحى آخر في أسلوبه عند مدحه بالشجاعة والبأس ، فترى القوة والجزالة في مثل قوله [١]:

وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَا   كَمَا هَيَّجْتَ آسَاداً غِضَابَا

أَسِنَّتُهُ إِذَا لاقَى طِعَانًا   صَوارِمُهُ إِذَا لاَقَى ضِرَابَا

دَعَانَا وَالأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ   فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتَهِ الْجَوَابَا

صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ   وَغَرْسٌ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا

لقد لمس الثعالبي هذه الصفات الأسلوبية عند أبي فراس فقال : "وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ٠٠٠"[٢] فالثعالبي قصد إلى هذه الميزة التي تطبع شعر أبي فراس إذ يعطي كل غرض حقه ٠

ومن الميزات الأسلوبية التي ظهرت في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وهذا يشير إلى التصاق أبي فراس بمصادر الثقافة العربية التصاقا وثيقا ، فمن أمثلة أثر القرآن في شعره الذي صور به سيف الدولة ، قوله : [٣]

أُنَادِيْكَ لاَ أَنِّي أَخافُ مِنَ الـرَّدَى   وَلاَ أَرْتَجِي تَأَخِيرَ يَوْمٍ إِلَى غَدِ

---

(١) الديـوان : ٣٤.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ٥٧.

(٣) الديـوان : ٩٧.

ظهر في عجز البيت قول الله تعالى : "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) "[١] .

ومن تأثره بالقرآن في شعره قوله : [٢]

قُولاَ لِهَذَا السَّيِدِ الْمَاجِدِ قَوْلَ حَزِينٍ مِثْلِهِ فَاقِدِ
هَيْهَاتَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالدٍ لاَ بُدّ مِنْ فَقْدٍ وَمِنْ فَاقِدِ

من قوله تعالى : "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) "[٣] .

ومنه قوله : [٤]

وَإِذَا رَأَتْهُ عُدَاتُهُ بَلَغَتْ قُلُوبُهُمُ الْحَنَاجِرْ

من قوله تعالى : " إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) "[٥].

ومن أثر القرآن في شعره ، قوله : [٦]

لَعَمْرُكَ مَا الأَبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ

من قوله تعالى : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) "[٧].

---

(١) الأعراف : ٣٤ .
(٢) الديــوان : ١١٠.
(٣) الأنبياء : ٣٤.
(٤) الديــوان : ١١٥.
(٥) الأحزاب : ١٠
(٦) الديــوان : ١٢٧.
(٧) الحج : ٤٦ .

ومن أثر الحديث الشريف في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولـــة ، قوله :[1]

أَبٌ بَرٌ وَمَوْلًّى وَابْنُ عَــمٍّ ... وَمُسْتَنَدٌ إِذَا مَا الْخَطْبُ جَارَا

يَمُدُّ عَلَى أَكَابِرِنَا جَنَاحــاً ... وَيَكْفُلُ فِي مَوَاطِنِنَا الصِّغَارَا

في البيت الثاني تأثر بقول النبي صلى الله عليه وسلم "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا"[2].

٢ - التكرار :

التكرار ظاهرة أسلوبية يلجأ إليها الأديب لتقويـــة معانيـــه والتأكيـــد عليها[3] وقد أشار إليها علماء اللغة والبلاغة قديماً .

قال الفيروزأبادي: " كر عليه كراً وتكراراً عطف وكر عنه رجع فهو كـــرار ، ومكر ، بكسر الميم ٠ وكرره تكريراً وتكراراً وتكرة كتحلة ، وكركره أعاده مرة بعد أخرى "[4] ، وقال الزمخشري: " انهزم عنه ثم كر عليه كروراً ، وكر عليه

---

(١) الديوان : ١٢٠.

(٢) سنن الإمام الترمذي ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التـــراث العربـــي ، بدون تاريخ ، بيروت ، ج٤ ص٣٢٢ (ح١٩٢٠) ، و رياض الصالحين ، الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النـــووي الدمـــشقي ، دار المؤيـــد ، الريـــاض ، ١٤٢٣هـــــ - ٢٠٠٣م ، ص١٧٥.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، مطبعة جامعة الخرطوم ، دار جامعة الخرطـــوم للنشر ، ط٤ ، ١٩٩١م ، ص٤٩٥.

(٤) القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التـــراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرســـالة – بيـــروت ، ط٣ ، مادة (كرر) ٠

رمحه وفرسه كرا ، وكر بعدما فر ، وهو مكر مفر، وكرار فرار ٠ وكـررت عليه الحديث كرا ، وكررّت عليه تكراراً وكرر على سمعه كذا ، وتكرر عليه "[١] .

أما عند البلاغيين فقد كان لمصطلح التكرار حضورٌ واضح قال ابن رشيق القيرواني : " وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقـبح فيهـا ٠ فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه ، ولا يحب للشاعر أن يكرر أسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب إن كان في تغزل أو نسيب "[٢] فابن رشيق يرى أن التكرار يكون في اللفظ كثيراً وفي المعنى أقـل . فالتكرار قد يكون في اللفظ وقد يكون في المعنى ، وعلى هذا سار ابن الأثير فقد قسم التكرار إلى قسمين : "أحدهما يوجد في اللفظ والمعنـى ، والآخـر يوجد في المعنى دون اللفظ"[٣]٠

وقد عرفه ابن الأثير : " دلالة اللفظ على المعنى مردداً " [٤]. وأشار إليه حازم القرطاجني بقوله : " وصور المعاني ضربان : صورة متكررة ، وصور غير متكررة ، والتكرار لا يجب أن يقع في المعاني ، إلا بمراعـاة اختلاف ما في الحيزين اللذين وقع فيهما التكرار من الكلام، فلا يخلو ذلك :

إما لمخالفة في الوضع : بأن يقدم في أحد الحيزين مـا أخـر فـي الآخر، أو بأن تختلف جهات التعليق في الحيزين ٠

أو بأن يفهم المعنى أولاً من جهة من جهات الإبهام ، ثـم يـورده مفسراً من الجهة التي وقع فيها الإبهام ، أو بأن يجمل ، ثم يفصل... أو بأن

---

(١) أساس البلاغة ، مادة (كرر) ٠

(٢) العمـدة : ٢ / ٦٨٣.

(٣) المثل السائر : ٢ : ١٤٦ ٠

(٤) نفسـه : ٢ : ١٤٦ ٠

يفصل ، ثم يجمل الضرب من المقاصد ، أو بأن يورد على صورة من الجمع والتفريق..." [١].

ومن النقاد القدامى الذين تعرضوا لهذه الظاهرة الأسلوبية ابن سنان الخفاجي ، حيث عده ضرورة إذا كان المعنى لا يكتمل إلا به وانتقد من يغفل التكرار في نظمه أو نثره ، فقال : " وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة ، ويغض في طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه ، وصيانة نسجه عنه، إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل ، ولا دقيق نظر ، وقلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب من استعمال ألفاظ يديرها في شعره حتى لا يخل في بعض قصائده بها ، فربما كانت تلك الألفاظ مختارة يسهل الأمر في إعادتها وتكريرها ، إذا لم تقع إلا موقعها وربما كانت على خلاف ذلك"[٢].

وواضح من كلام ابن سنان الخفاجي أنه لا يزري بالتكرار على الجملة إنما يحترز عن التكرار الذي ليس تحته طائل ٠

ومن هنا يظهر لنا أن النقاد القدامى قد نظروا إلى التكرار من جانبيه اللفظي والمعنوي وعلقوا فائدته على إفادته وإلا كان عبثاً وتطويلاً يرهق النظم ولا يفيده وعلى هذا نستطيع أن نقول أن التكرار الذي عناه البلاغيون في إشادتهم هو : " ما ورد في المواطن التي تستدعيه تبعاً لحاجة المتكلم في إيصال ما يريده من معنى ، فكان له بذلك أثر الحسن في الكلام معنى ولفظاً"[٣]. وعلى الإفادة وغير الإفادة بنى البلاغيون حديثهم فيما أسموه : الإطناب وهو ممدوح عندهم ، والتطويل والحشو وهو المذموم ٠

---

(١) منهاج البلغاء : ٣٦ ٠

(٢) سر الفصاحة ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي ،، دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ، بيروت ، ص١٠٦ .

(٣) التكرار في شعر محمود درويش ، فهد ناصر عاشور ، المؤسسة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، بيروت ، ص٢٦ ٠

ولأن " التكرير أو التماثل الصوتي أمر لازم في لغة البشر "[١] فقد امتدت العناية به وتوسع فيه الأدباء لحاجتهم إلى التعبير عن كل خلجات نفوسهم ؛ ذلك أن " المعاني من ناحية أوسع مدى من الألفاظ ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات ، أو الدلالات المجازية ، والرمزية ؛ لاستيفاء المعاني، كما أنها - من ناحية أخرى- بتكرره في الحديث الواحد عند قصد التأكيد ، وعند وقوع الشركة في الموصوف ، أو الصفة متى أريد النص ، واستقلال الأفراد ، دون تثنية أو جمع "[٢] فإذا كرر الأديب المتمكن من صنعته كان لتكراره مقصد وغاية تنبه إلى اهتمامه وعنايته بأمر المكرر وإلى هذا قصد الجاحظ بقوله : " وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ ، وترداد المعاني عياً إلا ما كان من النخار بن أوس العذري ، فإنه كان إذا تكلم في الحمالات ، وفي الصفح ، والاحتمال ، وصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار ، كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل ، والتخويف ، وربما حمي فنخر "[٣].

وامتد اهتمام النقاد بظاهرة التكرار ، وظهر الاهتمام الأكبر بهذه الظاهرة الأسلوبية عند النقاد المحدثين ، الذين أولوه عناية كبيرة وعدُّوه أحد الأدوات الفنية الأساسية للنص ؛ لما يشعه في النص من موسيقى متناغمة فالشعر "جميل في تخير ألفاظه ، جميل في تركيب كلماته ، جميل في توالي مقاطعه وانسجامها بحيث تتردد ، ويتكرر بعضها ، فتسمعه الآذان موسيقى ونغماً منتظماً "[٤] والملمح الموسيقي للتكرار المنتظم مع أجواء النص

---

(١) التكرير بين المثير والتأثير ، د. عز الدين علي السيد ، عالم الكتب ، ط٢ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، بيروت ، ص٧.

(٢) نفسه : ٧ .

(٣) البيان والتبيين : ١ / ١٠٥. نخر : مد الصوت في خياشيمه.

(٤) الأصوات اللغوية ، د.إبراهيم أنيس ، ط٤ ، مصر ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م ، ص١١ .

المعنوية والتعبيرية من أسباب عدة من العناصر البارزة في بنـاء الـنص الشعري الحديث بما يشعه في النص من تجاوب نفسي مع تجربة الشاعر ، فالتكرار كباقي الأساليب يحوي إمكانات تعبيرية تغني المعنى وترفعه إلـى مرتبة الأصالة إذا استطاع الشاعر السيطرة عليه سيطرة كاملة ، واستخدمه في موضعه ، وإلا أصبح مبتذلاً ، فالتكرار لابد أن يكون وثيـق الارتبـاط بالمعنى العام ، وأن يخضع اللفظ لقواعد ذوقية وجمالية وبيانية ، فلا يكرر لفظ ضعيف الارتباط بما حوله أو ينفر السمع منه . والتكرار ليس محصوراً في الحرف فقط أو الكلمة فقط ، بل هو يأتي في العبارة والمقطع ، والتكرار البسيط هو تكرار الكلمة الواحدة في أول كل بيت من مجموع أبيات متتالية في قصيدة ، وهو ما شاع في عصرنا ، وعادة ما يبدأ به صغار الشعراء.[١]

ولا شك أن التكرار يفيد فائدة كبيرة إذا أحسن الشاعر توظيفه وخرج به من شكلية التكرار إلى عمقه النفسي والمعنوي فبالتكرار "يسلط [الشاعر] الضوء على نقطة حاسة في التعبير ويكشف عن اهتمام المـتكلم بهـا ... فالتكرار يضع في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر ، ومن ثم يغدو بمثابة الضوء الذي يسلطه الشاعر على الأعماق كي يسهل الاطلاع علـى خبايا ما وعلى اللاشعور الكامن فيها"[٢]. فالتكرار إذن لـيس ترفـاً لفظيـاً يزخرف به الشاعر نصه الشعري إنما التكرار " إلحاح على جهة هامة فـي العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ... فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حاسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهـذا

---

(١) انظر : قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ط١٢ ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

(٢) شعر الرثاء في العصر الجاهلي : دراسة فنية ، د. مصطفى عبدالشافي الـشوري ، الـدار الجامعية ١٩٨٣م ، بيروت ، ص ٢٥٠ .

المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية صاحبه"[١].

مما سبق من يتضح أن التكرار يكون في اللفظ وفي المعنى ، وقد يكون في المعنى فقط ، وأن التكرار ليس ترفاً لفظياً يلجأ إليه الشاعر ليزيد حصيلته اللفظية ولكن التكرار ينطلق من بواعث شعورية ، وعاطفية ونفسية ، وله قيمة لفظية ومعنوية تبرز من كونه "لوناً من البيان يتسم بالثراء ، والترف ، والخصوبة"[٢].

وبعد : فلم يكن أبو فراس الحمداني بدعاً بين الشعراء فقد أثرى شعره بأنواع التكرار المفيد الذي نطق بالمعاني الشعورية والعاطفية والنفسية. وسأقف فيما يلي مع أنواع التكرار في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة الحمداني.

التكرار اللفظي :

أولاً : تكرار حرف :

وهو " أبسط أنواع التكرار ، وأقلها أهمية في الدلالة وقد يلجأ إليه الشاعر بدوافع شعورية لتعزيز الإيقاع ، في محاولة منه لمحاكاة الحدث الذي يتناوله ، وربما جاء للشاعر عفواً أو دون وعي منه"[٣] وليس بالضرورة أن يقصد الشاعر إلى حرف ما فيكرره عن وعي شعوري تام ؛ لكن انفعاله النفسي ، وحالته الشعورية قد تختار الحرف الذي يتردد في نصه

(١) قضايا الشعر المعاصر : ٢٧٦ .

(٢) لغتنا الجميلة ، فاروق شوشة ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، دون ناشر ، ص١٦٣.

(٣) لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خصير الكبيسي ، وكالة المطبوعات ، ط١ ١٩٨٢م ، – الكويت ، ص١٤٤.

الشعري سواء أكان هذا الصوت داخلياً أم خارجياً. ففي قول أبي فراس من قصيدة يعاتب فيها سيف الدولة يقول : [١]

أَسَيْفَ الْعِـدَى وَقَرِيعَ الْعَـرَبْ   عَـلاَمَ الْجَفَاءُ وَفِيمَ الْغَضَـبْ؟

وَإِنَّـكَ لَلْجَبَلُ الْمُشْمَخِـ   ـرُّ لِي بَـلْ لِقَوْمِكَ بَلْ لِلْعَرَبْ

عُلًى تُسْتَفَادُ وَعَافٍ يُفَـادُ   وَعِـزٌّ يُشَـادُ وَنُعْمَـى تُرَبْ

وحرف العين تتردد أصداؤه في قصيدته البائية هذه وهو كذلك حرف مجهور[٢] يوحي بعلو صوت العتاب المتضمن في القصيدة.

فالصوت الداخلي الذي يتردد داخل البيت الثاني هو صوت (الباء) ، وهو أيضاً الصوت الخارجي للقافية وهو من الأصوات المجهورة الشديدة[٣] ، يناسب ما يحمل النص من العتاب فإن كان أبو فراس لم يرفع صوته مشتداً في عتابه على الحقيقة فإن اختياره لحرف الباء روياً وتقليبه إياه بين الأسماء والأفعال داخل عتابه قد يومي بما يختلج في نفسه من معاني العتاب والألم ، و في تقييده للقافية دلالة نفسية على القيد الذي ما زال صاحباً له مع تواني سيف الدولة عن فدائه!

وحرف الباء ظاهر في أكثر أبيات القصيدة مثل قوله : [٤]

وَمَا زِلْتَ تَسْبِقُنِي بَالْجَمِيـلِ   وَتُنْزِلُنِي بِالْجَنَـابِ الْخَصِـبْ

وَإِنَّـكَ لَلْجَبَلُ الْمُشْمَخِـ   ـرُّ لِي بَلْ لِقَوْمِكَ بَلْ لِلْعَرَبْ

وحرف التاء يتكرر في القصيدة ملموساً في بيتين متواليين وهو يشير إلى سيف الدولة المخاطب بتاء المضارع أو تاء الفاعل ، فكأن أبا

---

(١) الديوان : ٢٤ ، ٢٥.

(٢) المعجم الوسيط : حرف العين.

(٣) المعجم الوسيط : حرف الباء.

(٤) الديوان : ٢٤ ، ٢٥.

فراس جالس بحضرة سيف الدولة يعاتبه على صنيعه ، وهو استحضار من يريد القرب من أميره ، يقول : (١)

وَمَا زِلْتَ مُذْ كُنْتَ تُولي الْجَمِيلَ وَتَحْمِي الْحَرِيمَ وَتَرْعَى النَّسبْ

وَتَغْضَبُ حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتَ أَطَعْتَ الرِّضَى وَعَصَيْتَ الْغَضَبْ

ومن تكرار الحرف قوله : (٢)

دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّدِ لَدَيَّ وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمُشَرَّدِ

فأبو فراس يخاطب سيف الدولة داعياً إياه أن يخلصه من أيدي عدوه فقد بلغ به الألم مبلغاً لم يعد يحتمله ، فالجفن قد تقرح فمن البكاء ، والنوم قد فارقه أو كاد مما يجده من البعاد والهجر ، وقد أقام أبو فراس الاسمين المجرورين باللام كل اسم مستقلاً عن الآخر بتكرار دخول اللام على كل منهما مع جواز العطف على الاسم المجرور الأول دون تكرار حرف الجر، وذلك لغرض تأكيد الألم الذي أصابه ٠

" إن ظاهرة تكرار الحرف موجودة في الشعر العربي، ولها أثرها الخاص في إحداث التأثيرات النفسية للمتلقي فهي قد تمثل الصوت الأخير في نفس الشاعر أو الصوت الذي يمكن أن يصب فيه أحاسيسه ومشاعره عند اختيار القافية مثلاً، أو قد يرتبط ذلك بتكرار حرف داخل القصيدة الشعرية يكون له نغمته التي تطغى على النص لأن الشيء الذي لا يختلف عليه إثنان أن لا وجود لشعر موسيقي دون شيء من الإدراك العام لمعناه أو على الأقل لنغمته الانفعالية "(٣)

---

(١) الديوان : ٢٨

(٢) نفسه : ٩٦.

(٣) ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي ، دراسة أسلوبية ، د. زهير أحمد المنصور ، نقلا عن : نظرية الأدب ، رينيه ويليك ، ترجمة حسام الخطيب ، ص١٦٥ مستفاد من النت (مجلة جامعة أم القرى ، مجلد ٣ ، العدد ٢١ ، رابط المجلة : **http://www.uqu.edu.sa/page/ar/٩٧٧** رابط الصفحة : **http://www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag٢١/MG ٠١٩.htm**

ثانياً : تكرار كلمة : ورد تكرار الكلمة في شعر أبي فراس الذي صـــور سيف الدولة بصورة ملحوظة يومي بما حمله أبو فراس من ظلال وإيحاءات ، وتعد " لا " النافية من أكثر الكلمات التي وردت مكررة في شـــعر أبـــي فراس الذي صور سيف الدولة ، فمن ذلك ، قوله: [١]

إِذَا كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَلْكُ كَافِلِي فَلاَ الْحزْمُ مَقْلُوبٌ وَلاَ الخَصْمُ غَالِبُ

إِذَا اللهُ لَمْ يَحرُسْكَ مِمَّا تَخَافُــهُ فَلاَ الدِّرْعُ مَنَّاعٌ وَلاَ السَّيْفُ قَاضِبُ

وَلاَ سَابِقٌ مِمَّا تَخَيَّلْتَ سَابِـــقٌ وَلاَ صَاحِبٌ مِمَّا تَخَيَّرْتَ صَاحِبُ

فقد كرر " لا " النافية متبوعة بأسماء معرفة تـــارة ومنكـــرة تـــارة ودخول النفي مباشرة على الاسم يفيد تقرير النفي في ذهن السامع ، و كرر ظرف الزمان " إذا " وهو ظرف دال على المستقبل يختص بالأمر المتيقن أو المظنون حصوله وتحققه[٢] واستعمال أبي فراس له فيه إشارة إلى ثقته بعون ربه ثم برعاية أميره سيف الدولة وتخليصه إياه من الأسر ٠

ومثله قوله : [٣]

وكَانَ أَخِي إِنْ رَامَ أَمْراً بِنَفْسِهِ فَلاَ الْخَوْفُ مَوْجُودٌ وَلاَ الْعَجْزُ ظَاهِرُ

وكَانَ أَخِي إِنْ يَسْعَ سَاعٍ بِمَجْدِهِ فَلاَ الْمَوْتُ مَحْذُورٌ وَلاَ السُّمُ ضَائِــرُ

فأبو فراس يشيد معجبا بشجاعة سيف الدولة ، وقدرته على هزيمة الأعداء في أي موقعة ، ويشير إلى مواطن القوة التي يتمتع بها الأميـــر ، فهـــو لا يرهب ولا يعجز ، ولا يرده شيء من اعتبارات الملوك الـــذين يحرصـــون على الحياة.

---

(١) الديوان : ٤٢.

(٢) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبدالخالق عضيمه ، دار الحديث – القـــاهرة ، بدون تاريخ ، جـــ١ ص ١٦٩ ٠

(٣) الديوان : ١٤٤.

و في قوله : [1]

وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَطَاعِمِ طَاعِمٌ   وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَشَارِبِ شَارِبُ
وَلاَ أَنَا رَاضٍ أَنْ كَثُرْن مَكَاسِبِي   إِذَا لَمْ تَكُنْ بِالْعِزِّ تِلْكَ الْمَكَاسِبُ

تقرير لنفي ما يلي " لا " في ذهن السامع ، فأبو فراس عزيز قوم لا يرضى بأي حياة ، ولا يحب أن يرى أميره يرضاها له ، وأبو فراس في معرض استعطافه لسيف الدولة يؤكد قدرة أميره على استنقاذه إذا هم وأراد ذلك فحزنه غالب وخصمه مقلوب لكنه يعود ليؤكد حقيقة أخرى : أن القدر إذا حل لا يستطيع دفعه أحد ، فأبو فراس يهون على نفسه مصاب الأسر ومصاب الخذلان بالعودة إلى القضاء والقدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لو بذل الباذلون وسعى الساعون.

ثم يلتفت إلى نفسه فيؤكد عزتها فهو لا يطعم إلا طعام العز ولا يشرب إلا شراب العز ولا يكسب إلا كسب العز ، وأين ذلك كله ؟ إنه في فناء سيف الدولة .

ومن مواضع تكرار " لا " النافية ، قوله : [2]

لاَ تَحْرُزُ الدِّرْعُ عَنِّي نَفْسَ صَاحِبِهَا   وَلاَ أُجِيرُ ذِمَام الْبِيضِ وَالْيَلَبِ
وَلاَ أَعُودُ بِرُمْحِي غَيْرَ مَنْحَطِمٍ   وَلاَ أَرُوح بِسَيْفِي غَيْرَ مُخْتَضِبِ

فأبو فراس يشير إلى قدرته الحربية الفائقة ، وهذه القدرة التي يفخر بها الشاعر في معرض تباهيه أمام سيف الدولة ، قد سيطرت على الشاعر من خلال تكرار النفي أربع مرات مقترنا بأفعال فاعلها الشاعر.

---

(1) الديوان: ٤٢.

(2) نفسه : ٦١ ، ٦٢.

ومنه قوله : [1]

لاَ بِالْغَضُوبِ وَلاَ الْكَذُو ... بِ وَلاَ الْقَطُوبِ وَلاَ الْمَلُولِ

ومنه قوله : [2]

فَلاَ هُوَ فِيمَا سَرَّهُ مُتَطَاوِلٌ ... وَلاَ هُوَ فِيمَا سَاءَهُ مُتَقَاصِرُ

ومن تكرار الكلمات تكراره الناسخ " ليت " الذي يفيد التمني ، والتمني " هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى ولا يتوقع حصوله ...." ما لكونه مستحيلاً ٠٠٠٠ وإما لكونه ممكناً غير مطموع فيه"[3]

وأبو فراس عندما استعمل ليت كان يقصد إلى الترجي لا التمني فقد تستعمل " ليت " لغرض بلاغي هو " إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله "[4].

وذلك في قوله: [5]

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَّاةُ مَرِيــرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ

فَيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وِدَادِكَ صَافِيًا ... وَشُرْبِيَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ سَرَابُ

فأبو فراس يثبت فروسيته وشجاعته بما يصنعه في ساح الوغى من إهلاك العدو ، وإتلاف العدة ، ولم يلجأ إلى إثباتها بذكر شجاعته وقوته مباشرة بل بنفي أفعال لو أثبتها لكانت منقصة ومذمة ٠

---

(1) الديوان: ٢٧٤.
(2) نفسه : ١٤٠.
(3) جواهر البلاغة : ١٠٣ .
(4) نفسه : ١٠٣ .
(5) الديوان : ٤٨.

ومن تكرار الكلمة في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة تكراره " لا " الناهية في قوله : [١]

فَلاَ تَتْرُكِ الأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا   وَلاَ تَقْطَعِ التَّسْآلَ عَنِّي وَتقْعُدِ
وَلاَ تَقْعُدنْ عَنِّي وَقَدْ سِيمَ فِدْيَتِي   فَلَسْتَ عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ بِمُقْعَدِ

فتكراره " لا " الناهية فيه التماس وتلطف لسيف الدولة إلى المبادرة إلى فدائه ، ويحشد أبو فراس مع الالتماس مثيرات يغري بها سيف الدولة ففرح الأعداء بمصير أبي فراس يدفع الأمير إلى المبادرة في الفداء ، وكذلك صفة القعود مما يأنف منها العربي ، إذ إن القعود صفة ملازمة للعجز ٠

ويعلم أبو فراس أن سيف الدولة هو الوحيد القادر على إنقاذه من الأسر ، فيعود مخاطبا له ، وملمحا أن بقاء سيف الدولة مرتبط ببقائهم معه ، يقاتلون الأعداء ، ويحمون الديار: [٢]

أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُها   أَنْتَ بِلاَدٌ وَنَحْنُ أَجْبُلُهَا
أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابِلُهُ   أَنْتَ يَمِينٌ ، وَنَحْنُ أَنْمُلُهَا

فتكراره للضميرين (أنت) و (نحن) إشارة إلى التلازم الذي لا ينفك بينهم ، وأنه لا غنى لأحد عن أحد.

ويكرر أبو فراس حرف التوكيد " إنّ " لتأكيد الصفة لسيف الدولة في قوله : [٣]

وَإِنَ مَعَالِيهِ لَكُثْرٌ غَوَالِبُ   وإِنَ أَيَادِيهِ لَغُرٌ غَرَائِرُ

ويرى أبو فراس شجاعة سيف الدولة التي لا تقف ، وجهده في محاربة أعدائه مما أرهق الجند وأضر بالدواب ، فيعبر له عن ذلك تعبير المعجب بما يرى

---

(١) الديوان: ٩٧.
(٢) نفسه : ٢٦٤.
(٣) نفسه : ١٣٩.

من الشجاعة ، المشفق مما يرى من الإعياء ، ويقرر ذلك من خلال توكيد الأفعال بـــ (قد) التي تفيد التحقيق : [١]

قَدّ ضَجَ جَيْشُكَ مِنْ طُولِ القِتَالِ بِهِ وَقَدْ شَكَتْكَ إِلَيْنَا الخَيْلُ وَالإِبِــلُ
وَقَدْ دَرَى الرُّومُ مُذْ جَاوَزْتَ أَرْضَهُــمُ أَنْ لَيْسَ يَعْصِمُهُمْ سَهْلٌ وَلاَ جَبَــلُ

ومن التكرار عند أبي فراس تكراره الاسم " وقتا " في قوله : [٢]

نُبَاعِدُهُمْ وَقْتاً كَمَا يُبْعَدُ الْعِــدَا وَنُكْرِمُهُمْ وَقْتاً كَمَا يُكْرَمُ الْوَفْدُ

وأبو فراس يشير في تكراره لهذا الاسم إلى القسمة العادلة التي نهجوها في تعاملهم مع عدوهم فالإساءة تقابل بمثلها والإحسان يقابل بالحسنى فلا جور ولا ظلم ٠

ويلح أبو فراس على سيف الدولة في خطابه بذكر أشياء من بدهيات الصلة والمعروف لذوي القربى مستخدما كلمة (تلك) التي يكررها مع كل معروف يذكره ، ويتبع ذلك بالسؤال المكرر (كيف) الذي يفيد الإنكار ، يقول : [٣]

تِلْكَ الْمَوَدَاتُ كَيْفَ تُهْمِلُهَا تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ كَيْفَ تُغْفِلُهَا
تِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتَ لَنَا كَيْفَ وَقَدْ أُحِمَّتْ تُحَلِّلُــهَا

ثالثا : تكرار تركيب :

• تكرار عبارة أو جملة :

لجأ أبو فراس إلى تكرار بعض العبارات في شعره الذي صور سيف الدولة ؛ ليعبر من خلالها عن انفعال أو إحساس ما . وأكثر

---

(١) الديـوان : ٢٧٥.
(٢) نفســه : ٩٢.
(٣) نفســه : ٢٦٤.

التكرار جاء في خطابه لسيف الدولة معاتبا ، أو مستعطفا في أثناء أسره، فمن ذلك قوله في أول قصيدة بعث بها إلى سيف الدولة بعد أسره[1]

فَلا وَأَبِيْ مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدٍ وَلا وَأَبِيْ مَا سَيْدَانِ كَسَيِّدِ
وَلا وَأَبِيْ مَا يَفْتِقُ الدَّهْرُ جَانِبًا فَيَرْتُقُهُ إِلا بِأَمْرٍ مُسَدَّدِ

فأبو فراس يخاطب سيف الدولة خطاب الواثق المعتد بنفسه قبل أن يتجاهل سيف الدولة أمره ، فيؤكد قوته وأنه الساعد القوي لسيف الدولة ، وهو السيد المعين لأميره ، ثم يعلن ثقته بسداد رأي سيف الدولة في أمر فدائه ، كل ذلك من خلال تكرار القسم في عبارة " فلا وأبي " ثم يذكر إحسان سيف الدولة إليه ، وما بلغه معه من مجد: [2]

وَإِنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَدِي وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ الَّذِي بِكَ أَهْتَدِي

فقد كرر أداة التوكيد مع اسمها الذي يخاطب به سيف الدولة تأكيدا على أحقية سيف الدولة بكل فضيلة ، فهو القدوة والمثال الذي يراه أبو فراس أنموذجا فريدا ، لا يسبقه أحد إلى جميل ، ومن ذلك سرعة الفداء الذي ينتظره الأسرى.

ومن القصيدة نفسها قوله يخاطب سيف الدولة ، ويعترف له بكل فضل وسبق في تربيته والإحسان إليه [3]:

وَأَنْتَ الذِي عَرَّفْتَنِيْ طُرُقَ العُلا وَأَنْتَ الَّذِيْ أَهْدَيْتَنِيْ كُلَّ مَقْصِدِ
وَأَنْتَ الَّذِيْ بَلَّغْتَنِيْ كُلَّ رُتْبَةٍ مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ حُسَّدِي

---

(١) انظر ، الديوان : ٩٥ / ٩٦.
(٢) نفسه : ٩٨ .
(٣) نفسه : ٩٨.

وعندما يتأخر الفداء تتغير طريقة الخطاب ، فبعد أن كان يخاطب سيف الدولة بإفضاله عليه ، ويذكره بماضيه الجميل ، وأياديه البيضاء عنده ، لكن لا يجد تجاوبا ، نراه يسلك مسلكا آخر ، إذ يلجأ إلى الاستعطاف ، بذكر ما آل إليه حاله ، وما وصل إليه من ألم وتعب ، فيدعوه مكررا الدعوة لعل الإجابة تحصل ، فيقول : (١)

دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّدِ   لَدَيَّ وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمُشَرَّدِ
دَعَوْتُكَ وَالأَبْوَابُ تَرْتَجُّ بَيْنَنَا   فَكُنْ خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَأَكْرَمَ مُنْجِدِ

ويؤكد هذه الدعوة ، وذلك الاستعطاف بأهمية التعاضد والتكاتف ، وأن سيف الدولة ولو كان قويا شجاعا إلا أنه لا ستطيع أن يستغني عن شجاعة أبي فراس ، ورأيه السديد ، ويستخدم الشاعر القسم ويكرره لتأكيد مراده ، فيقول: (٢)

فَلا وَأَبِيْ مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدٍ   وَلا وَأَبِيْ مَا سَيِّدَانِ كَسَيِّدِ
وَلا وَأَبِيْ مَا يَفْتُقُ الدَّهْرُ جَانِبًا   فَيَرْتُقُهُ إِلا بِرَأْيٍ مُسَدَّدِ

ويخاطب بني حمدان كافة بعد أن تنكر له سيف الدولة لعله يجد منجدا ، فيكرر نداءهم ، وتكراره النداء هنا إلحاح على طلبه ، وتذكيرا لهم بأواصر القربى التي تجمعهم ، وأنه لا يستحق منهم هذا الخذلان ، يقول : (٣)

بَنِي عَمِّنَا مَا يَصْنَعُ السَّيْفُ فِي الْوَغَى   إِذَا فُلَّ مِنْهُ مَضْرِبٌ وَذُبَابُ
بَنِي عَمِّنَا لاَ تُنْكِرُوا الْوُدَّ إِنَّنَا   شِدَادٌ عَلَى غَيْرِ الْهَوَانِ صِلاَبُ
بَنِي عَمِّنَا نَحْنُ السَّوَاعِدُ وَالظُّبَا   وَيُوشِكُ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ ضِرَابُ

---

(١) الديوان : ٩٦.
(٢) نفسه : ٩٨.
(٣) نفسه : ٤٦ ، ٤٧.

ويبلغ اليأس من أبي فراس مبلغا عظيما ، فيتحسر على ما حل به وبأصحابه ، وينكر ما فعلته أسرته به ، ومنهم سيف الدولة ، فبعد أن خاطبه، ثم خاطب بني عمه ، لم يجد فكاكا ، عاد ليخاطب الناس جميعا ، وكعادته يلجأ إلى التكرار ؛ لتصل قضيته إليهم لعلهم يسارعون له بالفكاك ، فيقول : (١)

يَا مَنْ رَأَى لِي بِحِصْنٍ خَرشَنَةٍ ‏ أُسْدُ شَرًى فِي القُيُودِ أَرْجُلُهَا

يَا مَنْ رَأَى لِي الدُّرُوبَ شَامِخَةً ‏ دُونَ لِقَاءِ الحَبِيْبِ أَطْوَلُهَا

يَا مَنْ رَأَى لِي القُيُودَ مُوثَقَةً ‏ عَلَى حَبِيْبِ الْفُؤَادِ أَثْقَلُهَا

ثم يلتفت إلى أمه الحزينة يخاطبها خطاب الحزين ، يذكرها بالقدر وما يحمل في طياته ، وأن هذه الدنيا فرح وحزن ، وألم وأمل ، ويكرر نداءه لأمه متلذذا بذكرها ، فيقول : (٢)

يَا أُمَّتا هَذِهِ مَنَازِلُنَا ‏ نَتْرُكُهَا تَارَةً وَنَنْزِلُهَا

يَا أُمَّتَا هَذِهِ مَوَارِدُنَا ‏ نَعُلُّهَا تَارَةً وَنَنْهَلُهَا

ويكرر جملة " اقرا السلام " ليؤكد الرسالة التي يريد أن تصل إلى بني حمدان ، ويذكر في ثناياها صفاتهم التي عرفها عنهم من شجاعة وكرم ، فهم سيوف على الأعداء ، مأوى للضيفان ، فليس من صفاتهم التي عرفها عنهم نكران الجميل ، والتغاضي عن الإحسان : (٣)

إِقْرَا السَّلاَمَ مِنْ الأَسِيرِ الْعَانِي ‏ إِقْرَا السَّلاَمَ عَلَى بَنِي حَمْدَانِ

إِقْرَا السَّلاَمَ عَلَى الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ ‏ يَوْمَ الْوَغَى مَهْجُورَةُ الأَجْفَانِ

إِقْرَا السَّلاَمَ عَلَى الَّذِينَ بُيُوتُهُمْ ‏ مَأْوَى الْكِرَامِ ، وَمَنْزِلُ الضِّيفَانِ

(١) الديوان : ٢٦٣.

(٢) نفسه : ٢٦٣.

(٣) نفسه : ٣٤١ ، ٣٤٢.

ومن الجمل التي كررها أبو فراس ، فعل الأمر " سـائل " مـع فاعلـه ومفعوله متحدثا عن قوتهم في الحرب ، وكيف استطاعوا أن يحلوا الهـزائم المنكرة بأعدائهم : (١)

وَسَائِلْ نُمَيْرًا يَوْمَ سَـارَ إِلَيْهِمُ ... أَلَمْ يُوقِنُوا بِالْمَوْتِ لَمَّا تَنَمَّـرَا
وَسَائِلْ عُقَيْلاً حِينَ لاَذَتْ "بِتَدْمُـرٍ" ... أَلَـمْ نُقْرِهَا ضَرْبًا يَقُدُّ السَّنَـوَّرَا
وَسَائِلْ قُشَيْرًا حِينَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا ... أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْسًا مِنْ الْمَوتِ أَحْمَرَا

ومنه قوله : (٢)

فَيَطْرُدُ كَعْبًّا حَيْثُ لاَ مَاءَ يُرْتَجِى ... لِتَعْلَمَ كَعبُ أَيُّ قِرْمٍ تُصَابِرُ
وَيْطلُبُ كَعْبَا حَيْثُ لاَ الإِثْرَ يُقْتَفَى ... لِتَعْلَمَ كَعبُ أَيُّ عُودٍ تُكَاسِرُ

كرر كلمة " كعب " مفردة في الشطر الأول من كل بيت ؛ ليؤكد ما حل بهم من شقاء حينما خرجوا على سيف الدولة ، ثم يكرر جمل " لتعلم كعب أي " ليبين ضعفهم وقوة آخذهم .

- **تكرار صيغة :**

وتتكرر بعض الصيغ في شعر أبي فراس الذي صـور سـيف الدولة ، ومن تلك الصيغ صيغ (اسـم الفاعـل ، وأفعـل التفـضيل ، والشرط) ، فمن ذلك قوله : (٣)

وَأَنْتَ أَشَدُّ هَذَا النَّاسِ بَأسًا ... وَأَصبَرُهُمْ عَلَى نُوَبِ القِتَالِ
وَأَهجَمُهُمْ على جَيْشٍ كَثِيْفٍ ... وَأَغْوَرُهُمْ عَلَى حَيٍّ حَلالِ

---

(١) الديـوان : ١١٧.

(٢) نفسـه : ١٤٤.

(٣) نفسـه : ٢٧٠.

فأبو فراس في معرض ثنائه ، وإعجابه بسيف الدولة يصفه بأوصاف تدل على الشجاعة التي فاق بها الجميل ، فقد كرر صيغة التفـضيل (أفعــل) للدلالة على تفوق سيف الدولة فيها.

وفي معرض العتاب يكرر أبو فراس صيغة (النداء) مقترنة بـصيغة (اسم الفاعل) الذي يحمل صفة يراها ملازمة لسيف الدولة ، بينمـا يعـيش الأسرى حالة مخالفة لما عليه سيف الدولة ، وهو تكرار يحمل في طياتـه الإنكار والتوجع ، فيقول : [1]

يَا وَاسِعَ الْدَّارِ كَيْفَ تُوْسِعُهَـا   وَنَحْنُ فِي صَخْرَةٍ نُزَلْزِلُهَا

يَا نَاعِمَ الْثَّوْبِ كَيْفَ تُبْدِلُـهُ   ثِيَابُنَا الصُّوفُ مَا نُبَدِّلُهَـا

يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ لَوْ بَصُرْتَ بِنَا   نَحْمِـلُ أَقْيَادَنَـا وَنَنْقُلُهَا

لكن أبا فراس عندما يقسو في خطاب يعود فيلين في خطاب آخر ، فـالألم يستبد به في مواقف فيخاطب سيف الدولة بقوة ، ثم يشتاق و يرق ويـذكر الأيادي البيضاء فيعود لينا في خطابه : [2]

فَإِنْ يَكُ بُطءٌ مَـرَّةً فَلَطَالَمَـا   تَعَجَّلَ نَحوِي بِالْجَمِيلِ وَأَسْرَعَا

وَإِنْ يَجِفُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ فَإِنَّنِي   لأَشْكُرُهُ النُّعْمَى الّتِي كَانَ أَوْدَعَا

وَإِنْ يَسْتَجِدَّ النَّاسَ بَعْدِي فَلَمْ يَزَلْ   بِذَاكَ البَـدِيلِ الْمُسْتَجَـدِّ مُمَتَّعَا

فالشاعر يكرر صيغة (الشرط) المقترنة بـ (إن) التي تدل على الشك وعدم التيقن[3] ، ويشير إلى أن بطء سيف الدولة وجفاءه ، وما يعيشه مـن

---

(١) الديـوان : ٢٦٥.

(٢) نفسـه : ٢١٠.

(٣) انظر : البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني" ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط٧ ، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م ، عمان ، ص٣٥٢.

بحبوحة عيش بينما يكابدون الألم في الأسر ليس ذلك من عادات سيف الدولة فله الإفضال السابق ، والإحسان القديم ، ولذلك فإن أمله في تعجيل الفداء لم ينقطع .

هكذا برز التكرار في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، له أبعــاده الوظيفية من خلال ترداده ، فهو يمنح النص جمالا من خلال إبراز الأبعاد الدلالية لبعض الكلمات والجمل والصيغ المترددة ، وقد أسهم ذلك في تكوين البنية الإيقاعية المرتبطة بالبنية الدلالية العامة للقصيدة.

٣ ـ الصيغ الإنشائية :

لا يحسن بالشاعر الذي يريد أن يتفاعل المتلقي مع تجربته الشعرية أن يقصر خطابه الشعري على الأسلوب الخبري المباشر إذ إنه لو فعل ذلك لمال المتلقي عن شعره ولما تفاعل مع تجربته ؛ لذلك نرى الشعراء المجيدين ينوعون في أساليبهم بين الخبرية والإنشائية الطلبية مما يدعو القارئ والسامع إلى الانتباه والالتفات للشاعر ورسالته ، على أن هذا التنوع الأسلوبي لا يخرج بالشاعر المتمكن من أداته الشعرية عن خطه الأسلوبي العام الذي يميزه ويعرف به بين الشعراء .

وقد سلك أبو فراس في شعره الذي صور سيف الدولــة مــسلك الــشعراء المطبوعين في تنويع أساليبه الشعرية داخل إطاره الأسلوبي العام الذي يميزه، فكما رأينا في أسلوبه الذي يتكئ على الجمل الخبرية ، رأيناه أيــضا يــسلك مسلك الطلب في شعره ، متنقلا بحسب حاجة تجربته الشعرية بــين الأمــر والنهي والاستفهام والنداء والتمني ، محسنا في توظيفها في سياقها الــشعري بما يقتضيه المعنى.

- **الأمر :**

من الصيغ الطلبية التي ظهرت في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة، وقد استعمله في أغراض مختلفة ، فمن ذلك قوله يحض سيف الدولة إلى المبادرة إلى افتدائه من يد العدو : [1]

تَشَبْــثَ بِهَا أُكْرُومَةً قَبــْلَ فَوتِــهَا وَقُمْ فِي خَلَاصِي صَادِقَ الْعَزْمِ وَاقْعُدِ

فقد حشد الشاعر في هذا البيت عددا من أفعال الأمر (تشبث ، و قم ، و أقعد)، يستصرخ بها سيف الدولة لإنقاذه ليس لأنه خائف مــن المــوت ، ولا لأنــه ضعف في الأسر ، ولكنه يريد أن يعيش مدافعا عن سيف الدولة ، فهو يرى أنه حقيق بهذا الفداء ، فهو الشجاع ، وهو الحامي الأعراض بسيفه ولسانه ؛ لذلك يعود لحث سيف الدولة إلى استنقاذه من يد العدو : [2]

أَقِلْنِي ، أَقِلْنِي عَثْرَةَ الْدَّهرِ إِنَّهُ رَمَانِي بِسَهْمٍ صَائِبِ النَّصْلِ مُقصدِ

ويعدد أيادي سيف الدولة عليه ، ويذكر محاسنه ، وأنه هو القــدوة والمثــل الأعلى الذي وصل به أبو فراس إلى معالي الأمر ، وما دام الأمــر كــذلك فحري فسيف الدولة أن يجدد تلك النعم : [3]

فَيَا مُلْبِسِي النَّعْمَى الْتِي جُلَّ قَدْرُهَا لَقَدْ أَخْلَقتَ تِلكَ الثِّيَابِ فَجَدّدِ

لقد وظف أبو فراس هذه الأفعال (تشبث ، قم ، اقعد ، أقلني ، جدد) توظيفا يناسب الموقف الشعوري الذي يعيشه .

ولم يأذن له سيف الدولة أن يسير معه في بعض غزواته ، فترك لعينيه حرية ذرف الدموع ، عاد ليخاطب نفسه لعله يجد شفاء لأسئلته : [4]

دَعِ الْعَبَرَاتِ تَنْهَمِرُ انْهِمَــارَا وَنَارَ الْوَجْدِ تَسْتَعِــرُ اسْتِعَـــارَا

---

(١) الديــوان : ٩٧.

(٢) نفســـه : ٩٨.

(٣) نفســـه : ٩٨.

(٤) نفســـه : ١١٩.

دموع الفارس يقعد مع الخوالف ، ليس برغبته فقد حرمها ، فيسلي نفسه بالدموع.

ويظهر فعل الأمر في موقف مغاير للموقف السابق ؛ يظهر في موقف النصر والعزة ، فبعد أن أدبوا القبائل الثائرة بقيادة سيف الدولة ، أتى ليقول للناس ها نحن أولاء أهل البأس والشكيمة والقوة ، من لم يعرفنا فليسأل عن أخبارنا ديار الأعداء الأشداء : (١)

فَسَائِلْ كَلاباً يَوْمَ "غَزْوَةِ بَالِـــــسٍ" أَلَمْ يَتْرُكُوا النِّسَوَانَ فِي الْقَاعِ حُسَّرَا

وَسَائِلْ نُمَيْرًا يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِـــــــمُ أَلَـــــمْ يُوقِنُوا بِالْمَــوْتِ لَمَّا تَتَمَــــرَا

وَسَائِلْ قُشَيْرًا حِينَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْسًا مِنْ الْمَوتِ أَحْمَــرَا

ففعل الأمر (سائل) يوحي بما أصاب الأعداء من بلاء ، وقد كرره مع كل قبيلة ليدل على هزيمتهم مباشرة ، وهي مواقف عرفها أبو فراس من سيف الدولة ، فنظمها فخرا وزهوا.

وأبو فراس لا يستخدم الأمر كثيرا في شعره الذي يخاطب به سيف الدولة ، وعندما يخاطبه عن طريق الأمر لا يعدو أن يكون حثا واستنهاضا ، كما مر من أمثلة ، ومثل ذلك قوله : (٢)

يا سَيْفَ دِيْنِ اللهِ غَيْرَ مُدَافَعٍ اغْضَبْ لِدِينِ اللهِ رَبِّكَ واعْزِمِ

فقد استعمل فعلي الأمر (اغضب و اعزم) ؛ ليستنهض سيف الدولة إلى مواصلة قتاله للأعداء قبل أن تفتر همم الجنود . وقد وظف الأمر توظيفا حسنا في مواضعه .

---

(١) الديــوان : ١١٧.

(٢) نفســـــه : ٣١٦.

• **النهي :**

وإذا كان الأمر هو طلب الفعل ، فإن النهي هو طلب الكف عن الفعل ، وقد ورد النهي في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة في صور متعددة ، فمن أمثلة ذلك قوله : (١)

فَلا تَنْسِبَـــنَّ إِلَـــيَّ الخُمُــــوْ ... لَ ، أَقَمْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ أَغْتَرِبْ

فقد استعمل الشاعر النهي مقترنا بالتوكيد للدلالة على عظم الألم الذي تملكه مما نسب إليه من الخمول ، وهو المعتد بنفسه العارف بقدراتها.

ومثل قوله : (٢)

فَلاَ تَتْرُكِ الأَعْدَاءَ حَوْلِي لَيَفْرَحُوا ... وَلاَ تَقْطَعِ التَّسْآلَ عَنِّي وَتَقْعُــدِ

وَلاَ تَقْعُدنْ عَنِّي وَقَدْ سِيْمَ فِدْيَتِـــي ... فَلَسْتَ عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ بِمُقْعَدِ

فالصيغ الطلبية المعتمدة على النهي (لا تترك ، لا تقطع ، لا تقعدن) أراد منها أبو فراس حث سيف الدولة إلى المسارعة للفداء ، فليس من عادات سيف الدولة خذلان أصحابه والتخلي عنهم.

ويدعو أبو فراس ربه أن يجمعه بسيف الدولة قريبا ، فذلك غاية مراده ومنتهى أمله : (٣)

فَلا يَحْرُمَنِّـــي اللهُ رؤيَــاكَ إِنَّهــا ... نِهَايَـــةُ آمالي وَغَايَـــةُ مَقْصِـــدِي

وَلا يَحْرُمَنِّـــي اللهُ قُرْبَـــكَ إِنَّـــهُ ... مُرَادِي مِنَ الدُّنْيَا وَحَظِّيْ وَسُؤْدَدِي

ويمنعه سيف الدولة من الخروج معه لقتال الأعداء فيشق عليه ، فيرسل إلى أميره يستعطفه ، فمن ذلك قوله : (٤)

نَشَدْتُكَ اللهُ لا تَسْمَحْ بِنَفْسِ عُلا ... حَيَاةُ صَاحِبِهَا تَحْيَا بِهَا الأُمَمُ

---

(١) الديــوان : ٢٥.

(٢) نفســـه : ٩٧.

(٣) نفســـه : ٢٩٩ ، ٣٠٠.

(٤) نفســـه : ٩٩.

لا تَبْخَلَنَّ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قُتِلُوا   أَثْنَى عَلَيْكَ بَنُو الْهَيْجَاءِ دُونَهُمُ
لا تَشْغَلَنِّيْ بِأَمْرِ الشَّامِ أَحْرُسُهُ   إِنَّ الشَّآمَ عَلَى مَنْ حَلَّهُ حَرَمُ

فالشاعر يوحي لأميره بأنه أكثر جنوده قدرة على الدفاع عنه ، فتأخر أبي فراس عن القتال قد يصيب الأمير بمكروه ، والشاعر مستعد بالتضحية بنفسه فداء لسيف الدولة . لقد أحسن أبو فراس توظيف صيغ النهي (لا تسمح ، لا تبخلن ، لا تشغلني) ففيها استعطاف لسيف الدولة ، وتأكيد من الشاعر على حرصه على مصاحبة الأمير والدفاع عنه.

- **النداء :**

وقد استعمله الشاعر بأدواته المختلفة إثباتا وحذفا ، فمن ذلك قوله : (١)

أَسَيْفَ الْعِدَى وَقَرِيعَ الْعَرَبْ   عَلاَمَ الْجَفَاءُ وَفِيمَ الْغَضَبْ؟

فالشاعر ينادي سيف الدولة بأداة النداء الهمزة التي تدل على القرب ، ومعلوم أنه يناديه من بلاد الروم ، لكنه استعمل هذه الأداة ليؤكد لسيف الدولة قربه منه قلبا وروحا وإن بعد جسده.

ويستعمل الشاعر الهمزة لكنه استعملها من مكان قريب : (٢)

أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ الْحَكَمُ المُرَجَّى   أَفِي مَدْحِيْ لِقَوْمِيْ مِنْ جَنَاحِ

فسيف الدولة حكم يرجى العدل منه ، وهو قريب من النفس قريب في النسب ، وهذا القرب المعنوي والحسي هو الذي دعا الشاعر إلى استعمال أداة النداء الدالة على القرب.

---

(١) نفسه : ٢٤.

(٢) نفسه : ٨٣.

ومن أدوات النداء التي استعملها أبو فراس ، الياء ، كقوله : [١]

يا أَيُّهَا الْمَــلِكُ الَّــــذِي أَضْحَى لِذَيْلِ الْمَجْدِ سَاحِــبْ

فالنداء هنا يوحي بالتعظيم والتبجيل لسيف الدولة ، حيث قرنه بـــ(أيها) ، ثم أتبع ذلك بصفة الملك.

ومن النداء بـــ (ياء) قوله : [٢]

يَا ضَارِبَ الْجَيْشِ بِي فِي وَسْطِ مَفْرِقِهِ لَقَدْ ضَرَبْتَ بِنَفْسِ الصَّارِمِ الغَضِبِ

نداء لسيف الدولة يحمل معنى الإعجاب بالأمير ، فقد وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

وينادي بالياء كل منصف يستطيع أن يقول كلمة الحق ، فيقول : [٣]

يا مَنْ رَأَىْ بِحِصْنِ خَرْشَنَةٍ أُسْدَ شَرًى فِي الْقُيُودِ أَرْجُلُهَا
يا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ هَلْ لَكُمَا فِي حَمْلِ نَجْوَى يَخِفُّ مَحْمَلُهَا

وهو نداء مبطن لسيف الدولة على لسان أم الأسير ، يرغب إليه فيه أن يسارع بفكاكهم من الأسر ، فهم لا يستحقون كل هذا الجفاء ، ثم يخاطب سيف الدولة مباشرة ، فيقول : [٤]

يَا وَاسِعَ الْدَّارِ كَيْفَ تُوْسِعُهَــا وَنَحْنُ فِي صَخْــرَةٍ نُزَلْزِلُــهَا
يَا نَاعِمَ الْثَّوْبِ كَيْــفَ تُبْدِلُــهُ ثِيَابُنَــا الصُّــوفُ مَا نُبَدِّلُهَــا
يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ لَوْ بَصُرْتَ بِنَا نَحْمِــلُ أَقْيَــادَنَــا وَنَنْقُلُــهَا

نداء لسيف الدولة ، يناديه بصفات الترف التي يعيشها ، بينما الــشاعر يعيش ضدها ، والشاعر في نداءاته المتتابعة يستعمل (ياء) ، وهــو نــداء

---

(١) الديــوان : ٢٩.
(٢) نفســـه : ٦١.
(٣) نفســـه : ٢٦٣.
(٤) نفســـه : ٢٦٥.

يحمل معنى البعد المكاني والنفسي ، فالمكان بعده ظاهر ، أما البعد النفسي فهو ما أشار إليه الشاعر من فرق في مستوى الحياة التي يحياها كل منهما.

ومن نداء أبي فراس لسيف الدولة باستعمال (يا) قوله : (١)

يَا سَيْفَ " سَيْفَ الْدَّوْلَةَ " الْمَاضِي إِذَا نبَتْ السّيُوفِ وَخَانَ كُلَّ مُصَمَمِ

يَا سَيْفَ دِينِ اللهِ غَيْرَ مُدَافِعٍ اغْضَبْ لِدّينِ اللهِ رَبُّكَ وَاعزِمِ

استخدم الشاعر أداة النداء في مناداة سيف الدولة بصفته الحربية ، وهو نداء يشير إلى علو مكان سيف الدولة ماديا ومعنويا ، فهو الشجاع الذي لا يهزم ، وهو حامي الدين غير المدافع .

وقد يستخدم أبو فراس أداة النداء الدالة على البعد (أيا) في ندائه لسيف الدولة ، كما في قوله : (٢)

أَيَا عَاتِبًا لاَ أَحملُ الدَّهْرَ عَتْبَهُ عَلَيَّ وَلاَ عِنْدِيْ لأَنْعُمِهِ جَحْدُ

فالشاعر يقر بمنزلة أميره المادية والنفسية ، فاستخدم أداة النداء الدالة على البعد ، وهو بعد تبجيل واحترام .

وقد يحذف الشاعر أداة النداء ، فينادي سيف الدولة مباشرة إشارة إلى القرب ، سواء الحسي أو النفسي ، كقوله : (٣)

أَيُّهَا الفَاضِلُ الأَنَامَ بِعِلْمٍ وَكَمَالٍ وَفِطْنَةٍ وَثَبَاتِ

فأبو فراس يتلذذ بالقرب من هذا الأمير الذي يجمع تلك الصفات الرفيعة ، فيناديه بدون أداة نداء .

ومن ذلك قوله : (٤)

سَيْفَ الْهُدَى مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ يُرْتَجَى يَوْمٌ يُذِلُّ الْكُفْرَ للإيمَانِ

---

(١) الديوان : ٣١٥ ، ٣١٦.

(٢) نفسه : ٩٣.

(٣) نفسه : ٦٤.

(٤) نفسه : ٣٤٢.

فأبو فراس في معرض تحذيره لسيف الدولة من مهاجمة الروم لهم يحذف أداة النداء ؛ لرغبته في أن يأخذ سيف الدولة استعداده لملاقاة العدو ، فكأن أبا فراس يشعر بضيق الوقت ، وحرج الموقف ، فيعمد إلى النداء مباشرة بحذف أداة النداء.

- **الاستفهام :**

وهو من صيغ الإنشاء الطلبي في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، فمن استخدامه لأداة الاستفهام الهمزة ، قوله : [(١)]

أَشِـــدَّةٌ مَا أَرَاهُ مِنْــكَ أَمْ كَــرَمٌ   تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالأَرْوَاحُ تَصْطَلِمُ

فالاستفهام هنا يدل على تعجب أبي فراس من شجاعة سيف الدولة ، وكيف يلقي بنفسه في مهالك المعارك ، فهو يرى شجاعة فائقة ، وجودا بالنفس لا ينقطع.

وعندما يتأخر سيف الدولة عن فدائه ، ويحاول أبو فراس البحث عن فداء يأتيه تقريع سيده ، فيقول منكرا فعل الأمير : [(٢)]

أَتُنْكِرُ أَنْي شَكَوتُ الزَّمَانَ   وَأَنِّي عَتِبْتُكَ فِيْ مَنْ عَتَبُ

فأبو فراس في معرض عتابه لسيف الدولة يتعجب من فعل أميره ، وتقريعه للأسرى عندما أرادوا مفاداة أنفسهم ، ومكاتبة أهل خراسان في ذلك ، ومنهم أبو فراس . ومن ذلك قوله : [(٣)]

أَلَسْتُ وَإِيَّاك مِنْ أُسْـــــرَةٍ   وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ قُـــرْبُ النَّسَبْ

فقد استخدم الشاعر أداة الاستفهام (الهمزة) ، لإقرار سيف الدولة بمكانة أبي فراس ، وأن خموله الذي اتهمه به سيف الدولة خمول للأمير كذلك.

---

(١) الديـــوان : ٢٩٩.

(٢) نفســـــه : ٢٥.

(٣) نفســـــه : ٢٥.

ويقر أبو فراس بإحسان سيف الدولة وفضله عليه ، وينفي أن يكون جاحدا لأيادي سيف الدولة ، فيقول : (١)

أَأَجْحَــدُهُ إِحْسَــــانَـــهُ بِيَ إِنَّـــــنِي لَكَافِرُ نُعْمَى إِنْ فَعَلْتُ مُوَارِبُ

فليس أبو فراس جاحدا لشيء من فضائل سيف الدولة عليه.

وفي مقابل اعترافه بفضل سيف الدولة عليه ، ونفيه ما قد يظن به من جحود، يرجو أن يجد من أميره كل عون ومساعدة ، وينكر أن يكون سيف الدولة قد تعمد إضاعته ، أو خفض شأنه ، فسيف الدولة لم يزل حافظا له ، معليا شأنه، لا يرضى له بغير الرفعة والسمو ، فيقول : (٢)

أَيُضيعُنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ لِيَ حَافِظاً كَرَماً وَيَخْفِضُنِي الَّذِي أَعْلاَنِـــي

وعندما يمرض سيف الدولة يتألم أبو فراس لمرضه ، ويتحسر على أنه لا يستطيع أن يقدم نفسه للمرض بدلا عن سيف الدولة ، فيقول : (٣)

هَلْ تَقْبَلُ النَّفسَ عَنْ نَفْسٍ فَأَفْدِيَهُ الله يَعْلَمُ مَا تَغْلُو عَلَيَّ بِهَـــــا

وينكر أبو فراس على سيف الدولة معاملته القاسية لأمه عندما جاءت تطلب فكاك ابنها ، فلم يستجب لها سيف الدولة ، فعادت كسيفة محزونة : (٤)

بِأَيِّ عُذرٍ رَدَدتَ وَالِهَةً عَلَيْكَ دُونَ الوَرَى مَعْوَّلُهَا.

---

(١) الديــوان : ٤٢.

(٢) نفســـــه : ٣٤١.

(٣) نفســـــه : ٥٦.

(٤) نفســـــه : ٢٦٤.

- **التمني :**

من صيغ الإنشاء الطلبي الذي ظهر في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، ومن أظهر ما ورد من التمني قوله : [١]

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيـــــرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَـــابُ

ولَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِــرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَـــــرَابُ

فَيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وِدَادِكَ صَافِيًا وَشُرْبِيَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ سَرَابُ

فإذا كان التمني هو " طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى ، لاستحالة الحصول عليه ، أو بعد مناله ... (ففي هذه الأبيات) شيء آخر ، لأن تمني (أبي فراس) أن تحلو أخلاق سيف الدولة ، ويرضى قلبه ، وتمتد المودة بينهما أمور قد تتحقق ، وهي ليست بالمستحيلة ، ولكن الجفاء المستحكم ، والهجر المرير ، والانقطاع المستمر الذي يخيم على قلب سيف الدولة ، ويتبدى في سلوكه نحو الشاعر الأسير جعل أبا فراس يتخيل أن تلك مطالب ، إن كانت ممكنة التحقق في حياة بني الإنسان ، إلا أنها غير ممكنة في حياة سيف الدولة ، ولا سيما في تلك الساعة"[٢].

---

(١) نفســــه : ٤٨.

(٢) البلاغة في ثوبها الجديد ، علم المعاني ، د. بكري شيخ أمــين ، دار العلــم للملايــين ، ط٣ ١٩٩٠ ،بيروت ــ لبنان ، ج١ ص ٨١ ، ٨٢.

٤ ـ اللغة البديعية :

يحتاج الشعر إلى زينة يظهر فيها ، ويتحلى بها بعد اكتمال أساسه في المعاني والبيان ، وقد عرف الشاعر العربي هذه الأصباغ منذ جاهليته ، فأخذ منها بقدر؛ ليخرج عمله الفني في الصورة المثلى بهاءً وجمالاً ، وظل الشاعر العربي يأخذ من البديع على نحو متوازن ، إذ هو[١] "علم بقواعد وأصول يستطيع المتأدب متى أجاده ، ولم ينهج فيه نهج التصنع المغرق ، والتكلف المرهق، أن يجاري القدماء في أساليب التنميق ، وطرائق التزيين التي تزيد الكلام حسناً ، وتكسوه رونقاً ، بعد أن تتوافر له شروط علمي المعاني والبيان ،مطابقة لمقتضى الحال ، مع وضوح دلالته على المراد معنى ولفظا"[٢] ولا شك أن هذا هو طريق الشعر الذي سلكه أهل الفن الشعري المبدع منذ العصر الجاهلي مروراً بالشعراء المجيدين في العصور التالية ، فقد سلكوا في الأخذ من البديع مسلكاً وسطاً جعله " يسبغ على الكلام مسحة الطلاوة والحسن ، متى جاء عفو الخاطر ، وجرى مجرى البديهة والابتكار"[٣] ، إذ إن البديع ليس مقصوداً لذاته وإلا تحول إلى كلفة ظاهرة ، أو ظل مجرد ضرب من الزركشة والزخرف ، فاقد الدلالة ؛ إن لم يسهم في تعميق الصورة وتزيينها ، دون أن يتحول إلى حاجز قد يحول دون وصولها إلى المتلقي"[٤] . لكن الشعراء بعد القرن الثالث الهجري جعلوا البديع غاية يتسابقون إليها ، ويبالغون فيه فـ" قد شذ فيه أهل التصنع والزخرف ، في

---

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب ، د.ميشال عاصي و د. إميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين ، ط١ ١٩٨٧م ، بيروت ، (حرف العين) ، (علم البديع) ، ج٢ص ٨٨٠ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) دورة " أبو فراس الحمداني " مجموعة أبحاث الندوة التي أقيمت في الجزائر عام ٢٠٠٠م ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري ٢٠٠٠م ، الكويت ، بحث بعنوان : القصيدة في عصر أبي فراس الحمداني ، د٠عبدالله التطاوي ، ص٤٤٠

العصور العباسية المتأخرة ، وعصور الانحطاط إلى ما يمجه الذوق السليم ، ويجافي الوعي الفني الخلاق".[١]

وأبو فراس قد أدرك تلك العصور ونظر في شعر مثقل بتلك الأعباء إلا أنه بقي في منأى عن تلك الصنعة وذلك التكلف ، فقد جعل من البديع زينة تزيد شعره جمالاً وحسناً إذ " كان شعر أبي فراس طبيعياً لا يقصد فيه إلى الزينة قصداً يضحي من أجلها بوضوح الفكرة ، أو جلاء المعنى ، ومن أجل هذا لا تحس بتكلف فيما يأتي به من صناعة لفظية تعرض له ولا تكاد تتبين هذه الصناعة إلا إذا وقفت تتلمسها تلمساً "[٢] . والحقيقة أن حياة أبي فراس المملوءة بالكر والفر وما تبع ذلك من أسر وسجن لم تكن لتسمح له أن يصبغ شعره بتلك الأصباغ فكان يقصد إلى معناه ، ويهجم على فكرته فيجليها ويوضحها ممزوجة بجمال البديع الذي يشع في ثناياها من غير تكلف، فكانت حياة أبي فراس سداً منيعاً جعلته " يعجل عن التفكير في طرائف البديع وملحه ، إلى تصوير ما في نفسه من المعاني التي تجيش بها النفس وتضطرم بها الجوانح ، فلا تكلف ولا تصنع ، وإنما هي الفطرة الزاخرة ، والشعور الحي يتدفق تدفق السيل المنحدر لا تكبله أغلال البديع التي تكبل من لا يحس في نفسه قوة العاطفة وفيض الشعور ، و إذا جاء شيء من البديع في شعره فإنما يجيء عفواً كما كان يأتي لدى الأقدمين المطبوعين"[٣] ، وزاد على حياته الحربية ما عاناه من ألم الأسر ، وفراق الأحبة فـ"أبو فراس يكتوي بنار الغربة ، ويذوق آلام الأسر في بلاد الروم ، فيرسل الشعر غناء حزيناً يذوب رقة حينا ، ويقذف بالحمم ، ويفيض بالغضب حيناً آخر ، فهل يا ترى ذلك المقام يتلمس فيه الشاعر البديع ، ويجري وراءه كما يفعل الشعراء الخليون الوادعون ، الذين لا يشغلهم جد

---

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب ، (حرف العين) ، (علم البديع) ، ج٢ص ٨٨٠ .

(٢) شاعر بني حمدان : ٨٨.

(٣) الشعر في ظل سيف الدولة : ٢٧٣.

الحياة والشعور بهمومها عن ترف البديع وألاعيب الصناعة اللفظية ؟ ولئن ورد البديع في مثل هذه المواقف ، إنما يرد زاخراً بالحيوية ، متضمناً مع سائر مقومات الأسلوب في تصوير الشعور"[١] .

وبعد : فسأعرض لشيء من المحسنات البديعية مما ورد في شعر أبي فراس مما صور به سيف الدولة الحمداني :

- **الطباق :**

وهو الجمع بين المتضادين ، أي متقابلين في الجملة [٢] " ويسمى بالمطابقة ، وبالتضاد ، وبالتطبيق ، وبالتكافؤ ، وبالتطابق وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين ، يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد ، في وقت واحد ، بحيث يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل ؛ تقابل تضاد أو الإيجاب والسلب ، أو التضايف "[٣] .

والطباق قد يكون بين اسمين كقول أبي فراس[٤]:

وَلِي أَدْمُعٌ طَوْعِى إِذَا مَا أَمَرْتُهَا وَهُنَّ عَوَاصٍ فِي هَوَاهُ غَوَالِبُ

طابق بين كلمتي (طوعى) و (عواص) ، فدموع أبي فراس عصية لا تذرف لأي سبب ، ولا يستجلبها أي أحد ، لكنها عند ذكرى سيف الدولة لا تنتظر أبا فراس ليأذن لها ، فسيف الدولة هو المتحكم فيها بذكراه التي يحن إليها أبو فراس.

---

(١) نفسه : ٢٧٥.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م ، القاهرة ، ص ٢٨٨.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ــ بيروت ، ط١٢ ص٣٦٦.

(٤) الديوان : ٤٢.

وأبو فراس يرضى بالقليل من سيف الدولة ، بعد أن تمنع الكثير الذي كان يؤمله ، فسيف الدولة الذي لم يعتد أبو فراس منه إلا المبادرة والعطاء الجم لم يعد ذلك المؤمل بعد أن بدا منه الجفاء ، فأصبح القليل مطلبا بعد احتجاب الكثير ، يقول أبو فراس[١] :

وَمَا زِلْتُ أَرْضَى بِالَّقَلِيلِ مَحَبّةً   لَدَيْهِ وَمَا دُونَ الْكَثِيرِ حِجَابُ

طابق بين كلمتي (القليل) و (الكثير) ؛ ليظهر الفرق بين ما كان يقدمه سيف الدولة ، وما صار إليه الأمر بعد الأسر.

وكقوله[٢] :

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِــرٌ   وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَـــرَابُ

طابق بين كلمتي (عامر) و (خراب) ، فأبو فراس الذي يشتاق لسيف الدولة ولا يرضى عيشا غير العيش في كنفه يتمنى أن يعود ذلك الصفاء والود بعد أن حال دونه الجفاء والصد ، فالقرب من سيف الدولة هو أمل أبي فراس لو كان ثمن ذلك جفاء العالمين وصدهم.

وكقوله[٣] :

لَمْ يَنْتَقِصْنِي بُعْدِي عَنْكَ مِنْ حُزُنٍ   هِيَ الْمُوَاسَــاةُ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدِ

طابق بين كلمتي (قرب) و (بعد) .

وكقوله أيضاً[٤] :

إِنِّي أَجلُّكَ أَنْ تُكْفَي بِتَعْزِيَــةٍ   عَــنْ خَيْرِ مُفْتَقَدٍ يَا خَـيْرَ مُفْتَقِدِ

فقد طابق بين (مفتَقَد) و (مفتَقِد) .

---

(١) الديــوان : ٤٧.

(٢) نفســه : ٤٨.

(٣) نفســه : ١١١.

(٤) نفســه : ١١١.

ومن الطباق ما يكون بين فعلين كقول أبي فراس: [١]

شَرَيْنَا وَبِعْنَا بِالسُّيُوفِ نُفُوسَهُمْ وَنَحْنُ أُنَاسٌ بِالسُّيُوفِ نُتَاجِــــرُ

فنفوس الأعداء عرض للتجارة يتداولها جيش سيف الدولة بسيوفهم بيعـا وشراء.

فقد طابق أبو فراس بين كلمتي (شرينا) و (بعنا) وهما فعلان ماضيان٠

وأبو فراس لا يستطيع أن يرى شيئا يفسد الود بينه وبين سيف الدولـة ، فعظيم حبه لأميره جعل حياته ألما وعناء خوفا من انقطاع الود وتغير الحال ، يقوله أبو فراس[٢]:

أَبِيتُ مُعَنًّى مِنْ مَخَافَةِ عَتْبِــــهِ وَأَصْبَحُ مَحْزُوناً وَأُمْسِى مُرَوَعَا

طابق بين الفعلين الماضيين (أصبح) و (أمسي) ٠

ويتألم أبو فراس من قطيعة أصحابه له مع وفائه لهم ، وحفظه لمودتهم ، فيقول : [٣]

أَفِي كُلِّ دَارٍ لِي صَدِيــــقٌ أَوَدُّهُ إِذَا مَا تَفَرَّقْنَا حَفِظْــــتُ وَضَيَّعَــا

طابق بين الفعلين (حفظت) و (ضيعا) ٠

ومن الطباق الذي برز في شعر أبي فراس ، ما يكون بـين الاسـم والفعل كقوله : [٤]

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيــرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَــابُ

فقد طابق بين الفعل (تحلو) والاسم (مريرة) ، وطابق أيـضاً بـين الفعل (ترضى) والاسم (غضاب) ٠

---

(١) الديـوان: ١٤٤.

(٢) نفسـه: ٢٠٨.

(٣) نفسـه : ٢٠٩.

(٤) نفسـه : ٤٨.

ومن الطباق الذي استعمله أبو فراس في شعره طباق السلب " وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي ، أو أمر ونهي"[١] ، كقوله: [٢]

لئن خانك المقدور فيما نويتــه فما خانك الركض المواصل والجهد

طابق بين الفعلين (خانك) المثبت و (ماخانك) المنفي.

ومن طباق السلب قوله مطابقاً بين (ينال) و (لا ينال) : [٣]

رَأَى الصَّهْرَ والرُّسْلَ الَّذِي هُوَ عَاقِدٌ يُنَــالُ بِهِ مَا لا تَنَــالُ العَسَاكِــرُ

ومن طباق السلب قول أبي فراس مطابقاً بين الفعل الموجب (سأرضــيك) والفعل المنفي (لست أرضيك) : [٤]

وَلاَ تَقْبَلَــنَّ الْقَوْلَ مِنْ كُــلِّ قَائِــلٍ سَأُرْضِيكَ مَرْأًى لَسْتُ أُرْضِيكَ مَسْمَعَا

" ويبدو الطباق في شعر أبي فراس بسيطاً واضحاً ، ولم يقع فيمــا وقع فيه الشعراء الذين كانت الصنعة غاية من غايــات شــعرهم. ولعلنــا نستطيع القول : إن هذا الطباق البسيط يرتبط بأبي فراس في ثقافته العربيــة الخالصة البعيدة عن التعقيد أو التناقض أو ما إلى ذلك"[٥].

- **المقابلة :**

ومن المحسنات البديعية التي ظهرت في شعر أبي فراس الــذي صــور سيف الدولة ؛ (المقابلة) : و هي ، أن يؤتى بمعنيــين متــوافقين أو معــان متوافقة ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب [٦].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٩٠.

(٢) الديوان : ٩٢.

(٣) نفســه : ١٤١.

(٤) نفســه : ٢١٠.

(٥) أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره : ٣٧٤ .

(٦) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٩٢ .

فمن ذلك قول أبي فراس: [١]

وَتَغْضَبُ حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتَ ... أَطَعْتَ الرِّضَى وَعَصَيْتَ الْغَضَبْ

فقد قابل بين الجملتين (أطعت الرضا ، وعصيت الغضب) وكما هو ملاحظ فقد تكونت كل جملة من كلمتين ، الكلمة الأولى في الجملة الأولى تقابل الكلمة الأولى في الجملة الثانية ، والكلمة الثانية تقابل الثانية .

ومن المقابلة التي ظهرت في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة قوله: [٢]

فَمِثْلُكَ مَنْ يُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ... وَمِثْلِيَ مَنْ يُفْدَى بِكُلِّ مُسَوَّدِ

فسيف الدولة ملك كريم يدعى لعظائم الأمور ، وأبو فراس فارس كبير يستحق أن يفدى بكل سود ، ففداء أبي فراس من العظائم التي يدعى لها سيف الدولة .

ومن أمثلة المقابلة في شعر أبي فراس مقابلته بين نفيه تطاول سيف الدولة عند السرور والنصر وبين نفيه تقاصر سيف الدولة عند الإساءة إليه ، يقول: [٣]

فَلاَ هُوَ فِيمَا سَرَّهُ مُتَطَاوِلٌ ... وَلاَ هُوَ فِيمَا سَاءَهُ مُتَقَاصِرُ

- **مراعاة النظير :**

ومن المحسنات البديعية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة (مراعاة النظير) ، وهو الجمع بين أمر وما يناسبه لا على جهة التضاد [٤]

---

(١) الديوان : ٢٨.

(٢) نفسه : ٩٧.

(٣) نفسه : ١٤٠.

(٤) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٩٤ .

ومن أمثلة ذلك في شعر أبي فراس: [١]

مَنْ كَانَ أَنْفَقَ فِي نَصرِ الْهُدَي نَشَباً   فَأَنْتَ أَنْفَقْتَ فِيهِ النَّفْسَ وَالَّشبَا

فقد جمع بين (النفس) و (النشب) ٠

ومن مواضع مراعاة النظير قوله جامعاً بين (السماء) و (أنجم) ، وبين(البلاد) و (وأجبلها) ، وبين (يمين) و (أنملها) : [٢]

أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُهـا   أَنْتَ بِلاَدٌ وَنَحْنُ أَجْبُلُهَـا

أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابِلُـهُ   أَنْتَ يَمِينٌ ، وَنَحْنُ أَنْمُلُهَـا

ومن مراعاة النظير قوله جامعاً بين (السمر) و (القضب) : [٣]

وأنت بي من أضن الناس كلهم   فكيف تبذلني للسمر والقضب

وقوله جامعاً بين (الخيل) و (الإبل) : [٤]

قَدّ ضَجَ جَيْشُكَ مِنْ طُولِ القِتَالِ بِهِ   وَقَدْ شَكَتْكَ إِلَيْنَا الخَيْلُ وَالإِبِلُ

وقوله جامعاً بين (الكرم) و (تسنفد النعم) فإنه لما ذكر الكرم ناسب أن يتبعها باستنفاد النعم : [٥]

لِمِثْلِهَا يَستَعِدُّ البَأسُ وَالْكَـرَمُ   وَفِي نَظَائِرِهَا تُستَنْفَدُ النِّعَـمُ

وقوله جامعاً بين (نكل) و (سأم): [٦]

تَقَاعَسَ النَّاسُ عَنْهَا فَانْتَدَبْتَ لَهَا   كَالسَّيْفِ لاَ نَكَلٌ فِيهِ وَلاَ سَـأَمُ

---

(١) الديـوان : ٣٠.

(٢) نفسـه: ٢٦٤.

(٣) نفسـه : ٦٢.

(٤) نفسـه : ٢٥٧.

(٥) نفسـه : ٢٩١.

(٦) نفسـه : ٢٩١.

- **التقسيم :**

ومن المحسنات البديعية التي يستطيع القــارئ أن يلمــسها بيــسر وسهولة في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة (التقسيم) ، وهو ذكــر متعدد ، ثم إضافة ما لكل من أفراده إليه على جهة التعيين[1] ، وقد يطلــق التقسيم على أمرين آخرين :

أولهما : أن تستوفي أقسام الشيء ....

وثانيهما : أن تذكر أحوال الشيء ، مضافاً إلى كل منها ما يليق به..."[2]

ومن أمثلة ذلك قول أبي فراس : [3]

عَسَاهُ وَقَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِفَضْلِـــهِ　　يَجُودُ بِتَخْلِيصِي لَكُمْ وَيُنِيـــــلُ
فإِمَّا حَيَاةٌ فِي فِنَاهُ عَزِيــــــــزَةٌ　　وَإِمَّا مَمَــاتٌ فِي ذُرَاهُ جَمِيــــلُ

فقد قسم الشاعر ما يناله من تخليصه من الأسر إلــى أمــرين ، أي منهما تحقق فلا يضره بعده شيء وإن كان الأول أولى لتقدمه ، فخلاص من الأسر يهبه حياة عزيزة في فناء سيف الدولة أو موتاً جميلاً وهو يدافع عن سيف الدولة ، ومن عرف أبا فراس علم أنهما قسمان لا ثالث لهمــا، فمــا أحسنه من تقسيم !

ومن التقسيم الذي يظهر في شعر أبي فراس قوله: [4]

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَزُورُ الثَّغْرَ لاَ ضَجَرٌ　　يَثْنِيكَ عَنْهُ وَلاَ شُغْلٌ وَلاَ مَلَــلُ
فَالنَّفْسُ جَاهِدَةٌ وَالْعَيْنُ سَاهِـــدَةٌ　　وَالْجَيْشُ مُنْهَمِكٌ ، وَالْمَالُ مُبْتَذَلُ

---

(١) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٠٣ .

(٢) انظر : جواهر البلاغة : ٣٧٨ ٠

(٣) الديــوان : ٢٥٥.

(٤) نفســـــه : ٢٥٧.

فقد قسم الشاعر المشغلات عن الغزو إلى الضجر ، والشغل والملل وأشار إلى أنها لم تثن سيف الدولة عن مراده، ثم أتبع ذلك بتقسيم توابع النشاط إلى الغزو بإجهاد النفس ، وسهد العين ، وإنهاك الجيش ، وإتلاف المال٠

ومن أمثلة التقسيم : [١]

وَلَـــئِنْ حَنَنّــتَ إِلَيَّ ذُرَا　　　هُ لَقَدْ حَنَنّتَ إِلَيَّ وُصُــــولُ

لاَ بِالغَضُوبِ ، وَلاَ الكَذُو　　　بِ وَلاَ القَطُوبِ ولاَ المَلَولُ

فقد قسم الحالات التي يذم بها الراعي إلى أربع حالات : الغضب ، والكذب ، والتقطيب ، والملل ، وقد نفاها جميعاً عن سيف الدولة ٠

- **الجناس :**

وهو تشابه (الكلمتين) في اللفظ [٢] ، " ويقال له التجنيس ، والمجانس ، وهو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى [٣]، وهو نوعان : تام وغير تام ، فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة :

نوع الحروف ، وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات ، وعددها ، وترتيبها ، وغير التام وهو ما أختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة " [٤].

" ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ، ووازى مصنوعه مطبوعه ، مع مراعاة النظير ، وتمكن القرائن ، فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها

---

(١) الديوان : ٢٧٤.

(٢) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٢٣ .

(٣) انظر : علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، بيروت ، ص١٩٦.

(٤) انظر : جواهر البلاغة : ٣٩٦ .

ليكتسي من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التكلف في الجناس مع مراعـــاة الالتئام"[١] .

والمتأمل في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة يجد نوعي الجنـــاس حاضرين من غير تكلف ولا تصنع ، فمن أمثلة الجناس التام :[٢]

فَكَانَ ثُبَاتُهُ لِلْقَلْبِ قَلْبـــاً وَهَيْبَتُه جَنَاحاً لِلّجَنَـــاحِ

فقد جانس بين الكلمتين (قلب) الأولـــى وأراد بهـــا قلـــب الجـــيش ، و (قلب) الثانية وأراد بها العضو المعروف ، وقصد منه إلى القوة والشجاعة ٠ وجانس في الشطر الثاني بين الكلمتين (جناح) وأراد بها جنـــاح الجـــيش ، و(جناح) الثانية وأراد بها جناح الطائر وقصد منه إلـــى معنـــى الـــسرعة والحركة والخفة والقوة ٠

ومن الجناس التام قوله : [٣]

إِذَا اللهُ لَمْ يَحرُسْكَ مِمَّا تَخَافُـــهُ فَلاَ الدِّرْعُ مَنَّاعٌ وَلاَ السَّيْفُ قَاضِبُ

وَلاَ سَابِقٌ مِمَّا تَخَيَّلْتَ سَابِـــقٌ وَلاَ صَاحِبٌ مِمَّا تَخَيَّرْتَ صَاحِبُ

ففي البيت الثاني نلاحظ الجناس في كلمة (سابق) فـــسابق الأولـــى تعني الفرس ، و (سابق) الثانية المراد بها السبق والسرعة ٠

وفي الشطر الثاني جناس في كلمة (صـــاحب) فـــالأولى أراد بهـــا الصديق ، و(صاحب) الثانية أراد المصاحبة٠

ومن الجناس التام أيضاً قوله : [٤]

وَمَا أَدَّعِي مَا يَعْلَمُ اللهُ غَـــيْرَهُ رِحَابُ عَلَيٍّ لِلْعُفَـــاةِ رِحَـــابُ

---

(١) الديـــوان: ٣٩٦ .

(٢) نفســـــه : ٧٨.

(٣) نفســـــه : ٤١.

(٤) نفســـــه : ٤٧.

فالمراد بكلمة (رحاب) الأولى المنزل الذي يحله الضيفان وبالثانية السعة .

وكما حضر الجناس التام في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، فقد حضر القسم الثاني ؛ الجناس غير التام .

فمن ذلك قوله : [1]

فَاضِلٌ ، كَامِلٌ ، أَدِيبٌ ، أَرِيبٌ قَائِلٌ ، فَاعِلٌ، جَمِيلٌ ، بَهِيجُ

حَازِمٌ ، عَازِمٌ ، حَرُوبٌ ، سَلُوبٌ ضَارِبٌ ، طَاعِنٌ ، خَرُوجٌ ، وَلُوجُ

ففي البيتين جناس غير تام اختلفت فيه اللفظتان في نوع الحروف ؛ فقد جانس بين (أديب) و (أريب) ، وجانس بين (حازم) و(عازم).

ومنه أيضاً قوله : [2]

وَإنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَدِى وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ الَّذِي بِكَ أَهْتَدِي

جانس بين (اقتدى) و (اهتدي) .

ومنه الجناس الناقص وهو أن يختلف اللفظان في أعداد الحروف ، دون أنواعها وهيئاتها وترتيبها[3]

مثل قول أبي فراس : [4]

أَيَا سَيّداً عَمَّنِي جُودُهُ بِفَضْلِكَ نِلْتُ السّنَا وَالسَّنَاءَ

وكَمْ قَدْ أَتيتُكَ مِنْ لَيْلَةٍ! فَنِلْتُ الْغِنَى وَسَمِعْتُ الْغِنَاءَ

فقد جانس بين (السنا) و (السناء) ، وبين (الغنى) و(الغناء).

---

(1) الديوان : ٧٠.

(2) نفسه : ٩٨.

(3) انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، المطبعة النموذجية ، بدون تاريخ ، ج٤ ص٨١.

(4) الديوان : ١٧.

ومنه قوله أيضاً : [١]

وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَطَاعِمِ طَاعِمٌ   وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَشَارِبِ شَــــارِبُ

ومن الجناس الظاهر في شعر أبي فراس الجناس المحرف وهو اخــتلاف اللفظين في هيئات الحروف ، دون أنواعها وأعدادها وترتيبها[٢] فمن ذلــك قول أبي فراس: [٣]

إِنِّي أَجِلُّكَ أَنْ تُكْفَى بِتَعْزِيَــــــةٍ   عَــنْ خَيْرِ مُفْتَقَدٍ يَا خَــيْرَ مُفْتَقِدِ

فقد جانس بين [مفتقَد) و (مفتقِد) ٠

ومنه أيضاً : [٤]

مَا زِلْتُ أُنْكِرُهُ فَضْلاً ، وَأَجْحَدُهُ   نُعْمَى وَأُوسِعُ مِنْ عُجْبٍ وَمِنْ عَجَبِ

جانس بين (عُجْب) و (عَجَب)٠

ونجد في شعر أبي فراس الذي صور به سيف الدولة نوعين يلحقان بالجناس :

الأول : الاشتقاق : وهو " أن يجمع اللفظين الاشتقاق"[٥]

كما في قول أبي فراس: [٦]

وَلاَ تَقْعُدنْ عَنِّي وَقَدْ سِيمَ فِدْيَتــــي   فَلَسْتَ عَنِ الْفِعْلِ الْكَرِيمِ بِمُقْعَدِ

فقد جانس بين (تقعد) و (مقعد) ٠

---

(١) نفســــه : ٤٢.

(٢) انظر : بغية الإيضاح : ج٤ ص٨٠.

(٣) الديــوان : ١١١.

(٤) نفســــه : ٦٢.

(٥) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٢٧ .

(٦) الديــوان : ٩٧.

ومن ذلك أيضاً : [١]

يَا مُفْرَداً بَاتَ يَبْكِي لاَ مُعِينَ لَهُ   أَعانَكَ اللهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالْجَلَدِ

جانس بين (معين) و (أعانك) ٠

الثاني : " أن يجمعهما المشابهة ، وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به"[٢] ، مثال ذلك قوله : [٣]

لَعَمْرُكَ مَا الأَبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا   إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ

جانس بين (بأبصار) و (للمبصرين) وبين (للمبصرين) و(بصائر) ٠

ومنه كذلك : [٤]

وَقَدْ يُقْطَعُ الْعُضْوُ النَّفِيسُ لِغَيْرِهِ   وَتُدْفَعُ بِالأَمْرِ الْكَبِيرِ الْكَبَائِرُ

جانس بين (الكبير) و (الكبائر) .

- **رد العجز على الصدر :**

" وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها ٠٠٠ وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو صدر الثاني "[٥].

فمن ذلك ما جاء في قول أبي فراس : [٦]

عَلِيلَةٌ بِالشَّآمِ مُفْرَدَةٌ   بَاتَ بِأَيْدِي الْعِدَا مُعَلِّلُهَا

(١) الديوان: ١١١.

(٢) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٢٨ .

(٣) الديوان : ١٢٧.

(٤) نفسه : ١٤٢.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٢٨ ، ٣٢٩.

(٦) الديوان : ٢٦٣.

ففي البيت رد للعجز على الصدر في لفظتين متجانستين همـــا (عليلـــة) و (معللها) ٠

واللفظان المكرران جاء الأول في صدر البيت ٠

وقد يأتي اللفظ في حشو المصراع الأول كما في قوله :[(١)]

إِنْ كَانَ آزَرَكَ الـــنَّوَى فَالْحُزْنُ بَعْدَكَ لِي مُؤَازِرْ

وكقوله أيضاً:[(٢)]

وَسَائِلْ نُمَيْرًا يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِمُ أَلَمْ يُوقِنُوا بِالْمَوْتِ لَمَّا تَنَمَّرَا

وكقوله :[(٣)]

لَعَمْرُكَ مَا الأَبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ

فالألفاظ (آزرك) ، و (نميراً) ، و (الأبصار) جاءت في حـــشو المصراع الأول ٠

وقد تأتي اللفظة في آخر المصراع الأول ، كقوله:[(٤)]

مَا بَالُ هَجْرِكَ ظَاهِرًا مِنْ بَعْدِ وَصْلٍ مِنْكَ ظَاهِرْ

وكقوله :[(٥)]

يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ كَيْفَ تُبْدِلُهُ ثِيَابُنَا الصُّوفُ مَا نُبَدِّلُهَـــا

فاللفظتان (ظاهر) ، و (تبدله) جاءتا في آخر المصراع الاول٠

---

(١) الديـــوان : ١١٤.

(٢) نفســـــه : ١١٧.

(٣) نفســـــه : ١٢٧.

(٤) نفســـــه : ١١٤.

(٥) نفســـــه : ٢٦٥.

وقد تأتي اللفظة في صدر المصراع الثاني ، كقوله : [١]

أَيَا رَاكِبًا تَخْدِى بِأَعْوَادِ رَحْلِهِ عُذَافِرَةٌ عَيْرَانَةٌ وَعُذَافِرُ

وكقوله : [٢]

هُمَا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشَرَّدٌ أَجَارَاهُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَنْ يُجَاوِرُ

وكقوله : [٣]

وَمَا أَدَعِي مَا يَعْلَمُ اللهُ غَيْرَهُ رِحَابَ عَلَيّ لِلّعُفَاةِ رِحَابُ

فالألفاظ (عذافرة) و (أجاراه) ، و (رحاب) جاءت في صدر المصراع الثاني ٠

- **التصريع :**

وهو " جعل العروض مقفاة تقفية الضرب"[٤] .

وقد جاء في شعر أبي فراس كثيراً في مطالع القصائد وفي أثنائها.

فمما ورد في مطالع شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة قوله: [٥]

أَسَيْفَ الْعِدَى وَقَرِيعَ الْعَرَبْ عَلاَمَ الْجَفَاءُ وَفِيمَ الْغَضَبْ؟

وكقوله : [٦]

زَمَانِيْ كُلُّهُ غَضَبٌ وَعَتْبُ وَأَنْتَ عَلَيّ وَالأَيَامُ إِلْبُ

---

(١) الديوان : ١٢٧ ، عذافرة : الناقة الضخمة ، العيرانة : القوية ، العذافر : الجمل الضخم القوي.

(٢) نفسه : ١٣٧.

(٣) نفسه : ٤٧.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٣٤.

(٥) الديوان : ٢٤.

(٦) نفسه : ٤٨ ، إلب : جمع ، أي اجتمع سيف الدولة مع الدهر على إيذاء أبي فراس.

وكقوله : [١]

مَنْ كَانَ أَنْفَقَ فِي نَصرِ الْهُدَي نَشَباً   فَأَنْتَ أَنْفَقْتَ فِيهِ النَّفْسَ وَالنَّشَبَا

فقد صرع بين (العرب) و (الغضب) في المطلع الأول وصرع بين (عتب) و (إلب) في المطلع الثاني وصرع بين (نشبا) و(النشبا) في المطلـــع الثالث.

ومما ورد مصرعاً في ثنايا قصائد أبي فراس التي صور فيها سيف الدولة قوله: [٢]

قُولاَ لِهَــذَا السَّيِّــدِ الْمَاجِـــدِ   قَوْلَ حَزِينٍ مِثْلِــهِ فَاقِـــــدِ

هَيْهَاتَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالدٍ   لاَ بُدّ مِنْ فَقْدٍ وَمِنْ فَاقِـــــدِ

فقد صرع في البيت الثاني بين (خالد) و (فاقد) .

ومثله قوله: [٣]

وَإنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَــدِي   وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ الَّذِي بِكَ أَهْتَـــدِي

صرع بين (أقتدي) و (أهتدي) .

ومنه قوله : [٤]

مَا زَالَ لِي نَجْوَةً مِمَّا أُحَاذِرُهُ   لاَ زَالَ فِي نَجْوَةٍ مِمَّا يُحَاذِرُهُ

صرع بين (أحاذره) و (يحاذره).

---

(١) الديـوان: ٣٠.
(٢) نفســـه : ١١٠.
(٣) نفســـه : ٩٨.
(٤) نفســـه : ١٧٥

- **الترصيع :**

وهو " أن يتوخى [الشاعر] فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف..." [١] .

ومن أمثلة ذلك في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، قوله : [٢]

وَأَنْتَ الكَرِيمُ وَأَنْتَ الحَلِيْمُ وَأَنْتَ العَطُوفُ وَأَنْتَ الْحَدِبُ

فهاهنا أربعة مقاطع متشابهة في الوزن ، وفي الشطر الأول مقطعان مسجوعان .

وكقوله : [٣]

أَمَرَّ عَلَيْهِمُ خَوْفَاً وَأَمْنًا أَذَاقَهُمُ بِهِ أَرِياً ، وَصَابَا

فالشطر الأول مشاكل وزناً مع الشطر الثاني .

ومن ذلك قوله : [٤]

وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَطَاعِمِ طَاعِمٌ وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَشَارِبِ شَارِبُ

فنحن نلحظ تشابه الوزن في مفردات وجمل الشطرين .

ومنه قوله: [٥]

نُبَاعِدُهُمْ وَقْتاً كَمَا يُبْعَدُ الْعِدَا وَنُكْرِمُهُمْ وَقْتاً كَمَا يُكْرَمُ الْوَفْدُ
وَنَدْنُو دُنُوّاً لاَ يُوَلِّدُ جُرْأَةً وَنَجْفُو جَفَاءً لاَ يُوَلِّدُهُ زُهْدُ
نُشَرِّدُهُمْ ضَرْباً كَمَا شُرِّدَ الْقَطَا وَنَنْظِمُهُمْ طَعْناً كَمَا نُظِّمَ الْعِقْدُ

---

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، ص٤٠.

(٢) الديوان : ٢٤.

(٣) نفسه : ٣٧.

(٤) نفسه : ٤٢.

(٥) نفسه : ٩٢.

ففي كل بيت أربعة مقاطع ، في كل شطر مقطعان ، وهي مقــاطع تشاكلت وزناً ٠

وفي الأمثلة السابقة للتصريع تظهر قدرة أبي فراس علــى جلــب الجمال لشعره من غير تكلف ولا تصنع " وأكثر الشعراء المــصيبين مــن القدماء والمحدثين قد غزو هذا المغزى ، ورموا هذا المرمى ، وإنما يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به ، فإنه ليس في كل موضع يحــسن ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل فــي الأبيــات كلهــا بمحمود ، فإن ذلك إذا كان دل على تعمل وأبان عن تكلف".(١)

- **الاقتباس والتضمين :**

فن بديعي يشير إلى ثقافة الشاعر وقدرته على توظيف هذه الثقافــة فــي شعره بصورة لا تشي بالنشاز أو القلق الشعري ، فالاقتباس " أن يضمن [الشاعر] الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"(٢).

أما التضمين " فهو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء"(٣).

يقول د. مصطفى الشكعة : " والأصل في الاقتباس هــو إعجــاب الشاعر بالنص الذي يريد أن يقتبسه فيضمنه أبيــات قــصيدته ٠ ومــصدر إعجاب الشاعر بما يريد تضمينه أن يكون قد أعجب بالنص الذي صــادف هوى في نفسه أو تمشي مع هدف قصيدته وحينئذ يــسارع إلــى اقتناصــه وتزيين قصيدته به "(٤) .

---

(١) نقد الشعر : ٤٦ ، ٤٧.

(٢) بغية الإيضاح : ٤ : ١٣٠ ٠

(٣) نفســـه : ٤ : ١٣٤ .

(٤) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : ٥١٩ ٠

وتفسير الدكتور مصطفى الشكعة للاقتباس والتضمين يذهب مذهب من لا يفرق بينهما إذ إن هناك من حصر الاقتباس في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وحصر التضمين في الشعر ، لكن هناك من جعل الاقتباس والتضمين بمعنى واحد تحت مسمى التضمين الحسن فقد قال ابن أبي الأصبع المصري في كتابه تحرير التحبير تحت عنوان " حسن التضمين " ؛ قال : " وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت ، أو من آية ، أو معنى مجرداً من كلام أو مثلاً سائراً ، أو جملة مفيدة ، أو فقرة من حكمة "(١) .

ومنهم قسمه تقسيماً آخر بحسب النوع الأدبي الذي يدخله فقد " ذكر الحموي رأياً جديداً نسبه إلى العلماء وهو أن جعل الاقتباس نوعين : فما قام به الناشرون من الخطباء والمنشئين يسمى الاقتباس ، وما يتم على أيدي الشعراء في أشعارهم يسمى التضمين وذلك أن العلماء في هذا الباب قالوا : " إن الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن ، وأما الناشر فهو الذي يقتبس كالمنشئ والخطيب"(٢) .

إن الاقتباس والتضمين يضفيان على النص تألقاً وجمالاً ، وقد فطن لذلك أبو فراس فأحسن توظيفه في شعره إذ إن حسن اختيار المضمون يمكن المعاني ، ويؤكدها ، ويدعمها في النفوس . وسأتناول التضمين في شعر أبي فراس بالنظر إلى ما أورده الحموي سابقاً من أن "ما يتم على أيدي الشعراء في أشعارهم يسمى التضمين " وقد ظهر تأثر الشاعر بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف كما ظهر أثر اطلاعه على أشعار السابقين له

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د.حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي " بدون تاريخ " ، القاهرة ، ص١٤٠.

(٢) معجم النقد الأدبي القديم ، د.أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط١ ١٩٨٩م ج١ ص ٢٠٦ .

بصورة واضحة في شعره ولعل أثر قراءته للشعر ظهرت أجلى في شـــعره الذي صور به سيف الدولة

ومما ضمنه أبو فراس شعره معاني الشعراء التي لا يستطيع الشاعر أن يتحرز منها لعلوقها بذهنه مما قرأ وفتش دواوين الـــشعراء "ومـــا زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ! ويستمد من قريحته ، ويعتمد علـــى معنـــاه ولفظه ، وكان أكثره ظاهراً كالتوارد ... وإن تجـــاوز ذلـــك قلـــيلاً فـــي الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ ، ثم تسبب المحدثون إلى إخفائـــه بالنقل والقلب ، وتغيير المنهاج والترتيب ، وتكلفوا جبر ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في حال والتصريح في أخـــرى ، والاحتجـــاج والتعليل ، مضار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمـــور مـــا لا يقصر معه عن اختراعه ، وإبداع مثله "[١].

وأبو فراس ليس بدعاً من الشعراء فهو يتأثر ويؤثر ويأخذ ويؤخـــذ منه ، وقد برأ القاضي الجرجاني الشعراء من الـــسرقة بمـــا ســـبق إليـــه المتقدمون فلم يدعو شيئاً للمتأخرين حتى لو اجتهد وحرص الشاعر فلن يعدم له سابق إلى معناه.[٢]

فمن تضمين أبي فراس معاني شعره غيره في شعره الذي صور به سيف الدولة قوله : [٣]

صَنَائِـــعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَـــتْ   وَغَرْسٌ طَابَ غَارِسُـــهُ فَـــطَابَا

أخذه من قول زهير بن أبي سلمى : [٤]

وَهَلْ يَنْبُتُ الْخطَي إلاَّ وَشِيجَـــةً   وَتَغْرِّسَ إلاَ فِي مَنَابِتِهَا النَّخْـــلُ

---

(١) الوساطـــة : ٢١٤ .

(٢) انظر: نفســـه : ٢١٤ – ٢١٥ .

(٣) الديـــوان : ٣٤.

(٤) سبق ص٩ من هذا البحث.

ومن التضمين قوله : [1]

وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيعَــةٌ وَلِلْمَوتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطَــلَّ وَنابُ

أخذه من قول أبي ذؤيب الهذلي: [2]

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَــــعُ

ومن التضمين قوله : [3]

لأَوْسَعُهُمْ نَدىً إِنْ عَبَّ رَادٌ وَأَغْزَرُهُمْ تَدَافُعَ سَيْبِ رَاحِ

أخذه من قول جرير : [4]

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

ومنه أيضاً قوله : [5]

وَزُرقٍ تَشُقُّ البُردَ عَنْ مُهَجِ الْعِدَا وَتَسْكُنُ مِنْهُمْ أَيْنَمَا سَكَنَ الحِقْدُ

أخذه من قول البحتري : [6]

---

(١) الديوان : ٤٧.

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

(انظر : المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط١٠ ١٩٩٤م ، ص٤٢٢ .

(٣) الديوان : ٨٢.

(٤) من قصيدة التي مطلعها :

أَتَصْحُو بَلْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِي عَــــشِيَةَ هَــــمِ صَــــحْبِكَ بِالـــــــرَّوَاحِ

ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر –بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٧٦ ٠

(٥) الديوان : ٩٢.

(٦) من قصيدته التي مطلعها :

سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا وَفَاءٌ وَلا عَهْــدٌ أَمَا لَكُمْ مِنْ هَجْرِ أَحْبَابِكُمْ بُــدٌّ

ديوان البحتري ، شرحه : د.يوسف الشيخ محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص١٦٥.

فَأَتْبَعتُهَا أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصلَهَا   بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالحِقْدُ

ومن تضمين أبي فراس لمعاني الشعراء في شعره الذي صور فيه سيف الدولة قوله : [1]

إِلَيْكَ أَشْكُو مِنْكَ يَا ظَالِمِـــــي   إِذْ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مُعْــدٍ عَلَيْــكْ

أَعَانَكَ اللهُ بِخَيْرٍ أَعِــــــنْ   مَنْ لَيْسَ يَشْكُو مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْــكْ

أخذه من قول أبي نواس: [2]

أَفِرُّ إِلَيْكَ مِنْكَ وَأَيـــــنْ إِلاَّ   إِلَيْــكَ يَفِرُّ مِنْــكَ الْمُسْتَجِيرُ

---

(1) الديوان : ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(2) ديوان أبي نواس ، تحقيق : أحمد عبدالمجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، بدون تاريخ ، ص٦١٠ ٠

المبحث الثاني :

الصورة الشعرية

- أولا : الصورة وعلاقتها بالخيال والعاطفة
- ثانيا : أهمية الصورة
- ثالثا : وظيفة الصورة
- رابعا : أنماط الصورة في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة

أولا : الصورة، وعلاقتها بالخيال والعاطفة:

تحتل الصورة مكانة مهمة في الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية القديمة من حيث مجال البحث والاهتمام بتحديد ماهيتها ووظيفتها في العمل الأدبي فالصورة قديمة قدم الإنسان المصور ، وقدم الشعر ، فـ"الاهتمام بالصورة أصيل في النظر إلى الإبداع الأدبي وتحليله "[١] فالنقد الأدبي والدراسات الأدبية قد نظرت إلى الصورة الأدبية فجعلتها مرتكزا مهما من مرتكزات الخلق الأدبي الذي لا ينفك عنها إلا إلى حيث يخرج عن فنيته . وقد عالج النقاد هذه الميزة الأدبية قديما وحديثا مع اختلاف في زوايا النظر إلى مفهوم الصورة ودلالاتها ، فالنقد القديم قد عالج الصورة الأدبية من خلال التشبيه والمجاز ، فقد أطلق عليها الجاحظ الصورة والتصوير وربط حسنها وجودتها بحسن اختيار الألفاظ والأوزان، وقدرة الشاعر على إخراجها إخراجا جميلا حيث يقول :" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[٢]

وقد التقط البلاغيون هذه اللمحة من الجاحظ فأسسوا عليها رؤيتهم في الصورة الحسية التي عالجوا جوانب منها في دراساتهم البلاغية وإن اختلفت آراؤهم وتفاوتت زوايا النظر إليها لكنهم أدركوا أن الشعر لمحة دالة وصورة معاشة وأداء خاصا، وإلى هذا أشار أبو هلال العسكري بقوله : " والبلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن، وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة؛ لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقاً لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى مكشوف

---

[١] جماليات الأسلوب: ١٥

[٢] الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بدون تاريخ ، بيروت ، ج٣ :ص١٣١-١٣٢.

المغزى" [١] ، فالعسكري قد نظر إلى الصورة من خلال عباراتها وحسن إخراجها.

وعندما تناول عبد القاهر الجرجاني الصورة كان أكثر دقة في عرضها وتناولها ممن سبقه إلى الحديث عنها ، فتحدث عن خصائصها وبواعثها النفسية، فقال :" ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان في صور مستجدة تزيد قدره نبلا ، وتوجب له بعد الفضل فضلا"[٢] وعبد القاهر عندما تحدث عن الصورة وسع نطاق مفهومها فارتبطت عنده بالنظم ، يقول " ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه ، كالذهب والفضة يصاغ منهما خاتم أو سوار"[٣] فقدرة الشاعر على إخراج المعنى المألوف في صورة جديدة غير مألوفة هو مكمن البراعة التصويرية عند عبد القاهر ؛ ولهذا ربط بين مفهومه للتصوير وبين السرقات الشعرية.

وتحدث حازم القرطاجني عن التصوير فربطه بالتخييل والمحاكاة التشبيهية ، فقال : " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين وأذهانهم"[٤]

ثم إن الشعر المكتسب صفة الشعرية هو الذي يستطيع " تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود ، وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه تمويها وإيهاما"[٥].

---

[١] الصناعتين : ١٠

[٢] أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة ودار المدني- جدة ، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص٤٢ .

[٣] دلائل الإعجاز : ٢٥٤.

[٤] منهاج البلغاء : ١٨-١٩.

[٥] نفسه :١٢٠.

لقد عنيت البلاغة العربية ببيان جماليات القول الشعري لكنها ظلت تدور في فلك واسع فاهتمت بالمصطلحات والتعبيرات البلاغية التي كانت تقوم على أساس الوضوح والتناسب المنطقي لعناصر الصورة ، الأمر الذي دفعها إلى تفضيل التشبيه على الاستعارة ، وضبط الثانية بضوابط تبقي وضوحها وتناسبها المؤسس على التشابه المنطقي [١] ولهذا لم نجد تعريفا واضحا لمصطلح الصورة الفنية في التراث النقدي ؛ إما بسبب الاستخدام غير المتبصر له[٢] وإما لأنه مصطلح حديث صيغ تحت وطأت التأثر بمصطلحات النقد الغربي ، والاجتهاد في ترجمتها . وأن تلك المصطلحات ليس لها جذور في النقد العربي القديم ؛ وإن كان الاهتمام بـ(المشكلات) التي يشير إليها المصطلح قديم يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي[٣] .

وفي الدراسات النقدية الحديثة ظهرت محاولات لإعطاء الصورة الفنية تعريفا يحدد ملامحها ويبرز معالمها يتجاوز بها الأشكال البلاغية المعروفة التي دارت حولها الصورة في الدراسات البلاغية القديمة ، فالصورة " تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة ، يقف العالم المحسوس في مقدمتها ، فأغلب الصور مستمدة من الحواس ، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية ..."[٤] ، أو "هي المادة التي تتركب من اللغة بدلالتها اللغوية والموسيقية، ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية وحسن التعليل"[٥]. وبهذا يكون مقياس جمال الصورة وصحتها " قدرتها على نقل الفكرة

---

(١) انظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر أحمد عصفور ، دار المعارف (بدون تاريخ) ، القاهرة ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٢) انظر: التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية ، د. شفيع السيد ، دار الفكر العربي ط٤ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ص٢٨.

(٣) انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٧.

(٤) انظر: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري "دراسة في أصولها وتطورها" ، د. علي البطل ، دار الأندلس ط١ ١٩٨٠م ، بيروت ، ص٣٠ .

(٥) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ، ص ٢٤٩.

والعاطفة بأمانة ودقة، والصورة هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية، وهذا هو مقياسها الأصيل، وكل ما نصفها به من جمال إنما مرجعه إلى التناسب بينها وبين ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد، وفيه روح الأديب وقلبه كأنما نحادثه، ونسمعه كأنما نعامله"[١] ، بينما يرى الدكتور جابر عصفور أن الصورة " طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير. ولكن أياً كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته . إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه"[٢]

وفي الدراسات النقدية الحديثة ارتبطت الصورة الفنية بالخيال فالصورة الفنية نتاج ملكة الخيال، وتصوير الخيال لا يعني محاكاة العالم الخارجي، وإنّما يعني الابتكار والإبداع، وإبراز علاقات جديدة بين عناصر متضادّة، أو متنافرة، أو متباعدة، وعلى هذا الأساس، لا يمكننا قصر الصورة الفنية في الأنماط البصرية فقط، بل إنها تتجاوز هذا إلى إثارة صور لها صلة بكلّ الإحساسات الممكنة التي يتكوّن منها الإدراك الإنساني ذاته ، فالشاعر لا يعبر عن الحقيقة من حيث هي حقيقة ، بل من خلال إدراكه الوجداني لها وإحساسه العاطفي بها ، إننا أما قوة مختزنة تستطيع ابتكار الأشياء وتشخيصها ، ونقلها من عالم إلى عالم جديد ، إنها قوة الخيال و" هو الملكة التي يؤلف بها الأديب صوره "[٣] ، أو "هو قوة تحفظ الصور المرتسمة في الحس المشترك إذا غابت تلك الصور عن الحواس الباطنة"[٤] ، أو "هو الملكة التي تخلق وتبث الصور الشعرية"[٥].

---

[١] أصول النقد الأدبي ، الشايب : ٢٥٠

[٢] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب :٣٩٢

[٣] فصول في الشعر ، د.أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ــ بغداد ، ١٤٢٠هــ ١٩٩٩م، ص :١٨٧

[٤] نفســـه ص ١٨٧، نقلا عن : كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي الفاروقي التاهنوي .

[٥] نفســـه ، ص١٨٧ ، نقلا عن الصورة الشعرية ، سي ــ دي لويس .

" إن التخيل أساس الشعر ... وكان ابن عربي قد تحدث عن الخيال وعده أعظم قوة خلقها الله ، وربط بينه وبين الكشف الصوفي "[1] ، والخيال أساس الصورة الشعرية ، فالخيال هو " القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس "[2] ؛ لذلك لا يمكن للصورة أن تنفك عن الخيال فـ" أي مفهوم للصورة الشعرية لا يمكن أن يقوم إلا على أساس مكين من مفهوم متماسك للخيال الشعري"[3] .

إن إعادة صياغة الواقع من خلال الخيال وإخراجه في صورة جديدة غير متوقعة ومؤثرة في الوقت نفسه ضرورة شعرية وإلا لما كان للشعر مزية على الخطابة وما شابهها ، فإعادة صياغة الواقع ومحاكاته تمر من خلال خيال خصب ينتج صورا شعرية تطبع المألوف بطابع الجدة " فما كان من الأقاويل القياسية مبنيا على تخييل وموجودة فيه المحاكاة فهو يعد قولا شعريا سواء كانت مقدماته برهانية أو جدلية أو خطابية أو يقينية أو مشتهرة أو مظنونة ، وما لم يقع فيه من من ذلك بمحاكاة فلا يخلو من أن يكون مبنيا على الإقناع وغلبة الظن خاصة ، أو يكون مبنيا على غير ذلك ، فإن كان مبنيا على الإقناع خاصة كان أصيلا في الخطابة دخيلا في الشعر سائغا فيه ، وما كان مبنيا على الإقناع مما ليس فيه محاكاة ، فإن وروده في الشعر والخطابة عبث وجهالة سواء كان ذلك صادقا أو مشتهرا ، أو واضح الكذب"[4] . وليس مهمة الخيال استعادة الصور كما وقعت بعد غيابها عن الحس ، ثم إعادتها آليا كما وقعت ، بحيث لا تختلف من شخص لآخر ، بل عملية الإعادة تخضع للذات وموقفها من الواقعة المطلوب إعادتها ، والحالة النفسية عند حدوثها وعند تذكرها[5] ، " فالشعر ليس وزنا وقافية وإنما هو

---

[1] فصول في الشعر :١٩١ .

[2] انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ١٣.

[3] انظر: نفسه : ١٤.

[4] منهاج البلغاء :٦٧.

[5] انظر: الشعر العربي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، ط٥، ١٩٨٨م ، بيروت ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

تخييل يصور ما وقع بأدق عبارة ، ويرسم ما يمكن أن يقع بأروع بيان "[١] ، وقد أشار أرسطو إلى هذا الدور الذي يقوم به الخيال داخل النص الشعر فقال:" إن مهمة الشاعر الحقيقية ليست في رواية الأمور كما وقعت فعلا ، بل رواية ما يمكن أن يقع . والأشياء ممكنة بحسب الاحتمال أو بحسب الضرورة ، ذلك أن المؤرخ والشاعر يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلا بينما الآخر يروي الأحداث يمكن أن تقع ، ولهذا كان الشعر أوفر حظا من الفلسفة وأسمى مقاما من التأريخ ؛ لأن الشعر بالأحرى يروي الكلي ، بينما التأريخ يروي الجزئي"[٢].

فالشاعر المتمكن هو الذي يستطيع أن يشكل صوره من مركبات عديدة تطفو في وجدان الشاعر فيحسن صياغتها وإبرازها ذلك أن " الخيال الفني يعبر عن نضج مفاجئ لكافة مدركات المبدع المختزنة وقد تراكبت نتيجة تجارب حسية متعددة ، شغل الذهن عنها ، وربما نسيها ، ولكنها ــ فجأة ــ وبعد فترة من الراحة والكمون ، تطفو إلى سطح الذاكرة ، وتسيطر على جوانب التفكير ، وقد تتحول إلى فكرة تلح على المبدع ، وتقلقه وتدفعه إلى التعبير ، وبخاصة إذا تعرض لمثير"[٣].

إن الصورة الشعرية تتولد عن الخيال ، وهي مجموعة من العلاقات اللغوية[٤] التي تتشكل تبعا للعاطفة المسيطرة على الشاعر ، فالنفس الإنسانية ميدان يزخر بألوان العواطف التي تعبر عن شتى ميول الإنسان ورغباته، لذلك انعقدت الصلة الوثيقة بين الصورة والعاطفة، ذلك " أن الصورة التي يستخدمها الشاعر في

---

(١) فصول في الشعر :١٩٨ .

(٢) نفســـه ، ص١٩٨ نقلا عن : فن الشعر لأرسطو.

(٣) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي) ، محمد علـي كنـدي ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، ٢٠٠٣م ص٢٦.

(٤) انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٩.

تضاعيف قصيدته عميقة الجذور في عالمه الشعوري أو اللاشعوري ، وأنها تعبير متسام عن عواطفه ورغباته المكبوتة أو المعلنة"[1] .

الصلة وثيقة بين الخيال المكون للصورة وبين العاطفة ، فالخيال " هو الذي يصورها ويبعثها في نفوس القراء والسامعين ، وقوته مرتبطة بقوتها ، فإذا كانت صادقة قوية أحدثت خيالا رائعا ، وإذا كانت سقيمة أو مصطنعة كان الخيال هزيلا سخيفا ، كما نرى عند الأدباء العقليين الذين يطغى عندهم سلطان الفكر على الشعور ، أو عند من يدركون الجمال إدراكا سطحيا ، ويعرضونه عرضا قبيحا"[2].

ولهذا فالخيال الأدبي يقاس بقدرته على التعبير عن العاطفة بصدق جمال.

ثانيا : أهمية الصورة :

اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي ، ينقل بها الإنسان أفكاره وآراءه ، فاللغة في حقيقة دورها الوظيفي رأس وسائل ترابط المجتمع الإنساني وتنظيمه ؛ فهي تربط بين الأفراد ، وتربط بين الجماعات ، أحاسيس ومشاعر ورؤى ، فالإنسان لا بد أن يعبر عن أحاسيسه ومشاعره ورؤاه ، ويتواصل مع مجتمعه ، وهذا التواصل يتم إما بالتعبير المباشر الدارج الذي يباشره كل الناس وهذا لا مزية فيه وليس موضع بحثنا ، وإما أن يتم بالتعبير الأدبي الذي يتميز ببلاغته وقدرته التعبيرية التي ترفعه عن مصاف التعبير الدارج ، وهنا يلجا الأديب في إيصال فكرته إلى الصورة التي تعد أهم طريق لتحقيق هذا اللون التعبيري ، فتشكيلها ـ وبخاصة الحسية منها ـ ليس تسجيلا فوتوغرافيا للطبيعة أو محاكاة لها ؛ بل يقوم الشاعر

---

[1] العاطفة والإبداع الشعري : دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، د. عيسى علي العاكوب ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م ص١٤٨.

[2] أصول النقد الأدبي ، د. طه مصطفى أبو كريشة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١، ١٩٩٦م ، ص٣٣٦.

بإخضاعها لتشكيله فتأتي صورة لفكرته هو وليست صورة لــذاتها (١) ، ولهــذا كانت طريقة بليغة متميزة " تفرض بها علينا نوعا من الانتبــاه للمعنـــى الـــذي تعرضه ، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ، ونتأثر به . إنهـــا لا تشغل الانتباه بذاتها إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنـــى الـــذي تعرضــــه وتفجؤنا بطريقتها في تقديمه ... وبهذه الطريقة تفرض الصورة على المتلقي نوعا من الانتباه واليقظة ، ذلك أنها تبطئ إيقاع التقائه بالمعنى ، وتنحرف بـــه إلـــى إشارات فرعية غير مباشرة ، لا يمكن الوصول إلى المعنى دونها" [٢] ،وإذا كانت الصورة تعبر عن حاجة ملحة دفعت المبـــدع إلـــى تـــشكيل تجربتـــه بطريقـــة مخصوصة ، وتدخلت في كيفية تعامله مع مكوناتها ، فإن " الشعور يظل مبهمـــا في نفس الشاعر ، فلا يتضح له إلا بعد أن يتشكل في صورة " (٣) ، وعلى هذا فالصورة كشف عن حالة نفسية تلبست بالمبدع ، وحقيقة أدركها ، فهي عبـــارة عن صيغة لاكتشاف الحقيقة التي يريد الشاعر بواسطتها أن يكشف عـــن معنـــى تجربته الشخصية [٤] ، ومن هنا فإن المبدع لا يلجأ إلى الصورة الشعرية ترفا أو تزيينا لعمله " وإنما يتكئ على الصورة وإليها يركن؛ تعبيرا عن ضرورة ملحـــة وحاجة ماسة"[٥] ، وإذا كان المبدع قد اضطرته تجربته الشعرية وعاطفته القويـــة على إخراجها في صورة معبرة دالة على مكنونات نفسه فإن المتلقي عند تلقيـــه لهذا العمل الأدبي يشارك المبدع وجدانيا ، ويتفاعل معه عاطفيا؛ لهذا فالـــصورة ركيزة أساسية في تشكيل العمل الأدبي وبنائه وتنميته ، فبالصورة يمكن للـــشاعر أن " يشاهد من حوله أفقا أوسع فيه تقرر بين الأشياء علاقات جديدة ، لا تتحـــدد

---

(١) انظر : أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر ، د. العربي حسن درويش ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م ، مصر ، ص ١٠٥.

(٢) انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٣٦٣.

(٣) الشعر العربي المعاصر :١٣٦.

(٤) انظر:الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث ،ص٣٩ ، نقلا عن مفاهيم الـــصورة الـــشعرية ، لطيفة برهم ،ص٦٧.

(٥) انظر:الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث: ٤٠.

بالمنطق أو بقانون العلية" [1] ، فالصورة بذلك عنصر أصيل في أي عمل أدبي لا يظهر جماله وتفاعله إلا من خلال الصور المعبرة التي يلتقطها المبدع ليبرز فيها تجربته وأحاسيسه وانفعالاته.

ثالثا : وظيفة الصورة :

اهتم الشعراء والنقاد على حد سواء بالصورة الشعرية ، وكانت دائمـا موضـع الاعتبار في الحكم على الشاعر حتى ولو لم ينص عليها في الدراسـات النقديـة العربية ، وأن المفاضلة بين الشعراء لا تقوم إلا على أساس منها[2].

ومازالت الصورة الشعرية مرتبطة بوظيفة الشعر نفسه ، فــ" عندما يهدف الشعر إلى جانب المنفعة المباشرة ، فإنه يثير في المتلقي انفعالات من شأنها أن تفـضي إلى أفعال ، فيوجه سلوك المتلقي ومواقفه وجهات خاصة ، تتفـق والأغـراض الاجتماعية المباشرة للشعر كنصرة عقيدة دينية أو كلامية ، أو الدفاع عن مذهب سياسي ، أو الدعاية لحاكم أو طبقة .... وعندما يهدف الشعر إلى تحقيق المتعـة الشكلية ، فإنه لا يعنى كثيرا بتوجيه سلوك المتلقي أو مواقفه ، فلا يقـدم لـه إلا نوعا شكليا من المتعة ، هي غاية في ذاتها وليست وسيلة لأية غاية أخـرى"[3] ، لكن النقد يخطئ عندما ينظر لأثر الصورة ووظيفتها من جهة أثرها في المتلقي ، فالصورة ينطلق أثرها وتظهر وظيفتها ابتداء من المبدع مرورا بالعمـل الأدبـي ذاته حتى يتلقفها المتلقي ، فالصورة الشعرية هي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقـل التجربة في معناها الجزئي والكلي، وليست التجربة الشعرية إلا صورة كبيرة ذات أجزاء تحوي الصور الجزئية فهي بها تكون ، وعلى هذا فالصورة جزء لا يتجزأ من التجربة ، ويجب أن يتآزر مع الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلا صـادقا ... لا بد أن تكون الصورة عضوا في التجربة الشعرية ؛ بمعنى أنـه يجـب أن

---

(1) الصورة والبناء الشعري ،د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف القاهرة ١٩٨١م ، ص١٠.

(2) انظر : نفسه : ١٢.

(3) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ٣٦٧.

تؤدي كل صورة وظيفتها في داخل تلك التجربة التي هي عبارة عن الصورة الكلية ، وذلك بأن تكون الصور الجزئية مسايرة للفكرة العامة أو الشعور العام في القصيدة ، وأن تشارك في الحركة العامة لقصيدة حتى تبلغ الذروة في النماء ثم تنتهي إلى نتيجتها الطبيعية التي تؤلف وحدتها العضوية النامية[١] .

"لقد شكل المبدع صوره محملة بالمعاني الضمنية ، محاولا من خلالها التعرف على تجربته الشعورية ، وكشف أسبابها ومكوناتها ، بما يحقق نوعا من المشاركة الوجدانية مع متلقي تجربته الشعرية ، عندما يتحسس المتلقي ما أضفته الصورة على العمل الأدبي من جمال ونظام ، وما بثته من وحدة وتناسق ، فيدرك الحاجة إلى[٢] " إلى استكشاف الصورة أولا ، ثم إثارة القارئ أو المتلقي ثانيا"[٣] .

في ضوء ما تقدم ندرك أن الصورة في جانبها النفعي لا يستغني عنها الشاعر فهي ترجمة لأحاسيسه ومشاعره وانفعالاته ، ولا يستغني عنها المتلقي فهي وسيلة مهمة من وسائل التواصل الوجداني مع الشاعر يتحسس من خلالها تجربة الشاعر ويعيشها حية كما أحسها المبدع ، ولا يستغني عنها الناقد ؛ فلا يمكن أن يحكم بجودة النص بمنأى عن صوره .

---

[١] انظر : النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة بيروت ، ١٩٨٧م ، ص٤١٧ ـــ ٤٢٢.

[٢] الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث : ٤٤.

[٣] التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، دار غريب ، القاهرة ، ط٤، بدون تاريخ ، ص ٥٩.

رابعا :

أنماط الصورة في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة :

" كان أبو فراس ذا خيال جزئي يعتمد في رسوم صوره التعبيرية على الفنون البيانية ، من تشبيه واستعارة وكناية"[(١)] ، فهو شاعر مطبوع كان لثقافته الأدبية التي نهلها من معين الأدباء والعلماء المحافظين أثر في بناء شخصيته الشعرية بناء لم يحصره في دائرة التقليد غير الواعي ، بل كان مدركا لما يرومه من عمله الأدبي ، لقد اكتسب أبو فراس من مجالس سيف الدولة الأدبية فوائد جمة إذ تأدب على شعراء وعلماء أثروا موهبته بيانا وجمالا ، فالتفت إلى شعر السابقين المجيدين يحاكيه صابغا شعره بلمسات روحه وفيض مشاعره ، فلم يغرق في القديم ولم يتنكر له ، ولا شك أن لذلك الالتفات " فوائد جمة ؛ لأنه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم ، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك ، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة ، وتذكي الفطنة. وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها ، تصير المعاني ... كالشيء الملقى بين يديه ، يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد ، وليس الانتفاع مقصورا على زيادة الثروة الفكرية ، بل إن التعمق في القديم قد يكون سببا في الاهتداء إلى الجديد ؛ فإن الأديب إذا كان مطلعا على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه" [(٢)]. ولا يعني أن أبا فراس كان ذا خيال جزئي مقيد في فنون البيان المعروفة ؛ لا يعني ذلك أنه لم يأت بصور كلية ترسم في لوحة متكاملة خارج التشبيه والاستعارة والكناية ...إلخ ، لقد برز في شعر أبي فراس لوحات فنية خارج إطار هذه الصور التقليدية ، لكنها كانت قليلة مقارنة بالصور التي اعتمد فيها على الصور البيانية المعهودة.

لقد استخدم أبو فراس عددا من الأدوات الفنية في تشكيل صوره ورسمها ، وأبرز هذه الأدوات ما يلي :

---

(١) أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره: ٣٧٧.

(٢) انظر : المثل السائر: ٤٦.

١ ــ التصوير بالتشبيه:

والتشبيه هو دلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ، ولم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، ولا الاستعارة بالكناية ، ولا التجريد[١] ، أو هو" بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر ، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة ، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه "[٢] .

والتشبيه من أكثر الفنون البيانية نظرا وعناية عند القدماء ، فهو " يزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيدا ؛ ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ،وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان"[٣] ، "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ..." [٤]

وأعلى عبد القاهر الجرجاني ذكره ، حيث يقول : " واعلم أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا.

---

(١) انظر :الإيضاح في علوم البلاغة : ١٨٨.

(٢) علم البيان ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ــ بيروت ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م ، ص ٦٢.

(٣) الصناعتين : ٢٤٢.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، ط١ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، ١/١٩٠، ١٩١ .

فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهــز للعطــف ، وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح ، وأغلب على الممتدح ، وأوجب شفاعة للمادح ، وأقضى له بغر المواهب والمنائح ، وأسير على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر..." [١] .

والتشبيه في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة كثير بلغ ما يقارب (٦٠) صورة تشبيهية ، أغلبها صور مفردة بسيطة ، بلغت نسبتها حوالي (٧٦،٣٥ %) ، وبقية الصور تتردد بين المركب والبليغ. وأكثر التشبيه في شعر أبي فــراس الذي صور سيف الدولة " تقليدي نهج فيه نهج سالفيه من الشعراء " [٢] ، فعندما يريد أن يصف سيف الدولة بعلو المكان حقيقة وقدرا ، يشبهه بالجبــل العــالي ، كقوله : [٣]

وَإِنَّــكَ لَلْجَبَلُ الْمُشْمَخِـــــــ ـــرُّ[٤] لِي بَلْ لِقَوْمِكَ بَلْ لِلْعَرَبْ

وقد يشبهه بالنجم ، كقوله : [٥]

وَإِنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَــدِي وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ الَّذِي بِكَ أَهْتَـــــدِي

ويشبه منزلة سيف الدولة ورفعته بالجوزاء ، ويشبه حلمه وسعة عفوه بالدهناء في قوله : [٦]

مَحلُّكَ الْجَوزَاءُ بَلْ أَرْفَـــــــعُ وَصَدْرُكَ الدَّهْنَـــاءُ بَلْ أَوْسَعُ

ويسير أبو فراس على نهج القدماء في تشبه الكريم بالبحر ، مثل قوله : [٧]

لَكَ بَحْرٌ مِنْ النَّدَى كُلُّ بَحْــــرٍ مِنْ بِحَارِ النَّــدَى لَدَيْهِ خَلِيــجُ

---

[١] أسرار البلاغة : ١١٥.

[٢] أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره: ٣٧٨.

[٣] الديــوان : ٢٥.

[٤] المشمخر : العالي ٠

[٥] الديوان : ٩٨.

[٦] نفســه : ٢١٣.

[٧] نفســه : ٧١.

ومن التشبيهات المعهودة التي وردت في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة تشبيهه جيش سيف الدولة بالأسود ، وبالرماح ، وبالسيوف ، في قوله:[١]

وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَـــــا ... كَمَا هَيَّجْتَ آسَــاداً غِضَابَـــا

أَسِنَّتُـــهُ إِذَا لاقَى طِعَانًـــــــا ... صَوَارِمُـــهُ إِذَا لاَقَى ضِرَابَـــا

فليس في جيش سيف الدولة جبان أو رعديد ، قد اصطفى كل شجاع يهب نفـسه سخية في المعارك ، فهم آساد بطشا وفتكا ، وهم رماح قوة وإصابة ، وهم سيوف مضاء وعزما.

" إن هذه التشبيهات مستمدة مما قاله الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي ، وهي مما حفظه أبو فراس ، ووعته ذاكرته ، ولا يبدو أثر الخيال فيها"[٢].

ولئن كان أبو فراس قد احتذى منهج القدماء في تشبيهاته ، فسلك طريقهم ، وأخذ مادتهم التصويرية كما وردت عندهم في بعض شعره ؛ فقد التقط صورا أخــرى أحسن توظيفها والإفادة منها بما أضافه عليها من حسه وذوقه وقدرته التصويرية ففي قوله مادحا سيف الدولة : [٣]

وَأَرْوَعُ جَيْشُهُ لَيْلٌ بَهِيمٌ ... وَغُرَّتُهُ عَمُودٌ مِنْ صَبَـــاحِ

صورة تشبيهية مركبة لو تجزأت لما كان لأبي فراس فيها فضل زيــادة ، لكنــه عندما ركبها أحسن فيها وسبق ، فهو يشبه سيف الدولة منطلقا وسط جيشه الكثيف الذي سار كليل بهيم بعمود من صباح يلحظه السائر، ويهتدي به ، ويعلم أن بعــد الليل فجرا يشرق بالنصر والغنيمة.

ومن الصور التي أحسن أبو فراس اقتناصها وتوظيفها قوله ، وهو يعاتب ســيف الدولة : [٤]

أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُهَـــا ... أَنْتَ بِلاَدٌ وَنَحْنُ أَجْبُلُهَـــا

---

[١] الديـــوان : ٣٤.

[٢] أبو فراس الحمداني : حياته وشعره : ٣٧٨.

[٣] الديــوان : ٧٨.

[٤] نفســـه : ٢٦٤.

أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابِلُـــهُ   أَنْتَ يَمِينٌ ، وَنَحْنُ أَنْمُلُهَـــا

فهذه صور تشبيهية متعددة على طريقة التشبيه المركب ،ففي كل شــطر تــشبيه مركب ، يشتمل كلا طرفيه على عناصر متعددة تتآزر معا لتشكل صورة مكتملة ، والصور ــ وإن كان التشبيه المركب قد حسنها ــ إلا أن لها جمالا آخر، يكمن في المعنى الذي سيقت لتبيينه وتوضيحه وتوكيده ، فأبو فراس يريــد أن يقــول لسيف الدولة : أنت بنا ونحن بك ، لا غنى لأحد منا عن الآخر ، فملكك لا يقوم بك مفردا ، ورعيتك لا يستغنون عن دهائك وشجاعتك ، فالــسماء لا تــزدان إلا بنجومها ، والبلاد لا تستقر إلا بجبالها ، والسحاب لا يطلب إلا لوابله ، واليــد لا تضرب ولا تأخذ الأشياء إلا بأناملها ، فما أحوج سيف الدولة لجنده ومنهم أبــو فراس !! وما أجمل اختفاء المعنى المباشر خلف هذه الصور!! .

ومن الصور التشبيهية التي اقتنصها أبو فراس من أسلافه وأحسن إيرادهــا ، قوله : [١]

هِيَ الرِّئَاسةُ لاَ تُقْنَى جَوَاهِرُهَا   حَتَى يُخَاضَ إِلَيْهَا الْموْتُ وَالْعَدَمُ
تَقَاعَسَ النَّاسُ عَنْهَا فَانْتَدَبْتَ لَهَا   كَالسَّيْــفِ لاَ نَكَلٌ فِيهِ وَلاَ سَــأَمُ

فسيف الدولة عندما انبرى لتحقيق مجد الحمدانيين في السيادة والرئاسة ، لم يبحث عنه في مواطن الدعة والسكون والأماني ، بل سار إلى مبتغاه بكل قــوة وبــأس كالسيف الباتر القاطع الذي لم يصبه ضعف ولا هوان.

ومن الصور البديعة التي وردت في شعر أبي فراس الذي صور به سيف الدولة قوله : [٢]

وَكُنَّا كَالسِهَامِ إِذَا أَصَابَتْ   مَرَامِيَهَا فَرَامِيْهَا أَصَابَا

فأبو فراس يشير إلى حسن اختيار سيف الدولة لجنوده ، فهو لا يختــار إلا كــل شجاع صنديد ، ثم يورد مراده في تشبيه يشير إلى هذه الدقة ، وهو ما أشار إليه عبد القاهر في قوله : " ألست تراه (التشبيه) عقليا عريقا في نسبه ، معترفا بقوة

---

[١] الديــوان : ٢٩١.
[٢] نفســـــه : ٣٤.

سببه ، وهو على ذلك من فرائد أبي فراس التي هو أبو عذرها ، والسابق إلى إثارة سرها" [١] ، وقال الثعالبي عنه : " هذا أحسن ما قيل في معناه ..." [٢].

وبالنظر إلى شعر أبي فراس الذي صور فيه سيف الدولة وجدت أن الصور المفردة البسيطة تغلب على هذا الشعر ، فأبو فراس يعمد إلى الصورة التي تقوم بنفسها دون مساندة من صور أخرى ، وقد سبق استعراض بعضها ، ومن غير ما سبق قوله : [٣]

كَمَا أَرَيْتَ بِبِيضُ أَنْتَ وَاهِبُهَا   عَلَى خُيُولِكَ خَاضُوا البَّحْرَ وَهُو دَمُ

فأبو فراس في معرض عتابه لسيف الدولة عندما استخلفه على بلاد الشام ، ورحل لقتال الروم[٤] ، يؤكد لسيف الدولة قدرته على القتال في كل جهة ، وأنه لا يصعب عليه نيل العدو في أي مكان ، لو خاض له بحرا من دم ، فأبو فراس يصور ماء البحر بالدم تأكيدا ومبالغة في قدرته الحربية.

ومن الصور المفردة البسيطة قوله : [٥]

فَدَى نَفْسَهُ بِابْنٍ عَلَيْهِ كَنَفْسِهِ   وَلِلشِدَّةِ الصَّمَّاءِ تُقْنَى الذَّخَائِرُ

فالشاعر صور مكانة ابن " الدمستق " في نفس أبيه بمنزلة نفسه ، فكلاهما عزيز رفيع .

ومنها قوله : [٦]

فَصَبَرتُ كَالْوَلَدِ التَّقِي لِبِرّهِ   أَغْضَى عَلَى أَلَمٍ لِضَرْبِ الْوَالِدِ

فأبو فراس يصور نفسه صابرا على إهمال سيف الدولة له بالولد التقي البار الذي لا يعق أباه ولا يعصيه حتى لو ناله منه أذى.

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٧٣.

(٢) يتيمة الدهر : ١ : ٦٣.

(٣) الديوان : ٢٩٩

(٤) انظر : نفسه : ٢٩٩

(٥) نفسه : ١٤٢.

(٦) نفسه : ١١٠.

وكما هو ملاحظ ، فالصور مفردة بسيطة ، وهي صور تقليدية لا جدة فيها ولا طرافة ، قصد منها أبو فراس إلى الإيضاح والبيان.

وكما حظيت الصورة المفردة بعناية أبي فراس في شعره الذي صور سيف الدولة ، فقد نالت الصور المركبة نصيبها من العناية إلا أنها كانت أقل نصيبا في حضورها ، وقد سبق ذكر طرف منها ، ومما لم يذكر قوله : [١]

وَصُنَّا نِسَاءً نَحْنُ أَوْلَى بِصَوْنِهَا   رَجَعْنَ وَلَمْ تُكْشَفْ لَهُنَّ سَتَائِرُ

يُنَادِينَهُ وَالْعِيسُ تُزْجَى كَأَنَّهَا   عَلَى شُرُفَاتِ الرُّومِ نَخْلٌ مَوَاقِرُ

أَلاَ إِنَّ مَنْ أَبْقَيْتَ يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ   عَبِيدُكَ مَا نَاحَ الْحَمَامُ السَّوَاجِرُ

فالبيت الثاني قد اشتمل على صورة مركبة ، وهي صورة العيس المثقلة بالمحاربين والعتاد تشبه في حركتها البطيئة نخلا مثقلات بالرطب ، لا تتحرك بالريح إلا بصعوبة . وقد يكون أراد أن يشبه عتاد الحرب وهو يتدلى من جوانب الإبل لثقله بالرطب يتدلى من جنبات النخل . وكلا المعنيين يدلان على ما استعد به الجيش من عدة ورجال.

ومن الصور المركبة قوله : [٢]

تَوَهَّمَتْكَ كِلاَبٌ غَيْرَ قَاصِدِهَا   وَقَدْ تَكَنَّفَكَ الأَعْدَاءُ وَالشُّغُلُ

حَتَّى رَأَوْكَ أَمَامَ الْجَيْشِ تَقْدُمُهُ   وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَا أَمِلُوا

فَاسْتَقْبَلُوكَ بِفُرْسَانٍ أَسِنَّتُهَا   سُودُ البَرَاقِعِ والأَكْوَارُ وَالْكِلَلُ

فأبو فراس يذكر مباغتة سيف الدولة لبني كلاب حينما خرجوا عليه مستغلين اشتغاله بحرب الروم فهجم عليهم وهم في غفلة عنه ، فولوا هاربين لا يلوون على شيء ، ولم يبق إلا النساء يدفعن عن الديار ، فقد صور الضعف الذي شاهده في منظر النساء راكبات على ظهور الإبل لاحقات الرجال الفارين ولا سلاح لهن إلا كونهن نساء منتقبات متسترات يعف جيش سيف الدولة عن أخذهن.

ومنها قوله : [١]

---

(١) الديوان : ١٤٤.

(٢) نفسه : ٢٥٧ ، ٢٥٨.

وَمَلَكْتَ حصْنَ عُيُونِ جَيْحَانٍ وَقَدْ		أَعْيَــا الْوَرَى فِي دَهْرِهِ الْمَتَقَــدِّمِ
وَأَخَذْتَهُ فَرَأَيْــتَ أَحْسَــنَ مَنْظَــرٍ		مِنْ سُــورِهِ الْمُتَهَتِّــكِ الْمُتَهَــدِّمِ
فَكَأَنَّمَا امْتَــدَّتْ يَمِينُــكَ صَاعِــدًا		فِي الْجَوِّ حَتَّى حُزْتَ بَعْضَ الأَنْجُمِ

فهو يصور ما حازه سيف الدولة من فتح " حصن عيون جيحان " الذي كان قد استعصى فتحه على السابقين ، بصورة من امتدت يده صاعدا إلى السماء لينال نجما عاليا لم يستطعه أحد قبله فناله.

لقد نوع أبو فراس صوره التشبيهية بين التشبيه البليغ والمرسل المقتــرن بأداة التشبيه ، ولم يلجأ إلى ذكر وجه الشبه فيما وقفت عليه من صــور إلا فــي مواضع قليلة جدا ، مثل قوله: (٢)

أَسِنَّتُــهُ إِذَا لاقَى طِعَانًــــــا		صَوارِمُــهُ إِذَا لاَقَى ضِرَابَــا

ولعل ترك أبي فراس لوجه الشبه فيما صور به سيف الدولة مغزى أراده ، وهو أن سيف الدولة أعلى من أن يقرن بوجه شبه قد يهضمه حقه ، فتــرك للــسامع والقارئ البحث عن وجه الشبه وتخيله إلى أقصى حدوده وزيادة.
وهناك صور أخرى سترد فيما يلي من حديث عن الصورة التشخيصية والحسية.

٢ / التصوير بالاستعارة :

وهي " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"(٣) ، ففي الاستعارة يذكر أحد طرفي التشبيه ، ويحذف الآخر ؛ فإن ذكر المشبه به فهــي الاستعارة المكنية ، وإذا ذكر المشبه وصرح به فهي الاستعارة التصريحية.

---

(١) الديــوان : ٣١٥.
(٢) نفســـــه : ٣٤.
(٣) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تحقيق : د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هــ ٢٠٠٠م ، ص٤٧٧.

والاستعارة فن بياني يعمد فيه الأديب إلى تجاوز التشبيه بما يضفيه على صورته من ادعاء التماهي بين المشبه والمشبه به ؛ لذلك كانت الاستعارة " من أدق أساليب البيان تعبيرا ، وأرقها تأثيرا ، وأجملها تصويرا ، وأكملها تأدية للمعنى ، ولا غرو فهي منبثقة عن التشبيه ... وهل هي في الأصل إلا تشبيه ولكنه تشبيه مضمر في النفس؟ "[١] .

إن التجربة الشعرية ، والحالة الشعورية هي التي فرضت على الأديب هذا التماهي حتى غدا المشبه هو عين المشبه به ، فرأى بالاستعارة " الجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحا ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية ... "[٢] ؛ ولذلك اكتسبت قيمة جمالية جعلت منها تعبيرا قادرا على نقل حالة شعورية يحياها الأديب من خلال تصورات سياقية ، وعلاقات لغوية جديدة تربط بين أطراف الجملة فعلا وفاعلا ومفعولا وشبه جملة وصفة وحالا ومبتدأ وخبرا[٣] ؛ لتصبح بذلك مجالا للروابط الجديدة كما يخلقها الخيال[٤].

والصورة الاستعارية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة تغلب على الصورة التشبيهية ، فقد بلغت ما يقارب (٢٥٠) صورة استعارية ، أغلبها استعارات مكنية ، بنسبة تقترب من (٨٢%) ، وهي استعارات في غالبها تقوم على صور تقليدية نهلها أبو فراس من معين الأدب القديم الذي حواه صدره ، فعندما يخاطب سيف الدولة بقوله :[٥]

أَسَيْفَ الْعِدَى وَقَرِيعَ الْعَرَبْ عَلامَ الْجَفَاءُ وَفِيمَ الْغَضَبْ؟

يصور سيف الدولة (علي بن عبد الله) بالسيف الذي ينقض على الأعداء فيفرق جمعهم ، ويرد كيدهم ، ويستخلص الأسرى من أيديهم ، ومنهم أبو فراس ،

---

(١) البلاغة ، فنونها وأفنانها ، علم البيان والبديع ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط٧ ، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م ، ص١٥٨.

(٢) أسرار البلاغة : ٤٣.

(٣) انظر : جماليات الأسلوب : ١١٤.

(٤) انظر : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري : ٢٤.

(٥) الديوان : ٢٤.

والصورة استعارية تصريحية ، حيث ذكر المشبه به وهو السيف ، وحذف المشبه وهو الأمير ، وإضافة السيف إلى العدى إضافة اختصاص ، إذ هو مختص بقتال الأعداء ، لا تمتد منه يد إلى صاحب. والصورة تقليدية تحاكي ما سنته العرب من تصوير الشجاع بالسيف في مضائه وعزمه.

ومن الصور الاستعارية التي ظهرت في شعر أبي فراس تصويره الشيء يهجم عليه فيصعب رده بالحيوان المفترس له ناب وظفر ، مثل قولـــه:[١]

وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيعَـــةٌ وَلِلْمَوتِ ظُفُرٌ قَدْ أَطَــلَّ وَنابُ

فسيف الدولة يتأخر عن فداء أبي فراس بينما الموت مسرع لا يتأخر قــد سن أظفاره وأنيابه للهجوم على أبي فراس.

ومن الصور التقليدية الدارجة في الشعر ، تصوير الخد بصورة الثــوب الجديــد يصيبه البلى مما انسكب عليه من الدموع ، ومن ذلك في شعر أبي فراس: [٢]

قِيلَ لِي إِنَّكَ اعْتَلَلْتَ فَأَبْلَيْـــــــ ــــتُ جَدِيدَ الْخَدَّيْنِ بِالْعَبَرَاتِ

والصورة وإن كانت تقليدية موروثة في أصـــلها إلا أن طبـــاق الاشـــتقاق فـــي (أبليت) و(جديد) قد خرجت قليلا بالصورة من دائرة التقليد.

ومن الصور الموروثة قول أبي فراس : [٣]

وَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ جَرَتْ بِفِرَاقِنَـــــا يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ مَنْ هُوَ حَارِثُ
يُذَّكِرُنَا بُعْدُ الْفِرَاقِ عُهُـــــــودَهُ وَتِلْكَ عُهُودٌ قَدْ بَلِينَ رَثَائِـــــــثُ

فتصوير الدهر بالإنسان يفتك بيده ويبطش بها ، وتصوير العهود بالثياب الباليـــة الرثة صورتان تناوبها الشعراء قبل أبي فراس حتى دخلت في دائـــرة الـــصور المألوفة .

---

[١] الديـــوان : ٤٧.

[٢] نفســـــه : ٦٤.

[٣] نفســـــه : ٦٧.

ومن استعارات أبي فراس ، تصويره الهم بالماء البارد ، حذف المشبه به (الماء) وأشار إليه بشيء من لوازمه (كأس) و(صارد) ، وهي استعارة مكنية ، وذلك في قوله : [١]

وَنَقَضْتُ عَهْدًا كَيْفَ لِي بِوَفَائِهِ   وَسُقِيتُ دُونَكَ كَأْسَ هَمٍّ صَارِدِ

ومن استعاراته التي تدخل في التقليد قوله : [٢]

دَعِ الْعَبَرَاتِ تَنْهَمِرُ انْهِمَـــارًا   وَنَارَ الْوَجْدِ تَسْتَعِـــرُ اسْتِعَــــارًا

فتصويره الدموع بالماء المدرار ، وحرارة الوجد بالنار صورتان مبتذلتان أتى عليهما الشعراء ، وإن كان قد حاول أن يحسن من حالهما من خلال تعزيـــز الصورة الأولى بالثانية ، و بالتجنيس لكنهما لم يخرجا كثيرا عن دائرة الابتذال ، فما زال الشعراء يردون عليهما حتى كادوا يشتفونهما.

وأبو فراس ليس شاعرا تقليديا ، يأتي شعره بغير دراية ودربة فهو شاعر موهوب يتصرف في ملكته الشعرية كيفما شاء ، لكن حياته المليئة بالقتال ثم ما أتبع ذلــك من الأسر ثم لم يلبث كثيرا بعد فدائه حتى قتل ؛ كل ذلك شعر من شعره معرضا لموروثاته ومحفوظاته الشعرية ، ولو أتيح له أن يجود شعره لخرج أكثر جمـــالا وإبهارا ، ومع ذلك فقد رأينا له فرائد في شعره تنم عن اقتدار كبير وقدرة عالية في إتيان الشعر وورده ، فنجده في كثير من صـــوره الفنيـــة ومنهـــا الـــصور الاستعارية يشعر بابتذالها فيحاول إخراجها في حلة جديدة ، فــ " قد تكون وسيلة الشاعر إلى التصرف في بعض الصور الاستعارية المألوفة أن يزخرف الصورة ببعض الصنيع البديعي الذي يكون له إسهامه الواضح في إنتاج دلالة الـــصورة الاستعارية على الرغم من بساطة تشكيلها، وذلك مثل قوله في تعزية سيف الدولة في وفاة ولده :[٣]

يَبْكِي الرِّجَالُ وَسَيْفُ الدِّينِ مُبْتَسِمٌ   حَتَى عَن ابْنِكَ تُعْطَى الصَّبْرَ يَا جَبَلُ

---

[١] الديـــوان : ١١٠.

[٢] نفســـــه : ١١٩.

[٣] نفســـــه : ٢٤٥.

فهو يستعير هنا الجبل لتصوير سيف الدولة في قوة صبره وتجلـــده أمـــام الحادث الجلل الذي ألم به، وهي صورة عادية ساذجة ولكن الشاعر يضفي عليها لونا من الابتكار والطرافة حين يدعمها بذلك الطباق في الشطر الأول من البيـــت الذي يصور فيه الرجال وهم يبكون لمصاب سيف الدولة على حين يبتـــسم هـــو صابرا محتسبا أمام الرزايا، صامداً كالطيور الراسخ، وهو يصوغ الصورة فـــي ذلك الأسلوب الاستفهامي التعجبي الذي يزيد من ثراء الصورة ويـــضاعف مـــن إيحاءاتها. ولاشك أن هذه الصورة على بساطتها أعمق تأثيرا وأحفل بالجمال الفني من بعض الاستعارات الأخرى"(١)

ومن الصور الاستعارية التقليدية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولـــة قوله: (٢)

يَا ضَارِبَ الْجَيْشِ بِي فِي وَسْطِ مَفْرِقِهِ   لَقَدْ ضَرَبْتَ بِنَفْسِ الصَّارِمِ الْعَضِبِ

فهنا صورتان استعاريتان ، الأولى تصويره جيش العدو بصورة الرجـــل، والثانية ، تصويره لنفسه بصورة السيف البتار يضرب به سيف الدولـــة مفـــرق الجيش / الرجل المقابل ، وهاتان الصورتان في أصلهما تقليديتان لكن تركيبهمـــا وتآزرهما في إخراج صورة كلية حسنهما وأخرجهما من دائرة التقليدية.

وأبو فراس يلجأ إلى تقوية الصور ببعضها ليخرج بها من سياق التقليديـــة إلـــى الإبهار الفني من خلال تلاحق الصور الاستعارية داخل البيت الشعري ، فمن ذلك قوله : (٣)

وَفِي إِرْضَاكَ إِغْضَابُ الْعَوَالِي   وَإِكْرَاهُ الْمَنَاصِلِ وَالنِّصَالِ

فهنا صورتان متحدتان معنى ، الثانية تقوي الأولى ، حيث جعل الرمـــاح والسيوف تغضب ، وتضرب مكرهة من طول القتال بها في صورة إنسان ، ثـــم زين سياق الصورتين بالطباق والجناس والتصريع ليزيد حسن الصورة.

---

(١) الصورة الفنية في قصيدة أبي فراس الحمداني ، دورة (أبو فراس الحمداني) ص٢٣٥.

(٢) الديـــوان : ٦١.

(٣) نفســـــه : ٢٧٠.

ومن تآزر الصور الاستعارية داخل البيت الشعري قوله : [١]

هِيَ الرِّئَاسةُ لاَ تُقْنَى جَوَاهِرُهَا   حَتَى يُخَاضَ إِلَيْهَا الْموْتُ وَالْعَدَمُ

فقد صور الرئاسة بصورة المرأة الحسناء ذات الحلي والجوهر ، وجعل ما يحاط بالملك من نعمة وأبهة في صورة الجواهر التي يسعى لها ، وليس الوصول إليها سهلا مستطاعا لكل أحد ، فمن أجلها تراق الدماء ، وتزهق الأنفس ، وتبذل الأموال ، وقد صور الموت بصورة الماء والوحل الذي يصعب اجتيازه إلا على ذي همة وقوة ودراية بفنون القتال والنزال .

لقد حشد الصور الاستعارية بطريقة تركيبية فائقة كونت معنى فريدا جميلا.

ومن صور أبي فراس الاستعارية المركبة قوله : [٢]

بَنَى لنَا العزَّ مَرفُوعًا دَعَائِمُــهُ   وَشَيَّــدَ المَجْــدَ مُشْتَدا مَرَائِرُهُ

فالعز الذي تحصله سيف الدولة له ولبني حمدان بناء عال قوي الأركان واضح المعالم ، والمجد الذي حازه سيف الدولة لنفسه ولبني حمدان بناء محكم تام الإحكام.

وهكذا أخرج لنا أبو فراس معاني العز والقوة والمجد في صور خيالية محكمة النسج حلقت بنا بعيدا في فضاءات من الفن الشعري الممتزج بنفس أبي فراس المعجبة بسيف الدولة.

وكما رأينا في التشبيه أن كثيرا منه يقوم على صور مفردة دون مؤازرة من صور أخرى ، يظهر ذلك جليا في صور أبي فراس الاستعارية ، حيث تقوم الصورة بوظيفتها دون مشاركة صورة أخرى ، وقد سبق ذكر طرف منها ، ومنها كذلك تصويره نفوس الأعداء بعرض التجارة تشرى وتباع في قوله: [٣]

شَرَيْنَا وَبِعْنَا بِالسُّيُوفِ نُفُوسَهُمْ   وَنَحْنُ أُنَاسٌ بِالسُّيُوفِ نُتَاجِــرُ

---

[١] الديوان : ٢٩١.

[٢] نفسه : ١٧٥.

[٣] نفسه : ١٤٤.

فتصوير النفوس بالعرض يباع ويشرى صورة جميلة ، تدل على خبـرة كبيـرة وممارسة عالية لفنون القتال ، وتدل على استسهال للحرب.

ومثلها فيما قامت به من وظيفة مفردة قوله : [١]

يَا مَنْ رَأَى لِي بِحِصْنِ خَرْشَنَةٍ أُسْدَ شَرًى فِي القُيُودِ أَرْجُلُهَا

فهو يذكر حاله وحال من معه من الأسرى في سجون الروم وما حل بهـم مـن هوان وضعة ، وأنهم ليسوا كأي أحد فهم أسود حرب ليس مكانهم الحبس ، بـل مكانهم ساحات الوغى وموطن النزال.

فكلا الصورتين في البيتين السابقين قامتا بأداء عملهما مفردتين دون مؤازرة من صور أخرى ، ومثلهما قوله : [٢]

وَأَنْتَ أَرَيْتَنِي خَوضَ الْمَنَايَا وَضَرِبِي تَحتَ هَبْوات الْقِتَالِ

فقد صور المنايا بصورة الماء العميق يخوضه أبو فـراس عـن معرفـة ودراية وهي صورة مفردة قامت بوظيفتها دون مساندة ، وأدت المعنـى بـشكل جيد.

وعندما ننظر إلى صور أبي فراس الاستعارية نراها تتكرر فـي شـعره الذي صور فيه سيف الدولة مادحا أو معاتبا ، فالشجعان أسود ، والمجد والعـز بنيان عال مرتفع ، والموت ماء عكر يخاض ، وحيوان مفترس له أظفار وانياب ويدخل في التصوير بالاستعارة ما يطلق عليه (الصورة الحـسية ، والـصورة التشخيصية) وسأتحدث عنها مستقلة فيما يلي :

- **الصورة الحسية :**

وهي " تعبير عن حالة أو حدث بأجزائها أو مظاهرها المحسوسة "[٣] فهي بـذلك صورة " طرفاها محسوسان ، يؤدي التراسل بينهما وظيفة إيحائية قد تقوم علـى

---

[١] الديـوان : ٢٦٣ ، شرى : طريق في سلمى كثيرة الأسود ، (القاموس المحيط : شري).

[٢] الديـوان : ٢٧٠.

[٣] فصول في النقد : ١٦٣.

انحراف عن الواقع ، أو على مطابقة للواقع . والانحراف يمنح الصورة شحنة شعرية لا تتوفر في المطابقة "[١] ، وللصورة الحسية دوران كبير في الشعر العربي ، لاحظها البلاغيون والنقاد العرب ، يقول عبد القاهر الجرجاني عنها :" تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه ، وبالحلقة في وجه آخر ، وكالتشبيه من جهة اللون ، كتشبيه الخدود بالورد ، والشعر بالليل ، والوجه بالنهار ... أو جمع الصورة واللون معا ، كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور ، والنرجس بمداهن در حشوهن عقيق ... وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس ، نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره ...وكتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر ، وتشبيه اللين الناعم بالخز ، والخشن بالمسح ، أو رائحة بعض الرياحين رائحة الكافور ، أو رائحة بعضها ببعض كما لا يخفى "[٢].

وحاول النقد المعاصر أن يخرج بأنماط الصورة الحسية إلى آفاق أوسع في الدراسة والتحليل ، واستفادوا في ذلك من علم النفس ، فمن أنماط الصورة الحسية التي توسع النقد الحديث في دراستها والعناية بها " الصورة البصرية، وتقسم أقساما تبعا للإشراق والوضوح ، واللون والحركة ، والصورة السمعية، والصورة الشمية ، والصورة الذوقية ، والصورة اللمسية ، وتقسم تبعا للحرارة والبرودة والنسيج ..." [٣] .

وبالنظر إلى هذه الأقسام في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، نجدها تتفاوت حضورا وعدما ، وسأتناولها مرتبة بحسب حضورها في شعره الذي صور سيف الدولة :

---

[١] شعر أبي فراس الحمداني دلالاته وخصائصه الفنية : ٢٢٩

[٢] أسرار البلاغة : ٩٠ ــ ٩١.

[٣] فصول في النقد : ١٦٨.

أ / الصورة البصرية :

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة البصر في رسم معالمها ، والإحساس بها ، وهي أكثر الصور الحسية دورانا في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، وتعود أهميتها ، والعناية بها إلى أهمية حاسة البصر نفسها ، فحاسة البصر من أكثر الحواس تنقلا بين مباهج الطبيعة ، ومتابعة لما يدور من أحداث . وعندما يكثر أبو فراس من استخدامها ؛ فلأنه عايش الأحداث عيانا فصورها كما شاهدها معتمدا على هذه الحاسة ، ومن أمثلتها قوله : (١)

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي   أَضْحَى لِذَيْلِ الْمَجْدِ سَاحِبْ
نُتِجَ الرَّبِيعُ مَحَاسِناً   أَلْقَحْنَهُ غُرُّ السَّحَائِبْ
رَاعَ الْعُيُونَ بِحُسْنِهَا   تَحْكِي لَنَا خَدَّ الْحَبَائِبْ

ففي الأبيات مجموعة من الصور الحسية البصرية ، فرداء سيف الدولة هو المجد ، وللمجد ذيل يشاهده كل أحد يجره سيف الدولة ، ومجلس سيف الدولة ربيع بما ينعم به منادموه وجلاسه من خير وفير ، وهذا الربيع زاد حسنه وبهاؤه ما أصابه من السماء من ماء مريع ، وفيه كل ما يبهج العين من حسن، حتى كأنه قد ازدان بالندى الصافي الجميل .

ومن الصور البصرية قوله : (٢)

أَشُقُّ وَرَاءَهُ الجَيّشَ الْمُعَبَّا   وَأَخْرُقُ بَعدَهُ الرَّهَجَ الْمُثَارَا

فتصويره للغبار المنتشر من آثار مرور الجيش بالستار الكثيف ، وأبو فراس يخرقه مارا من خلاله ، صورة حسية بصرية.

ومن أمثلة ذلك قوله : (٣)

تَخِرُّ لَنَا تِلكَ الْمَعَاقِلُ سُجَّدًا   وَتَرمِي لَنَا بِالأَهْلِ تِلْكَ الْمَطَامِرُ

---

(١) الديوان : ٢٩.

(٢) نفسه : ١٢٠.

(٣) نفسه : ١٤١.

فهذه الصورة الشعرية تصور لنا ما بلغه الأعداء من مهانة وذل في عقر دارهم ، وكيف أحكم عليها سيف الدولة قبضته ، حتى استقبلته صاغرة ذليلة ، وتصور كذلك خروج الأعداء من أرضهم ، وكيف صور الأرض وهي تخرج أهلها للقاء سيف الدولة ، وهي صورة حسية بصرية مشاهدة.

ومن أمثلة الصورة البصرية ، قوله : (١)

بَنَى لنَا العزَّ مَرْفُوعًا دَعَائِمُهُ وَشَيَّدَ المَجْدَ مُشْتَدّاً مَرَائِرُهُ

فتصويره للعز الذي بلغه بنو حمدان في ملك سيف الدولة ، والمجد الذي كسبوه وحازوه بالبناء العالي القوي ، صورة حسية بصرية.

والصور البصرية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة كثيرة ، ومنها: (٢)

وَلَوْ أَنَّنِي أَكْنَنْتُهُ فِي جَوَانِحِي لأَوْرَقَ مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ وَفَرَّعَا

فإيراق ما بين ضلوع الشاعر ، ثم نموها حبا وأنسا بسيف الدولة صورة بصرية تدل على عظيم ما يكنه أبو فراس لأميره.

ب / الصورة الذوقية :

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة الذوق في رسم الصورة والإحساس بها ، وهي الصورة الأكثر شيوعا في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، بعد الصورة البصرية ، ومن أمثلتها قوله : (٣)

سَقَى أَرْسَنَاسًا مِثْلَهُ مِنْ دِمَائِهِمْ عَشِيَّةَ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ الْحَنَاجِرُ

فتصويره الدماء تجري بغزارة في نهر أرسناس ، دلالة على ما أصاب العدو من قتل وسفح دماء ، حتى وصل النهر ، وسقاه ، وفيه إشادة بقوة الجيش الذي يقوده سيف الدولة. والصورة ذوقية ، فالسقيا يشعر العطشان بها أكثر من خلال ذوقها .

(١) الديوان : ١٧٥.

(٢) نفسه : ٢٠٩.

(٣) نفسه : ١٤٠.

ومن أمثلة ذلك : [١]

أَمَرَّ عَلَيْهِمُ خَوْفَاً وَأَمْنًا   أَذَاقَهُمُ بِهِ أَرِياً ، وَصَابَا

فأبو فراس يذكر ما أحله سيف الدولة بالقبائل من هزائم عندما خرجوا عليه ليؤدبهم ، ثم ما من به عليهم من العفو بعد ذلك ، فصور الخوف بالشيء شديد المرارة ، وصور الأمن بالعسل ، وهما صورتان حسيتان ذوقيتان.

ومن أمثلتها قوله : [٢]

وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَطَاعِمِ طَاعِمٌ   وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَشَارِبِ شَارِبُ

في البيت إشارة إلى إباء أبي فراس وعزة نفسه ، فهو لا يرضى أن يعيش تحت سطوة العدو وإن أكرمه ، فحياته قد بذلها لسيف الدولة ولا يرضى بغير تلك الحياة. والصورة وإن كان أصلها كنائية إلا إن الطعام والشراب حقيقة مما يذاق ويشعر به من خلال الفم .

ومنها قوله : [٣]

وَنَقَضتَ عَهْدًا كَيْفَ لِيَّ بِوَفَائِهِ   وَشَرِبْتُ دُونَكَ كَأْسَ هَمٍ صَارِدِ

فتصوير الهم بصورة الماء الموضوع في كأس ، وقد شربه أبو فراس ، تصوير حسي ذوقي ، فإن تخلف أبي فراس عن المسير مع سيف الدولة قد أحل عليه هذا الهم تجرعه أبو فراس تجرعا.

ومن ذلك قوله : [٤]

وَسَائِلْ قُشَيْرًا حِينَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا   أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْسًا مِنْ الْمَوتِ أَحْمَرَا

فقد جعل الموت ماء يشرب ، ومهد له بقوله " جفت حلوقهم " والذي يجف حلقه عطشا يتلهف للشرب ، لكن سيف الدولة وجنوده ، ومنهم أبو فراس قد بلوا عطشهم بالدم لا بالماء ، والصورة حسية ذوقية كما هو ملاحظ.

---

[١] الديوان : ٣٧.

[٢] نفسه : ٤٢.

[٣] نفسه : ١١٠.

[٤] نفسه : ١١٧.

ومن الصور الذوقية ، قوله : [1]

لَمْ أَرْوِ مِنْهُ وَلاَ شَفَيْـــــــــــ ـــتُ بِطُولِ خِدْمَتِهِ غَلِيْلِي

فأبو فراس في مخاطباته لسيف الدولة طمعا في فدائه ، يلين في بعض ويحتد في بعض ، وهو في هذا البيت وما صاحبه من أبيات في القصيدة يخاطب سيف الدولة بلين ، ويستعطفه ، ويذكر أنه ما أروى غليله ولا شفاه من خدمة سيف الدولة ، فما زال فيه بقية يحب أن يبذلها لأميره تتمة لما مضى من خدمة . وإرواء الغليل صورة حسية ذوقية .

ومنها : [2]

يَا أُمَّتَــا هَــذِهِ مَــوَارِدُنَــا نَعُلُّــهَــا تَارَةً وَنَنْــهِلُــهَا

أبو فراس يخاطب أمه ، ويصبرها على فراقه ، ويهدئ روعها عليه ، ويلجأ في ذلك إلى الحكمة والاتعاظ ، فما كتبه الله على المرء سيصيبه لا محالة ، فلا مفر ولا مهرب ، وقد صور أبو فراس الأقدار المكتوبة على المرء بصورة مورد الماء الذي يرده الجميع ، فمنهم من يشرب من أوله ، ومنهم من يشرب من آخره ، ومنهم من يعل ، ولا بد للجميع أن يشربوا . والشرب في البيت صورة حسية ذوقية.

ج / الصورة اللمسية :

وهي الصورة التي يعتمد فيها الشاعر على حاسة اللمس ، وتأتي بعد الصورة الذوقية في حضورها في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة .

فمنها قوله : [3]

أَحْرَقْتَ أَهْلِيهَا بِهَا فَتَرَكْتَهُـــــــمْ فِي جَمْرِهَا الْمُتَلَهِّبِ الْمُتَضَــرِّمِ

فَكَأَنَّمَا عَجَّلْتَ مَا قَــدْ أُوعِــدُوا يَوْمَ الْقِيَامَــةِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّــمِ

---

(١) الديــوان : ٢٧٤.

(٢) نفســـه : ٢٦٣.

(٣) نفســـه : ٣١٥.

فأبو فراس يذكر ما فعله سيف الدولة بأهل " صارخة " عندما غــزاهم وأحــرق عليهم ديارهم ، ويصور قوة اشتعال النيران فيها ، وإهلاكها أهلها بعــذاب يــوم القيامة ، فقد عجل لهم سيف الدولة عذابهم ، وأحله عليهم في أرضهم ، والصورة في البيت وإن كان فيها شيء من الصورة البصرية بمشاهدة النيران تحترق فــي جنبات " صارخة " إلا أن إحساسهم بالنار واشتعالها في جلودهم صــورة حــسية لمسية. ومنها قوله : (١)

أَلَمْ تَرَ أَنْي فِيكَ صَافَحْتُ حَدَّهَا   وَفِيكَ شَرِبْتُ الْمَوتَ غَيْرَ مُصَرَّدِ

فأبو فراس في معرض عتابه لسيف الدولة على تأخره عن افتدائه ، يذكره بالمواقف الرائعة التي وقفها أبو فراس مع أميره ، من قتال للأعداء ، وتعــرض للموت ، وكل ذلك لأجل سيف الدولة لا لشيء آخر ، ومادام هذا البذل قد خص الأمير أفلا يستحق أبو فراس أن يعامل بمثل صنيعه . وفــي البيــت صــورتان حسيتان : لمسية في قوله " صافحت حدها " ، وذوقية في قوله " شربت الموت ".

ومن الصور الحسية اللمسية ، قوله : (٢)

دَعِ الْعَبَرَاتِ تَنْهَمِرُ انْهِمَــارَا   وَنَارَ الْوَجْدِ تَسْتَعِــرُ اسْتِعَـــارَا

في البيت صورتان حسيتان : صورة بصرية فــي قولــه " تنهمــر انهمــارا " ، وصورة لمسية في قوله " تستعر استعارا " فتسعر النار ويشعر بــه مــن خــلال اللمس مع عدم رؤيته ، وقد تتشارك حاستا البصر واللمس في الشعور به.

د / الصورة السمعية :

(١) نفســـه : ٩٨.

(٢) نفســـه : ١١٩.

و هي الصورة التي تدرك بحاسة السمع ، وتكاد تكون نادرة في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، ففي قوله : [١]

قَدّ ضَجَّ جَيْشُكَ مِنْ طُولِ القِتَالِ بِهِ   وَقدْ شَكَتْكَ إِلَيْنَا الخَيْلُ وَالإِبِلُ

صور الخيل والإبل شاكية ما أصابها من إقدام سـيف الدولـة فـي المعـارك ، ومواصلته لها ، حتى أصابها من التعب والإعياء ما أصاب الجيش ، فضجت معه شاكية متألمة.

هـ / الصورة الشمية :

وهي الصورة التي يعتمد الشاعر على حاسة الشم في رسمه لها ، وهي كالصورة السمعية ، تكاد تكون نادرة في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، ففـي قوله : [٢]

وَمَا دَامَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْقَرْمُ بَاقِيًـا   فَظِلُّكِ فَيَّاحُ الْجَنَـابِ ظَلِيـلُ

فأبو فراس يصور ظل سيف الدولة ، والعيش معه بالروضة الغناء ذات الرائحة الزكية ، التي يشتاقها، ويستمتع بها كل أحد ، والصورة هنا شمية ، وقد نلحظ فيها صورة بصرية من خلال مشاهدة ما في هذه الروضة من أشجار وظلال .

• الصورة التشخيصية :

---

[١] الديـوان : ٢٥٧.

[٢] نفسـه : ٢٥٥.

التشخيص هو " إسباغ الحياة الإنسانية على الأشياء ... حيث يتخيل الشاعر عناصر الطبيعة ... تشاركه مشاعره ، فتفرح لفرحه ، وتحزن لحزنه "[١] ، أو هو "إبراز المعاني المجردة، ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات حية تتحرك وتحس وتتنفس "[٢] ، والفرق بين التعريفين ، أن الأول يشترط تحويل الأشياء إلى هيئة إنسان فقط ، بينما الثاني ، يرى أن مجرد تحويل هذه المجردات إلى كائن حي يحس ويتنفس كاف لتسمية الصورة تشخيصا ، والتشخيص هو "الأداة الأساسية في تشكيل الصورة التشخيصية وإكسابها كل تفردها وطاقتها الإيحائية"[٣] . وسأتناول الصورة التشخيصية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة من خلال مفهوم التعريف الثاني ؛ لسعته ، ولأن كثيرا من الدراسات النقدية التي تناولت التشخيص قد درسته من هذا الجانب .

" والصور التشخيصية مبثوثة بشكل واضح في ديوان أبي فراس، ومعظم هذه الصور يتسم بما يسم صور الشاعر بكل أنماطها من بساطة في التركيب وعفوية ماكرة توهم أن هذه الصور تأتي الشاعر عفوا "[٤]. فمن أمثلتها قول الشاعر : [٥]

وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيعَـــةٌ   وَلِلْمَوتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطَــلَّ وَنَابُ

فأبو فراس يطلب الإسراع إلى فدائه قبل أن يخترمه الموت ، فالمنايا لا تستأذن أحدا ، ثم يصور الشاعر الموت بصورة حيوان له ظفر وناب يستعد للهجوم عليه ، ويطلب من سيف الدولة المبادرة إلى تخليصه من هذا الوحش الكاسر.

ومن التشخيص قوله : [٦]

---

[١] المعجم المفصل في اللغة والأدب ، حرف التاء ، (التشخيص)

[٢] الصورة الفنية في قصيدة أبي فراس الحمداني ، دورة (أبو فراس الحمداني) ، ص ٢٣٦.

[٣] نفســـــه : ٢٣٧.

[٤] نفســـــه : ٢٣٨.

[٥] الديـــوان : ٤٧.

[٦] الديـــوان : ٦٧.

وَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ جَرَتْ بِفِرَاقِنَـــا يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ مَنْ هُوَ حَارِثُ

فهنا صورة تشخيصية صورت الدهر في صورة إنسان بذل جهده في الوقيعة بين أبي فراس وسيف الدولة ، وحين استطاع الدهر التفريق بينهما نسي سيف الدولة كل الأيام الماضية التي بذل فيها الشاعر نفسه فداء لأميره ، وبعد أن كان يقال : أين أبو فراس ، أصبح يقال : من هو حارث ؟!.

ومنها ، قوله : (١)

وَأَنْقَذَ مَنْ مَسِّ الحَدِيدِ وَثِقْلِهِ أَبَا وَائِلٍ وَالْدَّهْرُ أَجْدَعُ صَاغِرُ

فصور الدهر بصورة الإنسان الأجدع الصاغر الذي لم يستطع أن يفـرح كثيرا بأسر " أبي وائل " ، فقد بادر سيف الدولة إلى إنقاذه ، واستخلاصه من يد عدوه.

ومن الصور التشخيصية ، قول الشاعر : (٢)

فَلَمَّا مَضَى عَصْرُ الشَّبِيبَةِ كُلُّـهُ وَفَارَقَنِي شَرْخُ الشَّبَابِ مُوَدِّعَـا

تطَلَّبْتُ بَيْنَ الْهَجْرِ وَالْعَتْبِ فُرْجَةً فَحَاوَلْتُ أَمْراً لا يُرَامُ مُمَنَّعَـا

ففي البيت الأول صورة تشخيصية ، حيث شخص الشاعر شرخ الشباب في صورة إنسان يرتحل عنه مودعا ، ليذكر سيف الدولة بذلك العمر الذي ذهب إلى غير رجعة ، ولكن أين بذله ؟ وفيمن أذهبه ؟ لقد بذل ذلك العصر الجميل في الدفاع عن سيف الدولة ، وترسيخ دعائم ملكه ، فهل يكون جزاؤه ــ بعد أن ودعه ذلك العمر الزاهي في خدمة الأمير ــ النكران والتقريع ؟!

ومثله قوله : (٣)

وَهَا أَنَا قَدْ حَلَّى الزَمَانُ مَفَارِقِي وَتَوَّجَنِي بِالشَّيب تَاجَا مُرَصَّعا

فالزمان شخص يضع الحلي على مفرق أبي فراس ، والشيب تاج غير مستحب.

---

(١) نفســه : ١٤٣.

(٢) نفســه : ٢٠٨.

(٣) نفســه : ٢٠٩.

فالصورة التشخيصية تبرز ما فعله الزمان بأبي فراس ، وما ناله منه ، فإن كان سيف الدولة قد تتوج بتاج الملك حقيقة ، وكان أبو فراس ساعده ومعينه في ذلك ، فإن تاج أبي فراس ليس كتاج سيف الدولة.

ومن الصور التجسيمية ، قول أبي فراس : [١]

نَخِفُّ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْنَا أُمُورُنَا   بِأَبْيَضَ وَجهِ الرَّأيِ وَالْخَطْبُ مُظْلِمُ

فهنا صورة تشخيصية ، تبرز ما كان يتصف به سيف الدولة من رأي سديد حتى في أحرج الظروف وأشدها ألما ، وتشتيتا للفكر ، ومجانبة للصواب ، ومع ذلك يظل سيف الدولة محتفظا برزانته ، وسداد رأيه ، فصور أبو فراس سداد الأمير في رأيه بصورة الرجل الجميل الأبيض .

٣ / التصوير بالكناية :

وهي الصورة التي تعتمد على الفن البياني (الكناية) ، والكناية " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ "[٢] . قال عبد القاهر الجرجاني :" والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره بالمعنى الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلا عليه . مثال ذلك ، قولهم : " هو طويل النجاد " يريدون طويل القامة ، و " كثير رماد القدر " يعنون ، كثير القرى ، وفي المرأة ، " نؤوم الضحى " والمراد أنها مترفة مخدومة ،لها من يكفيها أمرها ، فقد أرادوا في هذا كله ، كما ترى ، معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان . أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر ؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ، ردف ذلك أن تنام في الضحى ؟

---

[١] الديوان : ٢٩٦.

[٢] الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٧٣.

"[1] ، والكناية ثلاثة أقسام : كناية عن صفة ، وكناية عن موصوف ، وكناية عن نسبة[2] ، والكناية تستعين " بالمحسوسات في غالب حالاتها ... وتسعى من ثم إلى بلوغ أبعاد حسية أخرى في الدلالة الأبعد ، أو إلى الوصول إلى القيم المجـــردة ، وهو كل ما خرج من إهاب الحسية المباشرة (الذهني ، النفــسي) ، فالتـــصور المجمل يدخل في التجريد وإن التبس بطرف الحسية "[3] .

ومما سبق يتضح لنا أن كثيرا من البلاغيين لا يعدون الكناية من المجاز ،ذلك أن " الكناية يمكن إرادة المعنى الأصلي فيها، على حين أن المجاز لا يمكن معه إرادة المعنى الأصلي. بل لابد أن توجد فيه قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى، ومن ثم فإن الصورة الكنائية هي أقرب أنماط الصورة إلى التعبيـــر المباشـــر الفطـــري، وكثيرا ما تمتزج الكناية بالدلالة الحقيقية للصورة، ولكن هذا كله لا يعنـــي فـــي النهاية أن الصورة الكنائية أقل في مستواها الفني من بقية أنماط الـــصورة التـــي تحفل بالصنعة، بل إنها كثيرا ما تكون أقرب إلى الوجدان بجمالها الهادئ الوديع، فضلا عن أنها تعطي عدة مستويات دلالية يتوالد بعضها من بعض، بدءاً بالدلالة الحقيقية للتركيب وانتهاء بمستويات بالغة الرحابة والقدرة على الإقناع الفني بمـــا يبثه الشاعر للمتلقى من أفكار ومشاعر"[4].

وتعد الكناية من أبرز الوسائل البيانية التي اعتمد عليها أبو فراس في رسم صوره عند خطابه لسيف الدولة ، لما تتميز به الصورة الكنائية من "البعـــد عـــن التكلف والتعقيد في تشكيل صوره، أو بعبارة أرق في إخفـــاء صـــنعته وجهـــده المبذول، ومن ثم يكثر هذا النمط من أنماط الصورة في شعره، وهو يصوغ هذه الصو ببساطة خادعة لتقودنا إلى سلسلة من الدلالات المتناسلة، بل إلى سلسلة من

---

(1) دلائل الإعجاز : ٦٦ ، وانظر بيانا أكثر عن الكناية : نفسه : ٣٠٦ وما بعدها.

(2) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٧٣.

(3) جماليات الأسلوب : ١٤٩

(4) الصورة الفنية في قصيدة أبي فراس الحمداني ، دورة (أبو فراس الحمداني) ص٢٤٠.

التداعيات الصورية التي يستدعي بعضها بعضا "[١] ، وهي كنايات قريبة المأخذ ، تقل فيها الوسائط بين المعنى الأصلي والمعنى المراد.

وبالنظر إلى شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة مادحا أو معاتبا ، وجدت أن أكثر أقسام الكناية حضورا في هذا الشعر ، الكناية عن صفة ، فمن ذلك قوله : [٢]

وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَطَاعِمِ طَاعِمٌ   وَلاَ أَنَا مِنْ كُلِّ الْمَشَارِبِ شَارِبُ

فأبو فراس الذي عاش في العز والمجد والنعمة ، لا يريد أن يعيش في غيرها، ولا يرضى إلا بالعز الذي عرفه ، فليست أي حياة تسعده وتليق به ، فهو الأمير والفارس ، والبطل ، فإما على سرر الملك ، وإما على ظهور الجرد. ومن كنايات الصفة ، قوله مادحا سيف الدولة بشجاعته وبأسه : [٣]

أَنْتَ مُرْوِي القَنَا وَمُوتِمُ أَوْلاَ   دِ الأَعَادِي وَمُثْكِلُ الأُمَّهَاتِ

فسيف الدولة شجاع مقدام لا يرضى بغير الغلبة ، يفتك بأعدائه أشد الفتك.

وسيف الدولة أول في كل شيء لا يستطيع أحد أن يجاريه في أفعاله ومواقفه : [٤]

وَحَسْبِي بِهَا يَوْمَ الأُحَيدِبِ وَقْعَةً   عَلَى مِثْلِهَا فِي الْعِزِّ تُثْنَى الْخَنَاصِرُ

فقد كنى بـ " على مثلها في العز تثنى الخناصر " على تقدم سيف الدولة وظهوره على أقرانه ".

ووفاء أبي فراس لسيف الدولة عظيم لا يحجزه عن حاجز ، ولا يدفعه عنه دافع ، فقد رضيه من كل الناس : [٥]

فَلاَ تَخْشَ " سَيْفَ الدَّوَلَةِ " الْقَرمَ أَنَّنِي   سِوَاكَ إِلَى خَلَقٍ مِنَ النَّاسِ رَاغِبُ
فَلاَ تُلْبِسِ النَّعْمَى وَغَيْرُكَ مُلْبِسٌ   وَلاَ تَقْبَلِ الدُّنْيَا وَغَيْرُكَ وَاهِبُ

---

(١) الديوان :٢٤١.
(٢) نفسه : ٤٢.
(٣) نفسه : ٦٤.
(٤) نفسه : ١٤٢.
(٥) نفسه : ٤٢.

ففي البيتين كناية تشير إلى ما يجنه أبو فراس لسيف الدولة من وفاء.
ومن الصور الكنائية قوله : [١]

اقْرَا السَّلاَمَ عَلَى الذَّينَ سُيُوفُهُمْ يَوْمَ الوَغَى مَهْجُورَةُ الأَجْفَانِ

في البيت كناية عن صفة يريد أبو فراس تقريرها لبني حمدان وهي صفة الشجاعة إذ ليس من عادة سيف الدولة ومن معه أن ينتظروا العدو حتى يهجم عليهم ، وما داموا كذلك فهم أحق بمبادأة العدو بالحرب ، ويتوصل أبو فراس بذلك إلى مراده من السعي إلى تخليصه من يد عدوه.
ومن ذلك قوله : [٢]

نَحِفُّ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْنَا أُمُورُنَا بِأَبْيَضَ وَجْهِ الرَّأْيِ وَالخَطْبُ مُظْلِمُ

فهنا عدة كنايات تشير إلى شجاعة سيف الدولة ، وحكمته ، وبضم بعضها إلى بعض نصل إلى مراده باستحقاق سيف الدولة الملك عن جدارة ، فالفرسان يحفون به ويطلبون حمايته عند اشتداد الكرب في المعارك ، واشتداد البأس لا يفقد سيف الدولة صوابه ، فهو يدلي بالرأي السديد في الكرب الشديد ، ومن كانت هذه صفاته كان جديرا بالحكم والسيادة.
ومثل قوله : [٣]

وَهَلْ عُذْرٌ وَسَيْفُ الدِّينِ رُكْنِي إِذَا لَم أَرْكَبِ الْخُطَطَ الْعِظَامَا

فأبو فراس فارس شجاع يخوض المعارك بقوة وبأس ، وقوته وبأسه يستمدها من قوة سيف الدولة ، فالصورة الكنائية هنا تدل على صفة الشجاعة التي يتحلى بها أبو فراس ، وتدل على شجاعة سيف الدولة الذي يركن إليه أبو فراس.

---

(١) الديوان: ٣٤١.
(٢) نفسه : ٢٩٦.
(٣) نفسه : ٢٩٠.

ومن الصور الكنائية قوله أيضا: [١]

وَشَقَّ إِلَى ثَغْرِ الدُّمُسْتُقِ جَيْشُـــهُ بِأَرْضِ سُـــلاَمٍ وَالْقَنَـــا مُتَشَاجِـــرُ

سَقَى أَرْسَنَاسًا مِثْلَهُ مِنْ دِمَائِـــهِمْ عَشِيَّةَ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ الْحَنَاجِـــرُ

في البيتين عدد من الصور الكنائية ؛ سرعة الجيش ، وقوة المعركـــة ، و كثـــرة القتلى ، واستيلاء الهلع على قلوب الأعداء حتى أضعف قوتهم ، كنايات تتضافر لتدل على معنى آخر وراءها هو شجاعة سيف الدولة وقوته وبطشه.

ومثل ذلك قوله : [٢]

وَإِذَا رَأَتْـــــهُ عُدَاتُـــــــهُ بَلَغَـــتْ قُلُوبُهُـــــمُ الْحَنَاجِـــرْ

فقد كنى عن شدة هلع الأعداء وخوفهم بقوله :" بلغت قلوبهم الحناجر ".

ومن الكناية عن الصفة ، قوله : [٣]

وَسَائِلْ قُشَيْرًا حِينَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْسًا مِنْ الْمَوتِ أَحْمَرَا

فقد كنى بقوله " جفت حلوقها " عن شدة ما أصاب القوم من ضنك وتعب نفسي وجسدي في أثناء قتال سيف الدولة لهم.

ونجد عند أبي فراس الكناية عن موصوف حاضرة أيضا ، تظهر في ثنايا شعره الذي وصف به سيف الدولة ، فمن ذلك قوله : [٤]

إِذَا لَقِيتَ رِقَاقَ الْبِيضِ مُنْفَـــرِدًا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ لَمْ تُسْتَكْثَرِ الْخَـــدَمُ

ففي قوله " رقاق البيض " كناية عن السيوف الحادة البتارة التي تقتل من تـــصبه مباشرة ، وفي قوله " تحت العجاجة " كناية عن المعركة الشديدة التي يخوضـــها سيف الدولة ، وقد يخوضها مفردا فلا يتهيب ولا يجبن .

---

(١) الديـــوان : ١٤٠.

(٢) نفســـــه : ١١٤.

(٣) نفســـــه : ١١٧.

(٤) نفســـــه : ٢٩٩.

ومن الصور الكنائية المعبرة عن الموصوف قوله : [١]

أَأَتْرُكُ فِي رِضَاكَ مَدِيحَ قَوْمِي وَتَحْبِيرَ الْمَحَبَّرَةِ الفِصَاحِ

فالشاعر في معرض عتابه لسيف الدولة ، يشير إلى قصائده الحسان فهي " المحبرة الفصاح " التي يستحسنها كل من سمعها ، ومادامت كذلك فالشاعر أولى أن يحافظ عليها ، وأن يمدح بها من يستحقها ، ولا يستطيع أحد أن يلومه على فعله.

ومن الكناية عن الموصوف ، قوله : [٢]

فَاسْتَقْبَلُوكَ بِفُرْسَانٍ أَسِنَّتُهَا سُودُ البَرَاقِعِ والأَكْوَارُ وَالْكِلَلُ

فكلمة " فرسان " كناية عن النسوة اللاتي فر عنهن أهلهن عند غزو سيف الدولة لهم ، وكيف أنه لم يجد إلا النساء المنتقبات اللائي يحاولن اللحاق بقومهن.

ومن ذلك قوله : [٣]

وَأَزَرْتَ صَارِخَةَ الْخُيولَ فَيَا لَهَا مِنْ زَوْرَةٍ طَلَعَتْ بِطَيْرٍ أَشْأَمِ

فقوله " بطير أشأم " كناية عن موصوف ، وهو الهزيمة المنكرة التي حلت بالأعداء ، فقد كانت تلك الزورة زورة خراب ودمار على صارخة ومن حل صارخة.

ومن ذلك قوله : [٤]

دَعُونَاكَ وَالْهُجْرَانُ دُونَكَ دَعْوَةً أَتَاكَ بِهَا يَقْظَانُ فِكرِكَ لاَ البُرْدُ

فقوله " يقظان فكرك " كناية عن عقل سيف الدولة الراجح الذي يميز الأمور ويعرف كيف يأتيها ؟ ومتى ؟ فهو لا يحتاج إلى من يفكر له أو يقول له : هذا صواب ، وهذا خطأ.

---

(١) الديوان: ٨٢.

(٢) نفسه : ٢٥٨.

(٣) نفسه : ٣١٥.

(٤) نفسه : ٩٢.

ومثل قوله : [1]

وَزُرقٍ تَشُقُّ البُردَ عَنْ مُهَجِ الْعِدَا   وَتَسْكُنَ مِنْهُمْ أَيْنَمَا سَكَنَ الحِقْدُ

في البيت كنايتان عن موصوفين ، الأولى في قوله : " زرق " كناية عن الرماح ، ووصفه لها بالزرقة دلالة على اهتمامه بشحذها وإعدادها فلا يلاقي الأعــداء إلا مستعدا لهم بما يسوؤهم ، والكناية الثانية في قوله " أينما سكن الحقد " كناية عــن قلوب الأعداء التي ملئت حقدا على سيف الدولة ، والرماح المسنونة كفيلة بإخراج أضغانهم.

---

[1] الديــوان : ٩٢.

المبحث الثالث :

الموسيقى

- أولا : مفهوم الموسيقى ، وأهميتها
- ثانيا : أنواع الموسيقى الشعرية
- ثالثا : الموسيقى الشعرية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة

أولا : مفهوم الموسيقى ، وأهميتها :

يظل الإيقاع مقوما أساسيا من مقومات تأثير الشعر وجماله وإبهـــاره ، فهـــو يمنح الشعر قدرته على التأثير والفعالية ، وينطوي على قيمة فنية وتعبيرية خاصة ؛ لذلك جعل أرسطو الموسيقى أو الإحساس بالنغم إحدى علتين رئيسيتين يرجـــع إليهما الدافع الأساسي للشعر[١] .

والموسيقى الشعرية هي " الإيقاع الناتج عن تجاور أصوات الحـــروف فـــي الكلمة ، وعن تآلف الكلمات في العبارة ، والمنبعثة من أنغام الأوزان والقوافي في الصياغة الشعرية "[٢] ، وقد تنبه نقادنا القدامى إلى أهمية الموسيقى الشعرية ، فقد ذكر الجاحظ أن بعض الأدباء قد سئل عن التزامه الوزن والقافية والسجع ، فقال : " إن كلامي لو كنت لا آمل فيه سماع الشاهد لقل خلافي عليـــك ، ولكـــن أريـــد الغائب والحاضر والراهن والغابر ، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد وقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر ممـــا تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عـــشره ، ولا ضـــاع مـــن الموزون عشره "[٣] ، وأكد ابن رشيق هذا القول وجعل الموسيقى من مرجحـــات الشعر على النثر لأن اللفظ " إذا كان منثورا تبدد في الأسماع ، وتـــدحرج عـــن الطباع " أما إذا " أخذه سلك الوزن وعقد القافية ، تآلفت أشتاته ، وازدوجت فرائده وبناته ... يقلب بالألسن ، ويخبأ في القلوب مصونا باللب ، ممنوعا من الـــسرقة والغصب "[٤].

والموسيقى من أقوى عناصر الشعر ، إذ إن غاية الشعر التعبير عـــن تجربـــة انفعالية ، والإيقاع هو الوسيلة المثلى للتعبير عن هذا الانفعال ، فالشعر متـــصل اتصالا كبيرا بالموسيقى " فهو بها أمس رحما ، وأقرب قرابة مـــن التـــصوير ،

---

[١] موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٢م: ١٤

[٢] المعجم المفصل في اللغة والأدب ، حرف الميم ، (الموسيقى).

[٣] البيان والتبيين : ٢٨٧.

[٤] العمـــدة : ٧٣ ، ٧٤.

لأنهما يعتمدان على الأداء الصوتي ، وإن اختلفت لغتاهما واختلفت قدرتهما على هذا الأداء . فجوهرهما واحد ، ولذلك كانا يتحدان أو يكمل أحدهما الآخر ...
وأدخل من ذلك في لحمة القرابة أن الشعر يعتمد على الموسيقى في أدائه ، فلا بد أن يوضع في أوزان ... فلا يوجد شعر بدون موسيقى ، وهي فيه تقوم مقام الألوان في الصورة ، فكما أنه لا توجد صورة بدون ألوان كذلك لا يوجد شعر بدون موسيقى وأوزان وأنغام" [١] .

ثانيا : أنواع الموسيقى الشعرية :

الشعر له طابعه الخاص من حيث هو مقيد بوزن لا ينفك عنه إلا حين خروجه من دائرة الشعر إلى دائرة النثر ، وقافية يختلف نظر الشعراء والنقاد تجاه التزامها كشكل خارجي للقصيدة ، أو عدم التزامها بحرفيتها ، فتتنوع داخل النص الشعري ، وتتلون بتلون العاطفة المصاحبة لها ، لكنها تبقى عنصرا فاعلا في القصيدة تشكل مع الوزن ما يطلق عليه الموسيقى الخارجية للشعر ؛ لتتحد مع التنغيمات الداخلية في تكوين موسيقى النص ، وهو ما يطلق عليه بعض النقاد " التشكيل الزماني "[٢] ، و" هو كل ما يتصل بالإطار الموسيقي للقصيدة "[٣] . وهذا التشكيل له أثر كبير في نقل التعبير الوجداني للشاعر إذا أحسن التعامل معه ، فـ" تصبح القصيدة صورة موسيقية متكاملة ، تتلاقى فيها الأنغام وتفترق ، محدثة نوعا من الإيقاع الكلي الذي يترك في نفس المتلقي أثره "[٤] ، " ومن هنا كان الإيقاع الزماني ركنا من أركان الشعر . والإيقاع الزماني يتأتى في النص الشعري من جهتين خارجية وداخلية ، خارجية من خلال الوزن والقافية ،

---

[١] في النقد الأدبي : ٩٦ ، ٩٧.
[٢] انظر : التفسير النفسي للأدب : ص٤٧ وما بعدها.
[٣] نفسه : ٥٠.
[٤] نفسه : ٥٣.

وداخلية من خلال المحسنات اللفظية ، وتلاؤم الحروف والكلمات والتراكيب ، وانسياب النغم "[١] .

يتضح مما سبق أن موسيقى النص الشعري تكتنفه من جميع الاتجاهات ، فالوزن والقافية شكل خارجي للموسيقى ، يتساوى في إدراكها الأديب الذواق ، وعالم العروض ، والقارئ العادي . وهي الإطار الخارجي للقصيدة الذي إذا اختل فسد الشعر ، ولا يسمى الشعر شعرا حتى تتوافر فيه ، فالشعر المقفى لا بد أن يلتزم بحرا وقافية.

والموسيقى الداخلية ، أو ما يسمى بالجرس الداخلي للنص ، فتكتنف النص من داخله ؛ لتشكل مع الإطار الخارجي موسيقى النص ، فالشعر " لا يحقق موسيقيته بمحض الإيقاع العام الذي يحدده البحر . بل يحققها بالإيقاع الخاص لكل كلمة أي كل وحدة لغوية لا تفعيلة عروضية ، وبالجرس الخاص لكل بحر لكل حرف من الحروف الهجائية المستعملة في البيت ، وتوالي هذه الحروف في كل كلمة من الكلمات المستعملة ، ثم الجرس المؤتلف الذي تصدره الكلمات في اجتماعها في البيت كله ، ثم في تتابعها في البيت بعد البيت في كل قصيدة أو قسم من قصيدة"[٢].

ثالثا : الموسيقى الشعرية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة :

سأتناول الموسيقى الشعرية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة من خلال الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية) ، والموسيقى الداخلية (المحسنات اللفظية وتلاؤم الحروف والكلمات والتراكيب) .

---

(١) اللغة الكونية ، في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة ، د. صالح بن سعيد الزهراني ، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، ص٩٦.

(٢) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، د. محمد النويهي ، الدار القومية ، (بدون تاريخ) القاهرة ، ١ / ٣٩.

١ ـــ الموسيقى الخارجية :

§ الوزن :

عندما عرف نقادنا القدامى الشعر ، قالوا : إنه القول الموزون المقفى الدال على معنى[١] ، والوزن هو " التأليف الذي يشهد الذوق بصحته "[٢] ، وهو عنـــدهم " أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيبا في التقفية لا الوزن ، وقد لا يكون عيبا نحو المخمسات وما شاكلها" [٣]. وعندما لقي الوزن هذا الاهتمام لم يلقه لمجرد أنه وزن ثم لا ننظر بعد ذلك إلى شيء ، بل إن الشاعر إذا أراد أن ينظم شعره " مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا ،وأعد لـــه مـــا يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه ..." [٤] . وليس في قول ابن طباطبا ما يشير إلى تفضيله وزن علـــى وزن في استيعاب تجربته الشعرية ، فكل وزن صالح لعرض التجربة إذا تمكـــن الشاعر من أدواته الفنية . وبعض النقاد والبلاغيين يربطون بن الموضوع والوزن ، يقول حازم القرطاجني :" ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقـــصد بـــه البهـــاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكى تلك المقاصـــد بمـــا يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخـــر حـــاكى غرضـــه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء ، وكذلك في كل مقصد " [٥] ، وقد وافق حازما الدكتور عبد الله الطيب في

---

[١] نقد الشعر : ١٧.

[٢] سر الفصاحة : ٢٨٧.

[٣] العمـــدة : ج١ ص٢٦٨.

[٤] عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق د. محمد زغلول ســـلام ، دار منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط٣ بدون تاريخ : ص ٤٣.

[٥] منهاج البلغاء : ٢٦٦.

ما ذهب إليه من تحري الوزن المناسب للغرض الذي يقصد إليه[1] ، ويرى آخرون أنه غير ذلك ، فليس هناك بحور خاصة بأغراض ، ولكن هناك أغراض تناسبها بحور ، ولا تختص بها ، ويؤكدون الصلة القوية بين الوزن والحالة النفسية كما يقول إبراهيم أنيس : إن هناك ارتباطا بين وزن الشعر ونبض القلب لأن نبضات القلب تزيد كثيرا في الانفعالات النفسية التي يتعرض لها الشاعر أثناء نظمه ، فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن والبأس ، ونبضات قلبه حين يتملكه السرور سريعة بكثر عددها في الدقيقة ، ولكنها بطيئة حين يستولي عليه الهم والجزع ، فهي عند الفرح متلهفة مرتفعة ، وعند اليأس والحزن بطيئة[2] .

وتختلف البحور شيوعا وندرة من عصر إلى عصر ، ففي العصور القديمة والوسيطة ، كان بحر الطويل أشيعها بنسبة (٣٦%) ، وكان في المرتبة الثانية بحور أخرى هي : الكامل والبسيط ، ونسبة كل منهما (١٢%) ، والوافر ونسبته (١١%) ، والخفيف ونسبته (٨%) . وفي العصر الحديث صار الكامل في المرتبة الأولى (٢٧%) ، وجاء في المرتبة الثانية بحور أخرى ، هي : الخفيف (١١%) ، والوافر والبسيط (٩%) ، والرمل (٨%) ، وجاء بحر الطويل آخر المرتبة الثانية (٧%) [3].

وقد نظم أبو فراس الحمداني شعره الذي صور سيف الدولة على عشرة بحور ، جاء في مقدمتها بحر الطويل ، وقد نظم عليه (٢٤٧) بيتا من مجموع أبياته التي صور فيها سيف الدولة ، و عددها (٦٩٢) بيتا[4] ، ونسبته بين البحور الأخرى التي نظم عليها (٣٥،٦٩%) ، يليه بحر الكامل حيث نظم عليه (١٤١) بيتا ، بنسبة (٣٧،٢٠%) ، ثم بحر الوافر إذ نظم عليه (١٣٥) بيتا ، بنسبة

---

[1] انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج١ ص٩٣ ، ٩٤.

[2] موسيقى الشعر : ١٩٣.

[3] انظر : نفسه : ٦٩ و ٢١٠ و ٢٢٠.

[4] عدد الأبيات تقريبي حيث يرد في أثناء القصائد فخر للشاعر بنفسه أو ببني حمدان لكنه قليل ، ويدعم نظرة الشاعر إلى سيف الدولة.

(١٩،٥٠%) ، وهذه البحور الثلاثة قد استوعبت (٧٥،٥٧%) من مجموع ما نظمه أبو فراس في وصف سيف الدولة ، إذ بلغ مجموع الأبيات التي نظمها علي هذه البحور الثلاثة (٥٢٣) بيتا ، ثم يلي هذه البحور الثلاثة ، بحور البسيط و المتقارب و المنسرح والسريع والرمل والهزج والمجتث ، فقد نظم عليها أبو فراس في وصف سيف الدولة (١٦٩) بيتا ، بنسبة (٢٤،٤٣%) .

وقد نظم أبو فراس معظم شعره في الأوزان الكاملة للبحور ، ولم ينظم على مجزوئها إلا في بحرين ، حيث نظم على مجزوء الكامل (٤٢) بيتا ، بنسبة (٢٩،٧٨%) من مجموع الأبيات التي نظمها على هذا البحر ، كما نظم على مجزوء الرمل خمسة أبيات هي مجموع الأبيات التي نظمها على هذا البحر في وصف سيف الدولة.

والطويل كما أسلفت هو أكثر البحور استيعابا لتجربة أبي فراس في نظره إلى سيف الدولة ، وسمي الطويل " لأنه أتم البحور استعمالا ، وتفسير ذلك أنه لا يدخله الجزء ، وهو حذف العروض والضرب من البحر ، ولا يدخله الشطر ، وهو حذف نصف تفاعيل البيت ، ولا يدخله النهك ، وهو حذف الثلثين منه وإبقاء الثلث .

وقال بعضهم : سمي طويلا لأنه أكثر البحور حروفا ، فهو إذا صرع قد يكون ثمانية وأربعين حرفا ، ولا مشارك له في ذلك "[١].

والطويل هو الوزن الذي كان الشعراء القدماء يؤثرونه[٢] ، وليس بين بحور الشعر ما يضارعه في نسبة شيوعه ولذلك نظم عليه ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم ، وكان الشعراء القدماء يستحسنونه في الأغراض الجليلة الشأن[٣] ، لأنه أحفل البحور " بالجلال والرصانة والعمق . والملاحظ أنه يعطي إمكانيات

---

(١) في علمي العروض والقافية ، د.أمين علي السيد ، دار المعارف ، ط٥ ، ١٩٩٩م ، ص٩٤.

(٢) انظر: موسيقى الشعر : ١٩١.

(٣) انظر : نفسه : ٥٩ و ١٩١.

للسرد ، والبسط القصصي والعرفي والدرامي "[١]. " والطويل والبسيط أطولا بحور الشعر العربي ، وأعظمها أبهة وجلالة ، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة ، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة ... والطويل أفضلهما وأجلهما ، وهو أرحب صدرا من البسيط ، وأطلق عنانا ، وألطف نغما "[٢].

وقد ظهر بحر الطويل بصورة ملفتة في رائية أبي فراس التاريخية في مآثر بني حمدان ، التي مطلعها: [٣]

لَعَلَّ خَيَالَ الْعَامِرِيَةِ زَائِرُ فَيَسْعَدَ مَهجُورٌ وَيُسْعَدَ هَاجِرُ

وفي قصيدته الدالية التي أرسلها إلى سيف الدولة في أول أسره ، ومطلعها: [٤]

دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمُسَهَّدِ لَدَيَّ وَلِلنَّوْمِ الْقَلِيلِ الْمُشَرَّدِ

والكامل من بحور المرتبة الثانية التي شاع استعمالها في الأشعار العربية ، ومجزوؤه أكثر الأوزان شيوعا في الشعر العربي، وهو أتم البحور السباعية يصلح لأكثر الموضوعات [٥] ، " وهو أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات ، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله ـ إن أريد الجد ـ فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر ، ويجعله ـ إن أريد به إلى الغزل وما بمجراه ـ من أبواب اللين والرقة"[٦]. " والكامل فيه طواعية للعديد من الأغراض الواضحة والصريحة ، وهو مترع بالموسيقى ، ويتفق مع الجوانب العاطفية المحتدمة داخل الإنسان ، كما أنه يجمع بين الفخامة والرقة"[٧].

---

(١) دراسات في النص الشعري في العصر العباسي ، د. عبده بدوي ، دار الرفاعي ـ الرياض ، ط٢ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م ص ١١٦.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها :ج١ ص ٤٤٣.

(٣) الديوان : ١٢٤.

(٤) نفسه : ٩٦.

(٥) انظر : أصول النقد الأدبي ، الشايب ، ص ٦٣ و ١٩١ و٣٢٢.

(٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها :ج١ ص ٣٠٢.

(٧) دراسات في النص الشعري : ٥٦.

ومن أظهر شعر أبي فراس الذي نظمه على هذا البحر مخاطبا سيف الدولة من سجنه ، وقد خرج الروم لقتال سيف الدولة ، قصيدته التي مطلعها: [١]

أَتَعزُ أَنْتَ عَلَى رُسُومِ مَغَانِ   فَأقِيمِ لِلْعَبَراتِ سُوقُ هَوَانِ

والوافر من ألين البحور يشتد إذا شددته ويرق إذا رققته[٢] ، " والشاعر القوي المتين الكلام إذا صنع شعرا على الوافر اعتدل كلامه ، وزال عنه ما يوجد في غيره من الأعاريض القوية من قوة العارضة ، وصلابة النبع"[٣] ، " وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر ، والتفخيم في معرض المدح"[٤].

وتظهر قصيدة أبي فراس البائية التي قالها بعد أن أوقع سيف الدولة ببعض القبائل ، ثم صفح عنهم وعفا عنهم ؛ تظهر كأبرز قصيدة نظمها على هذا البحر ، ومطلعها : [٥]

أَبَتْ عَبَرَاتُهُ إلا انْسِكَابَا   وَنَارُ ضُلُوعِهِ إِلا الْتِهَابَا

ومنها المتقارب ، وهو " بحر فيه رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة"[٦] ، وأبرز موضع استعمله أبو فراس فيه قصيدته البائية : [٧]

أَسَيْفَ العدَا وَقَرِيْعَ الْعَرَبْ   عَلامَ الْجَفَاءُ! وَفِيْمَ الْغَضَبْ!؟
وَمَا بَالُ كُتْبِكَ قَدْ أَصْبَحَتْ   تَنَكَّبُنِي مَعَ هَذِي النُّكَبْ
وَأَنْتَ الكَرِيمُ وَأَنْتَ الحَلِيْمُ   وَأَنْتَ العَطُوفُ وَأَنْتَ الْحَدِبْ

هذه أكثر البحور العشرة ظهورا في شعر أبي فراس الذي وصف فيه سيف الدولة ، أما بقية البحور فقد نظم عليها نظما قليلا بنسبة ضعيفة .

---

(١) الديوان : ٣٣٩.
(٢) انظر : أصول النقد الأدبي ، الشايب ، ص٣٢٣.
(٣) نفسه : ٣٢٣.
(٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ١ / ٤٠٧.
(٥) الديوان : ٣٣.
(٦) أصول النقد الأدبي ، الشايب ، ص٣٢٣.
(٧) الديوان : ٢٤.

§ القافية :

وهي " المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة ، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت "[١] ، واختلف العروضيون في مقدارها ، فمـــنهم من قال : " هي الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخـــر البيـــت الشعري"[٢] ، ومنهم من ذهب إلى أنها " آخر ساكنين في البيت ، والمتحرك الذي بينهما ، والمتحرك الذي قبل أولهما"[٣] ، ويتصل بالقافية حرف الروي ، وهـــو " آخر حرف صحيح في البيت ، وعليه تبنى القصيدة وإليه تنسب"[٤] ، والقافيـــة " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعرا حتى يكـــون لـــه وزن وقافية "[٥] ، فهي حروف " وعدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيـــات من القصيدة ، وتكرارها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية . فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع الشاعر ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خـــاص يسمى الوزن"[٦] . لكن هل الموسيقى التي ينبعث صداها من القافية هي الغاية التي يتطلبها الشاعر من قافيته ورويه ؟

لا شك أن الموسيقى ذات أهمية كبيرة من الناحية الشكلية كما سبق ذكر ذلـــك ، ولكنها كما أطربت شكلا ينبغي أن يتصل إطرابها فيصل المعنى الـــذي يتوخـــاه الشاعر حين اختيارها ، فـــ" تكون قواعد للبناء ، يتركب عليها ويعلـــو فوقهـــا ،

---

(١) علم العروض والقافية ، د.عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٧هـــــ ـــ ١٩٨٧م ، بيروت ص ١٣٤.

(٢) أهدى سبيل إلى علمي خليل ، الأستاذ محمود مصطفى ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح ، ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م ، ط٢٢ ص١١٧.

(٣) في عروض الشعر العربي ، د. محمد الطويل ، نادي أبها الأدبي ـــ أبهـــا ، ١٤٠٥هـــــ ص ١٧١.

(٤) علم العروض والقافية : ١٣٦.

(٥) العمـــــدة : ١ / ٢٩٤.

(٦) موسيقى الشعر : ٢٤٦.

فيكون ما قبلها مسوقا إليها ، ولا تكون مسوقة إليه ، فتقلق في مواضعها ، ولا توافق ما يتصل بها"[١] ، فإذا تلقاها القارئ والسامع شعر أنها " كالموعود به المنتظر ، يتشوفها المعنى بحقه ، واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قلقة في مقرها ، مجتلبة لمستغن عنها "[٢] ، ولذلك فكلمات القافية في الشعر الجيد " ذات معان متصلة بموضوع القصيدة ، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية ، بل تكون هي المجلوبة من أجله . ولا ينبغي أن يؤتى بها لتتمية البيت ، بل يكون معنى البيت مبنيا عليها ، ولا يمكن الاستغناء عنها فيه ، وتكون كذلك نهاية طبيعية للبيت ، بحيث لا يسد غيرها مسدها في كلمات البيت قبلها"[٣] .

ويعد حرف الروي أهم وحدة صوتية في القافية ، فهو موضع التوقف ، وآخر ما يطرق الأذن من البيت ، " فلا يكون الشعر مقفى إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المتكرر في آخر الأبيات "[٤] ولأهميته في القصيدة سميت القصيدة به ، فيقال : قصيدة بائية ، ورائية ، ودالية .... وهكذا. وكل الحروف الهجائية تصلح أن تكون رويا إلا أن بعضها أفضل من بعض ، وأدعى إلى الإمتاع الموسيقي ، والإثارة اللفظية ؛ لأنها" جميلة الجرس ، لذيذة النغم ، سهلة المتناول "[٥] ، ومنها : الهمزة ، والياء ، والدال ، والراء ، والعين ، واللام "[٦] .

وقد استعمل أبو فراس في شعره الذي صور سيف الدولة ثلاثة عشر رويا ، هي : الهمزة ، والباء ، والثاء ، والحاء ، والدال ، والراء ، والسين ، والعين ، والفاء ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون .

---

(١) عيار الشعر : ٤٢.

(٢) شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، نشره ، أحمد أمين و عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، بيروت ، ج١ ص١١.

(٣) النقد الأدبي الحديث : ٤٤٢ ، ٤٤٣.

(٤) موسيقى الشعر : ٢٤٧.

(٥) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب :٣٢٥.

(٦) انظر : نفسه :٣٢٥.

وحرف الباء أكثر حروف الروي ظهورا في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ؛ إذ نظم عليه (١٥٤) بيتا ، من مجموع الأبيات ، وعددها (٦٩٢) ، ويليه حرف الراء (١٤١) بيتا ، ثم حرفا الدال و اللام كل حرف منهما نظم عليه (٩٣) بيتا ، ثم حرف الميم (٨٠) بيتا ، ثم حرف النون (٥٥) بيتا ، ثم حرف العين (٣٩) بيتا ، وبقية الحروف نظم على كل حرف أقل من (١٥) بيتا.

وبالنظر إلى الأعداد السابقة نلاحظ أن حرف الباء قد سجل ما نسبته (٢٢،٢٥%) من عدد الأبيات ، وحرف الباء صوت انفجاري شديد مجهور[١] و هو من الحروف التي يكثر استعمالها رويا في الشعر العربي ، فهو مع الراء ، واللام ، والميم ، والنون ، والدال ، والسين ، والعين ، وإن اختلفت في نسبة شيوعها[٢].

ويليه حرف الراء حيث سجل ما نسبته (٢٠،٣٧%) من عدد الأبيات التي صور فيها أبو فراس سيف الدولة . وحرف الراء صوت مجهور لثوي متكرر ، من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ، متوسط بين الشدة والرخاوة ، مكرر؛ لأن طرف اللسان حين ينطق به يحدث طرقا لينا مرتين أو ثلاثا " [٣]. وقد شكل هذان الحرفان (الباء والراء) مع حروف الدال ، واللام ، والميم ، والنون ما نسبته (٨٩%) ، وهي نسبة عالية جدا ، إذا ما عرفنا أن سبعة حروف أخرى لم تسجل إلا ما نسبته (١١%) ، والحروف التي سجلت هذه النسبة العالية ، تدخل فيما يطلق عليه القوافي الذلل ، وهي الباء ، والتاء ، والدال، والراء ، والعين ،والميم ، والياء المتبوعة بألف الإطلاق ، واللام ما لم تشدد[٤] . وهذا يشير

---

[١] انظر : الأصوات اللغوية :٤٥.

[٢] موسيقى الشعر : ٢٣٢.

[٣] دراسات في النص الشعري : ١١٧.

[٤] انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ١ / ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠.

بوضوح إلى قدرة أبي فراس الشعرية ، وحرصه على إخراج شـعره إخراجـا جميلا يستمتع به سامعوه.

ويظهر في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة استخدامه لنـوعي القافيـة (المطلقة والمقيدة) ، والقافية المطلقة أكثر ظهورا من المقيدة ؛ إذ بلغت (٤٤) قافية مطلقة من مجموع القوافي التي عددها (٥١) قافية ، ونسبة القوافي المطلقة (٨٦،٢٧%) ، وهي نسبة كبيرة تدل على حب أبي فراس للانطـلاق وإطالـة الصوت ، ولم يكتف أبو فراس بالقافية المطلقة لانطلاقه وإطالة صوته بل لجأ إلى زيادة المد من خلال بعض حروف القافية مثل ألـف التأسـيس[١] ، وحـروف الردف[٢] ، فمن أمثلة استخدامه لألف التأسيس قوله:[٣]

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَبِيتَ وَبَيْنَنَـا　　خَلِيجَانِ وَالدَّرْبُ الأَشَمُّ وَآلِسُ
وَلاَ أَنَّنِي أَسْتَصْحِبُ الصَّبْرَ سَاعَةً　　وَلِي عَنْكَ مَنَّاعٌ وَدُونَكَ حَابِسُ
يُنَافِسُنِـي فِيـكَ الزَّمَـانُ وَأَهْلُهُ　　وَكُلُّ زَمَانٍ لِي عَلَيْكَ مُنَـافِسُ

ومثل قوله :[٤]

فَفِينَا لِدِيـنِ اللهِ عَـزٌّ وَمَنْعَـةٌ　　وَفِيَّنَا لِدِيِّنِ اللهِ "سَيْفٌ" وَ "نَاصِرُ"
هُمَـا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشَرَّدٌ　　أَجَـارَاهُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَنْ يُجَـاوِرُ
وَرَدَّاهُ حَتَّـى مَلَّكَاهُ سَرِيـرَهُ　　بِعِشْرِينَ أَلْفًا بَيْنَهَا الْمَوْتُ سَافِرُ

ومن أمثلة حرف الردف الألف قوله :[٥]

وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَـا　　كَمَا هَيَّجْتَ آسَـاداً غِضَابَـا

---

[١] ألف التأسيس : ألف بينها وبين حرف الروي حرف يسمى الدخيل ، ولا تلتزم إعادته كما تلـزم الروي والتأسيس . (انظر : في علمي العروض والقافية ، ص ١٩١) .

[٢] الردف : حرف مد يكون قبل الروي مباشرة ، فإذا كان الردف ألفا وجب التزامه بعينه في كـل أبيات القصيدة ، أما إذا كان واوا أو ياء فإنه يجوز أن يتبادلا ، فتأتي بعض الأبيات مردوفـة بالواو ، وبعضها مردوفة بالياء . (المرجع السابق : ١٨٩).

[٣] الديـوان : ١٩٧.

[٤] نفسـه : ١٣٧ ، ١٣٨.

[٥] نفسـه : ٣٤.

أَسِنَّتُـــهُ إِذَا لاقَى طِعَانًـــــــــا   صَوارِمُـــهُ إِذَا لاَقَى ضِرَابَـــا
دَعَانَا وَالأَسِنَّـــةُ مُشْرَعَـــــــاتٌ   فَكُنَّـــا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَـــــا

ومثل قولـه : (١)

وَهَلْ عُذْرٌ وَسَيْفُ الدِّينِ رُكْنِي   إِذَا لَمْ أَرْكَبِ الْخِطَطَ الْعِظَامَا
وَأَتْبَـــعُ فِعْلَـــهُ فِي كُلِّ أَمْــرٍ   وَأَجْعَــلُ فَضْلَــهُ أَبَدًا إِمَامَـــا

ومن أمثلة الردف بالواو والياء قوله : (٢)

ولَـــــئِنْ حَنَنّــتُ إِلَى ذُرَا   هُ لَقَدْ حَنَنّتُ إِلَى وُصُــــولِ
لاَ بِالغَضُوبِ ، وَلاَ الكَــذُو   بِ وَلاَ القَطُوبِ ولاَ المَلُولِ
يــا عُدَّتِــي فــي النَّائِبَــا   تِ وَظُلَّتِــي عِنْــدَ المَــقِيْــلِ
أَيْنَ الْمَحَبَّةُ وَالذِّمَــــــــا   مُ وَمَا وَعَــدْتَ مِنَ الْجَمِيــلِ

وأحيانا يشعر أبو فراس أن مده صوته الشعري بهــذه الأحــرف لا يفــي بالمطلوب فيلجأ إلى (هاء الوصل) (٣) ؛ ليزيد صوته امتدادا ، كقوله : (٤)

وَعِلَـــةً لَمْ تَدَعْ قَلْبًا بِلاَ أَلَـــــمٍ   سَرَتْ إِلَى طَلَبِ الْعَلْيَا وَغَارِبِهَا
هَلْ تَقْبَلُ النَّفسُ عَنْ نَفْسٍ فَأَفْدِيَهُ   الله يَعْلَمُ مَا تَغْلُو عَلَيَّ بِهَـــــــا
لَئِنْ وَهَبتُكَ نَفسًا لاَ نَظِيرَ لَهَـــا   فَمَا سَمَحتُ بِها إلاَّ لِوَاهِبِهَــــا

وكقولـه : (٥)

يَا حَسْــرَةً مَا أَكَـــادُ أَحْمِلُهَـــا   آخِرُهَـــا مُزْعِجٌ وَأَوَّلُهَـــــا
عَلِيلَـــةٌ بِالشَّـــآمِ مُفْـــــــرَدَةٌ   بَاتَ بِأَيْدِي الْعِــدَا مُعَلَّلُهَـــا
تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُـــرَقٍ   تُطْفِئُهَا وَالْهُمُــومُ تُشْعِلُهَـــا

---

(١) الديــوان : ٢٩٠.
(٢) نفســـه : ٢٧٤.
(٣) الوصل : ما يجيء بعد الروي من حرف مد ينشأ عن إشباع حركته ، وقد يكون الوصل بهــاء بعد الروي ، ويلتزم في كل أبيات القصيدة . (علمي العروض والقافية : ١٨٩) .
(٤) الديـــوان : ٥٥ ، ٥٦.
(٥) نفســـه : ٢٦٣.

ولم يكثر أبو فراس من استخدام (هاء الوصل) في شعره الذي صور سيف الدولة ، فقد استخدم هاء الوصل التي بعدها خروج في مقطوعة من ثلاثة أبيات وقصيدة ، أبياتها (٤٥) بيتا ، وأتى بهاء الوصل التي ليس بعدها خروج في مقطوعتين ، كل واحدة في بيتين.

عيوب القافية :

ظهر في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة بعض العيوب ، ومن ذلك الإيطاء [١]، كقوله : [٢]

قُولاَ لِهَـذَا السَّيِّـدِ الْمَاجِـدِ قَوْلَ حَزِينٍ مِثْلِـهِ فاقِـدِ

هَيْهَاتَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالدٍ لاَ بُدّ مِنْ فَقْدٍ وَمَنْ فَاقِـدِ

ومن عيوب القافية التي ظهرت نادرة في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ، أن تكون القافية مجلوبة لغير ما فائدة تضيفها إلى المعنى ، فمن ذلك قوله : [٣]

وَلَمْ يُفَضِّلْ " عُقَيْلاً " فِي وِلاَدَتِهِ عَلَى " عَلِيٍّ " أَخِيهِ السِنُّ وَالقِدَمُ

فكلمة " القدم " لا تضيف معنى جديدا ، فقد أغنت عنها في دلالتها كلمة " السن ". ومن ذلك قوله : [٤]

فَإِنْ يَكُ بُطءٌ مَـرَةً فَلَطَالَمَـا تَعَجَّلَ نَحوي بِالْجَمِيلِ وَأَسْرَعَا

فالإسراع هو التعجل فلم تضف الكلمة معنى جديدا.

---

(١) الإيطاء : إعادة كلمة الروي لفظا ومعنى من غير أن يفصل بين اللفظين المكررين سبعة أبيات .(في علمي العروض والقافية ، ص٢٢٨).

(٢) الديوان : ١١٠.

(٣) نفسه : ٢٩١.

(٤) نفسه : ٢١٠.

٢ ـ الموسيقى الداخلية :

تنشأ موسيقى الشعر الداخلية من خلال المحسنات اللفظية (الجناس والتصريع والترصيع) ، فإذا استطاع الشاعر أن يجتلب هذه المحسنات دون أن تكون عبئا على القصيدة ، فسوف يجتمع له جلال المعنى ، وجمال النغم الداخلي الذي تضفيه هذه المحسنات على موسيقى القصيدة . ومن خلال دراسة لغة أبي فراس التي سبقت في مبحث (اللغة والأسلوب) اتضح لنا قدرة الشاعر على الاستفادة من هذه المحسنات دون إغراق ولا تصنع ، فجاءت مؤدية للمعنى الذي قصده أبو فراس ، مع ما جلبته للنصوص الشعرية من موسيقى تلذ لها الأسماع.

فالجناس مؤثر قوي في الموسيقى ؛ إذ ينبع من الصوت ، فهو ترداد لكلمات تجعل الكلام حلوا خفيفا على السمع .

وأظهر أبو فراس قدرة كبيرة على التصريع سواء ما ورد في أول النص الشعري أو في ثناياه ، وقد كان ذلك التصريع من مؤثرات الموسيقى العذبة.

ومن موسقة البيت الشعري العذب الجاذب الترصيع ، فهو يضفي على البيت موسيقى مترددة ، يطرب لها الأذن قبل أن يصل البيت إلى نهايته ، فلا تجفل عنه الأذن ، ولا تشرد عنه النفس.

وكما برزت الموسيقى الداخلية من خلال المحسنات اللفظية ، فإنها تبرز من خلال تلاؤم الحروف ، وتوافقها الصوتي ، فالموسيقى الداخلية التي تقوم على تنغيم الألفاظ والعبارات تنقل السامع من لغته العادية التي يتحدث بها في حياته اليومية إلى لغة موسيقية يرتفع بها من عالمه الحسي إلى عالمه الشعري ، وهذه تنبع من اختيار الشاعر لكلماته ، وما بينها من تلاؤم الحروف والحركات ، وكأن للشاعر أذنا داخلية وراء أذنه الظاهرة ، تسمع كل شكلة ، وكل حرف بوضوح تام[١]

---

(١) انظر : أصول النقد الأدبي ، أبو كريشة ، ص٣٢٤ ، وانظر كذلك : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، د. محمد خلف الله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م ، ص١٤٠.

فتردد الحرف داخل الأبيات له ترديد موسيقي يشاكل ما أراده الشاعر في أبياته ، ففي قول أبي فراس : [١]

دَعِ الْعَبَرَاتِ تَنْهَمِرُ انْهِمَـــارَا وَنَارَ الْوَجْدِ تَسْتَعِــرُ اسْتِعَـــــارَا

أَتُطْفَأُ حَسْرَتِي وَتَقَرُّ عَيْـــــنِي وَلَمْ أُوقِدْ مَعَ الْغَازِينَ نَـــــــارَا

رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَبْعَدَ مَا يُرَجَّــى إِذَا مَا الْجَيْشُ بِالْغَازِينَ سَـــــارَا

فحرف الراء الذي تكرر داخل الأبيات قد بعث من الكلمات نغما موسيقيا هادرا.

ومن الظواهر الصوتية المؤثرة في جمال الموسيقى الداخلية وقوتهـــا ، التنـــوين، الذي يضفي نغما موسيقيا مؤثرا يأخذ السامع إلى مراد الشاعر مـــن الفخامـــة أو الرقة ، ففي قول أبي فراس : [٢]

يَا رَاكِبًا يَرْمِي الشَّآمَ بِجَسْرَةٍ مَـــوّارَةٍ شَـــدَنِيَّـــةٍ مِذْعَـــانِ

فتتابع تنوين الكسر في البيت قد بعث نغما موسيقيا رقيقا.

وتظهر لنا الموسيقى الفخمة في تتابع تنوين الضم في قوله : [٣]

فَالنَّفْسُ جَاهِدَةٌ وَالْعَيْنُ سَاهِــــدَةٌ وَالْجَيْشُ مُنْهَمِكٌ ، وَالْمَالُ مُبْتَذَلُ

وقد ساعد على فخامة الموسيقى ، وإطرابها ما صاحبها من موسيقى العبـــارات المقسمة في الشطرين.

ومن ذلك قوله : [٤]

يَا بَنِي الْعَمِّ ، قَدْ أَتَانَا ابْنُ عَـــمٍّ فِي طِلاَبِ الْعُـــلاَ صَعُودٌ لَجُـــوجُ

فَاضِلٌ ، كَامِلٌ ، أَدِيبٌ ، أَرِيبٌ قَائِلٌ ، فَاعِلٌ، جَمِيلٌ ، بَهِيــــــجُ

حَازِمٌ ، عَازِمٌ ، حَرُوبٌ ، سَلُوبٌ ضَارِبٌ ، طَاعِنٌ ، خَرُوجٌ ، وَلُوجُ

مِحْرَبٌ ، هَمُّهُ حُسَامٌ صَقِيــــلٌ وَجَوَادٌ مُطَهَّـمٌ[١] ، عُنْجُــــــوجُ[٢]

---

(١) الديـــوان : ١١٩.

(٢) نفســـــه : ٣٤١.

(٣) نفســـــه : ٢٥٧.

(٤) نفســـــه : ٧٠.

فالأبيات تتراقص موسيقى من خلال تنوين الضم المسيطر على كلماتها ، ومـــن خلال الصيغ الاشتقاقية ذات البعد الموسيقي المتساوي.

ومن الموسيقى الداخلية التي ظهرت في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة اعتماده على المدود ، مثل قوله : [٣]

وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنَـــــا   كَمَا هَيَّجْتَ آسَــاداً غِضَابَـــا
أَسِنَّتُـــهُ إِذَا لاقَى طِعَانًـــــــا   صَوارِمُـــهُ إِذَا لاَقَى ضِرَابَــا
دَعَانَا وَالأَسِنَّـــةُ مُشْرَعَـــــاتٌ   فَكُنَّــا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَـــا

فالأبيات تعتمد على الألف في حركتها الموارة الصاخبة المندفعة ، التـــي تمتلـــئ قتالا ونزالا.

ومن موسيقى المد ، قوله : [٤]

وَمَا زِلْتَ مُذْ كُنْتَ تُولِي الْجَمِيلَ   وَتَحْمِي الْحَرِيمَ وَتَرْعَى النَّسَــبْ
وَتَغْضَبُ حَتَّى إِذَا مَا مَلَـــكْتَ   أَطَعْتَ الرِّضَى وَعَصَيْتَ الْغَضَبْ
فَوَلَّــيْــنَ عَنْــكَ يَفْدِيْنَـــهَــا   وَيَرْفَعْــنَ مِنْ ذَيْلِهَا مَا انْسَحَبْ

فالياء تبعث في الأبيات نغما هادئا جميلا .

وقد يعتمد في بنائه الموسيقي على التشديد ، مثل قوله : [٥]

فَسَائِلْ كِلاباً يَوْمَ "غَزْوَةِ بَالِـــسٍ"   أَلَــمْ يَتْرُكُوا النِّسَوَانَ فِي الْقَاعِ حُسَّرَا
وَسَائِلْ نُمَيْرًا يَوْمَ سَارَ إِلَيْهِـــمُ   أَلَــمْ يُوقِنُوا بِالْمَــوْتِ لَمَّا تَنَمَّـــرَا
وَسَائِلْ عُقَيْلاً حِينَ لاَذَتْ "بِتَدْمُــرٍ"   أَلَـــمْ نُقْرِهَا ضَرْبًا يَقُدُّ السَّــنَــوَّرَا

---

(١) مطهم : ضخم .
(٢) عنجوج : أصيل.
(٣) الديـــوان: ٣٤.
(٤) نفســـه : ٢٨.
(٥) نفســـه : ١١٧.

فهنا موسيقى جزلة لأن الشدة تجعل حركة النطق قوية ، فهي مطربة ، ومصورة لمعنى الشدة والبأس المرافق لجو المعركة.

والصيغ الاشتقاقية من مباعث الموسيقى في النص الشعري ، فمن أمثلة ذلك قول أبي فراس : [١]

وَأَنْتَ أَشَدُّ هَذَا النَّاسِ بَأسًا   وَأْصبَرُهُمْ عَلَى نُوَبِ القِتَالِ

وَأهَجَمُهُمْ عَلى جَيْشٍ كَثِيْفٍ   وَأَغْوَرُهُمْ عَلى حَيٍّ حَلالِ

فصيغة التفضيل لها أثر موسيقي واضح داخل الأبيات.

وكقوله : [٢]

لاَ بِالغَضُوبِ ، وَلاَ الكَذُو   بِ وَلاَ القَطُوبِ ولاَ المَلَولْ

فقد اجتمع في البيت عدد من المؤثرات الموسيقية ، فصيغة المبالغة في البيت قد أحدثت نغما موسيقيا واضحا ، وتردد حرف الباء ، وتكرار " لا " ، كل ذلك قد ساعد على ظهور الموسيقى الداخلية في البيت.

هذه أمثلة على الموسيقى الداخلية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة، والمبحث لا يتسع لسرد مواضعها في النصوص ، فأكتفي بما ذكر.

---

(١) الديوان : ٢٧٠.

(٢) نفسه : ٢٧٤.

الخاتمة

قُتل سعيد بن حمدان ، وابنه الحارث (أبو فراس) يدرج في سنيِّه الأولى ، فكفله سيف الدولة الحمداني ، وأحضر له المؤدبين فثقفوا لسانه وبيانه ، ثم اصطحبه في معاركه الداخلية والخارجية فثقف سيفه وسنانه ، وولاه " منبج " وهو ابن ست عشرة سنة فصقل الجانب السياسي فيه ، فغدا بعد ذلك شاعرا وفارسا يزاحم الشعراء والفرسان الذين كانت تمتلئ بهم حلب حتى صار ألمع الشخصيات في بلاط سيف الدولة ، والعضد القوي الذي يضرب به الأمير مناوئيه ، فيردهم على أعقابهم خائبين ، غير أن الأمور لم تدم لأبي فراس ، فقد أسره الروم فطال أسره ، إذ لبث في الأسر أربع سنوات ، وانتظر سيده وأميره أن يسارع بالفداء فلم يفعل ، فارتاب من صنع سيف الدولة وتأخره ، فأخذ يعاتبه لينا تارة ، وقاسيا تارة أخرى ، حتى عاد مع الأسارى ، وقد تغيرت نفسه ، ولم يلبث أن مات سيف الدولة ، ثم لحقه أبو فراس مقتولا بعد سنة واحدة .

لقد صور أبو فراس سيف الدولة صورة زاهية رفيعة ، جمع له معالي الصفات ، فهو أمير العرب جميعا ، أخذ الملك بحقه ، وهو ذو همة عالية ، حاز من المعالي ما يعجز عنه أصحاب الهمم .

وسيف الدولة القائد الشجاع ، الذي جمع صنوف الشجاعة ، فلا يختص بشيء منها دون شيء ، ملك من صفات القيادة ما أرعب أعداءه وجعلهم في قلق دائم ، وترقب مستمر.

وسيف الدولة إذا تمكن من أعدائه عفا عنهم عفو القادر ، فصار سيف الدولة بذلك من أحق الملوك بصفة الحلم .

وسيف الدولة كريم يتبارى الكرم والجود في كفه ، حتى صار يعرف بـــ" أبي الفيض " من شدة جوده وكرمه ، ولا غرابة في ذلك فهو من نسل قوم كرام شهد لهم بهذه الصفة القاصي والداني .

وكما رأى أبو فراس في سيف الدولة تلك الصفات العالية ، فقد لمس منه الجفاء ، عندما تقاعس عن فدائه ، فأبو فراس قد رأى في ذلك مهانة لم يكن يتوقعها من سيده وأميره الذي بذل له كل غال نفيس ، فبادله أبو فراس حبا وإجلالا ، لكن

تأخر سيف الدولة عن الفداء قد حرك في نفس أبي فراس آلاما ومواجع لم تبرأ حتى مات المشكو والشاكي . وقد وضحت الدراسة ذلك كله في الفصل الأول.

لقد تميزت ألفاظ شعر أبي فراس الذي صور هذه المواقف كلها بالجزالة حينا ، وبالرقة والعذوبة حينا ، فكان آسرا للقلوب بسهولته وجزالته ، وبرقته وشدته .

كان يقوي معانيه بما يضفي عليها من تكرار حسن لا يسعى إليه الشاعر لغرض ملء الفراغ ، بل له مقصد وغاية تنبه إلى اهتمامه وعنايته بأمر المكرر.

سلك أبو فراس مسلك الشعراء المطبوعين ، فنوع في أساليبه بين الخبر والإنشاء داخل إطاره الأسلوبي الذي تميز به .

زين أبو فراس شعره بلغة بديعية كسته رونقا وجمالا من غير تكلف ولا تصنع ، وأفاد من سابقيه بما ضمنه في شعره من أقوالهم ، ومعانيهم ، وهي إفادة تدل على قدرته الفائقة على مجارات السابقين المبدعين من غير أن يذوب فيهم .

ظهرت الصورة الشعرية عند أبي فراس متنوعة ومتميزة ، فحوى شعره عددا كبيرا من أنماط الصورة المختلفة ، وظهر في صوره بطابع محافظ ذي خصوصية ، تأثر بسابقيه دون أن ينسلخ من ذاته.

نظم أبو فراس شعره الذي صور سيف الدولة في على عشرة بحور ، سيطرت البحور الطويلة على أغلبه .

استعمل أبو فراس في شعره الذي صور سيف الدولة ثلاثة عشر رويا ، غلب عليها القوافي الذلل.

ظهر في هذا الشعر نوعا القافية (المطلقة والمقيدة) ، وكانت القافية المطلقة أكثر ظهورا .

وكما أبهر أبو فراس بالموسيقى الخارجية (الوزن والقافية) ، فقد أدهش بالموسيقى الداخلية ، المتمثلة في أنواع المحسنات اللفظية ، وفي تلاؤم الحروف وتوافقها الصوتي. وقد وضحت الدراسة ذلك كله في الفصل الثاني.

والحمد لله أولا وأخيرا ،،،

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : الكتب :

١ . **أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره** ، د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ، مكتبة الأقصى ط١ ١٤٠١هـ ١٩٨١م ، عمان ـ الأردن

٢ . **أبو فراس الحمداني " دراسة في الشعر والتاريخ "** ، جورج ، دار الثقافة – بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٥م ٠

٣ . **أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان** ، د. محمد حمّود ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ١٩٩٤م بيروت ـ لبنان .

٤ . **أبو فراس الحمداني في رومياته** ، د. خالد بن سعود الحليبي ، نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، ط١ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٥ . **أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر** ، د. العربي حسن درويش ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م ، مصر .

٦ . **اتجاهات البحث الأسلوبي** ، د. شكري محمد عياد ، دار العلوم ، ط١ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، الرياض .

٧ . **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر** ، د. عبد القادر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٨ . **إحياء علوم الدين** ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، خرج أحاديثه وعلق عليه د. محمد وهبي سليمان و أسامة عمورة ، دار الفكر ، ط١ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، دمشق.

٩ . **أخبار الدول المنقطعة** ، تحقيق الدكتور علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط١ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ، القاهرة .

١٠ . **الأخلاق** ، أحمد أمين ،دار الكتاب العربي ، ط٣ ١٩٧٤م ، بيروت.

١١ . الأخلاق الإسلامية وأسسها ،عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم، ط٦ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ، دمشق.

١٢ . **أدب الدنيا والدين** ، الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي ، تحقيق : ياسين محمد السَّوَّاس ، دار ابن كثير ، ط١ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ، دمشق.

١٣ . **أساس البلاغة** ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق ، د. مزيد نعيم و د.شوقي المعري ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ١٩٨٨م بيروت.

١٤ . **أسرار البلاغة** ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني- القاهرة ودار المدني- جدة ، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

١٥ . **أسس النقد الأدبي عند العرب** ، د.أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، بدون تاريخ طبعة ٠

١٦ . **الأسلوبية والأسلوب** ، د. عبد السلام مسدي ، ط٢ ، تونس ١٩٨٢م.

١٧ . **الأصوات اللغوية** ، د.إبراهيم أنيس ، ط٤ ، مصر ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م.

١٨ . **أصول النقد الأدبي،** أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٨ ١٩٧٣م

١٩ . **أصول النقد الأدبي** ، د. طه مصطفى أبو كريشة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١، ١٩٩٦م.

٢٠ . **الأعلام** ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ٢٠٠٢م.

٢١ . **الإمتاع والمؤانسة** ، أبو حيان التوحيدي ، عني به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م ، بيروت.

٢٢ . **أهدى سبيل إلى علمي خليل** ، الأستاذ محمود مصطفى ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح ، ط٢٢ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ، مصر .

٢٣ . **الإيضاح في علوم البلاغة** ، الخطيب القزويني ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م ، القاهرة.

****

٢٤ . **البحث الأسلوبي " معاصرة وتراث "** ، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف ، ١٩٩٣م الإسكندرية .

٢٥ . **البداية والنهاية** ، تحقيق د. أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار الحديث ، ط٥ ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٨م ، القاهرة ٠

٢٦ . **البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية " عنترة بن شداد نموذجا"** ، محمد أبو الفتوح محمد العفيفي ، إيتراك ، ط١ ٢٠٠١ ، القاهرة .

٢٧ . **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة** ، عبد المتعال الصعيدي ، المطبعة النموذجية ، بدون تاريخ .

٢٨ . **البلاغة ، فنونها وأفنانها ، علم البيان والبديع** ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط٧ ، ١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠٠م ، عمان.

٢٩ . **البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني"** ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط٧ ، ١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠٠م ، عمان .

٣٠ . **البلاغة في ثوبها الجديد "علم المعاني"** ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، ط٣ ١٩٩٠ ،بيروت ـــ لبنان.

٣١ . **البلاغة والأسلوبية** ، د.محمد عبدالمطلب ، ط١ ، ١٩٩٤ ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لبنان ٠

٣٢ . **تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)** ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨١م ، بيروت .

٣٣ . **تأويل مشكل القرآن** ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٤ ،القاهرة ٠

٣٤ . **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** ، ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د.حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي " بدون تاريخ " ، القاهرة.

٣٥ . **التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية** ، د. شفيع السيد ، دار الفكر العربي ط٤ ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م .

٣٦ . **التعبير القرآني** ، د.فاضل صالح السامرائي ، دار عمار – عمان – الأردن ، ط٥ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ٠

٣٧ . **التفسير النفسي للأدب** ، د. عز الدين إسماعيل ، دار غريب ، القاهرة ، ط٤، بدون تاريخ.

٣٨ . **التكرار في شعر محمود درويش** ، فهد ناصر عاشور ، المؤسسة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، بيروت ٠

٣٩ . **التكرير بين المثير والتأثير** ، د. عز الدين علي السيد ، عالم الكتب ، ط٢ ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م ، بيروت.

٤٠ . **تهذيب الأخلاق** ، للجاحظ، القاهرة، دار الصحابة للتراث ، ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ، مصر ٠

****

٤١ . **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** ، تحقيق محمد خلف الله أحمد و د.محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط٤ ، بدون تاريخ ٠

****

٤٢ . **جماليات الأسلوب : الصورة الفنية في الأدب العربي** ، د.فايز الداية ، دار الفكر ط٢ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ، دمشق .

٤٣ . **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** ، السيد أحمد الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١٢، لبنان ـ بيروت.

****

٤٤ . **الحياة العربية من الشعر الجاهلي** ، د.أحمد محمد الحوفي ،دار القلم ، بيروت ـ لبنان، ط٤ ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .

٤٥ . **الحيوان** ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بدون تاريخ ، بيروت.

****

٤٦ . **خلق المسلم** ، محمد الغزالي ، دار القلم ، ط٢١ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ، دمشق.

****

٤٧ . **دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث** ، د.بدوي طبانة ، دار الثقافة ، ط٦ ١٩٧٤م ــ ١٣٩٤هــ ، بيروت ــ لبنان .

٤٨ . **دراسات في النص الشعري في العصر العباسي** ، د. عبده بدوي ، دار الرفاعي ــ الرياض ، ط٢ ١٤٠٥هــ ــ ١٩٨٤م.

٤٩ . **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** ، محمد عبدالخالق عضيمه ، دار الحديث – القاهرة ، بدون تاريخ .

٥٠ . **دلائل الإعجاز** ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط٥ ١٤٢٤هــ - ٢٠٠٤م .

٥١ . **ديوان أبي فراس الحمداني** ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، ط٤ ١٤٢٠هــ ــ ١٩٩٩م ، بيروت.

٥٢ . **ديوان أبي نواس** ، تحقيق : أحمد عبدالمجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي – بيروت بدون تاريخ ٠

٥٣ . **ديوان البحتري** ، شرحه : د.يوسف الشيخ محمد ، دار الكتب العلمية ،١٤٢١هــ - ٢٠٠٠م بيروت – لبنان.

٥٤ . **ديوان جرير** ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بيروت .

٥٥ . **ديوان زهير بن أبي سلمى** ، شرحه وقدم له الأستاذ على حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م ، بيروت ــ لبنان.

٥٦ . **ديوان عنترة بن شداد** ، تقديم وشرح وتعليق الدكتور محمد حمود ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ١٩٩٦م ، بيروت.

****

٥٧ . **الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي)** ، محمد علي كندي ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

٥٨ . **رياض الصالحين** ، الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، دار المؤيد ، الرياض ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ٠

****

٥٩ . **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، الصاحب كمال الدين أبو الصاحب عمر بن أحمد بن هبة الله " ابن العديم " الحلبي الحنفي ، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م ، بيروت ــ لبنان ٠

****

٦٠ . **سر الفصاحة** ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ، بيروت ٠

٦١ . **سنن الإمام الترمذي** ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) ، بيروت .

٦٢ . **سيف الدولة الحمداني : مملكة السيف ودولة الأقلام** ، د.مصطفى الشكعة ، ط٣ الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ٠

****

٦٣ . **شاعر بني حمدان** ، د. أحمد أحمد بدوي ، مطبعة لجنة البيان ، ط٢ ١٩٥٢م ، مصر ، ص٧٢ – ٧٣ ٠

٦٤ . **شرح ديوان الحماسة** ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، نشره ، أحمد أمين و عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م ، بيروت .

٦٥ . **الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه** ، د. محمد النويهي ، الدار القومية ، (بدون تاريخ) القاهرة .

٦٦ . **الشعر العربي الحديث قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية** ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ط٥ ١٩٨٨ ، بيروت.

٦٧ . **الشعر العربي المعاصر** ، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، ط٥، ١٩٨٨م ، بيروت .

٦٨ . **الشعر في ظل سيف الدولة** ، د. درويش الجندي ،مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٥٩م ، مصر .

٦٩ . **الشعر والشعراء** ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح ، أحمد محمد شاكر ، ط٣ ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م ، دار الحديث ــ القاهرة.

٧٠ . **الشعر والناقد " من التشكيل إلى الرؤيا "** ، د. وهب رومية ، سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، رجب ١٤٢٧هـ ــ سبتمبر ٢٠٠٦م ، الكويت.

٧١ . **شعر أبي فراس الحمداني : دراسة فنية** ، ماجدولين وجيه بسيسو ، ط١ ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م.

٧٢ . **شعر أبي فراس الحمداني دلالاته وخصائصه** ، د.عبدالمطلب عمران ، دار الينابيع ، ط١ ، ١٩٩٩م ، دمشق.

٧٣ . **شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة** ، د. زكي المحاسني ، دار المعارف ط٢ ، بدون تاريخ.

٧٤ . **شعر الرثاء في العصر الجاهلي " دراسة فنية"** ، د٠ مصطفى عبدالشافي الشوري ، الدار الجامعية ١٩٨٣م ، بيروت ٠

****

٧٥ . **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي** ، د. جابر أحمد عصفور ، دار المعارف (بدون تاريخ) ، القاهرة.

٧٦ . **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري "دراسة في أصولها وتطورها"** ، د. علي البطل ، دار الأندلس ط١ ١٩٨٠م ، بيروت.

٧٧ . **الصورة والبناء الشعري** ، د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف القاهرة ١٩٨١م.

****

٧٨ . **العاطفة والإبداع الشعري : دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري** ، د. عيسى علي العاكوب ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٧٩ . **العالم الإسلامي في العصر العباسي** ، د.حسن أحمد محمود ، و د٠أحمد إبراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، ط٣ ١٩٧٧ .

٨٠ . **عصر الدول والإمارات " الشام"** ، د٠شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢ ، بدون تاريخ ، القاهرة .

٨١ . **العصر العباسي الأول** ، د.شوقي ضيف، دار المعارف ، ط١٠ بدون تاريخ.

٨٢ . **علم البديع** ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م ، بيروت .

٨٣ . **علم البيان** ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ــ بيروت ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

٨٤ . **علم العروض والقافية** ، د.عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م ، بيروت .

٨٥ . **علم المعاني "دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني"** ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م.

٨٦ . **عيار الشعر** ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق د. محمد زغلول سلام ، دار منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط٣ بدون تاريخ .

****

٨٧ . **غزوة أحد: سلسلة معارك الإسلام الفاصلة** ، محمد أحمد باشميل ، دار الفكر ، بيروت ــ لبنان ، ط٦، ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٤م .

****

٨٨ . **فصول في الشعر** ، د.أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ــ بغداد ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

٨٩ . **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين** ، د.مصطفى الشكعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ٠

٩٠ . **في عروض الشعر العربي** ، د. محمد الطويل ، نادي أبها الأدبي ــ أبها ، ١٤٠٥هـ.

٩١ . **في علمي العروض والقافية** ، د.أمين علي السيد ، دار المعارف ، ط٥ ، ١٩٩٩م.

٩٢ . **في المصطلح النقدي** ، د.أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م بغداد .

٩٣ . **في النقد الأدبي** ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٧ ، بدون تاريخ ٠

****

٩٤ . **القاموس المحيط** ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م ، بيروت .

٩٥ . **قضايا الشعر المعاصر** ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، ط١٢ ٢٠٠٤م ، بيروت.

٩٦ . **قواعد الشعر** ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١ ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م ، مصر.

٩٧ . **القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم** ، د. عبد الله محمد الرشيد ، شركة الرياض للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م ،الرياض.

****

٩٨ . **الكامل في التاريخ** ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، بيروت.

٩٩ . **كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"** ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية : صيدا – بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٠ . **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، ط١ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

****

١٠١ . **لباب الآداب** ، أسامة بن منقذ ، تحقيق: أحمد شاكر ، دار الجيل – بيروت ، بدون تاريخ.

١٠٢ . **لسان العرب** ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، ط٣ ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م ، بيروت.

١٠٣ . **لغة الشعر بين جيلين** ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الثقافة ، بيروت ، دون تاريخ .

١٠٤ . **لغة الشعر العراقي المعاصر** ، عمران خصير الكبيسي ، وكالة المطبوعات ، ط١ ١٩٨٢م ، – الكويت .

١٠٥ . **لغة الشعر العربي** ، عدنان حسين قاسم ، مكتبة الفلاح ، ط١ : ١٤١٥ ، الكويت .

١٠٦ . **لغتنا الجميلة** ، فاروق شوشة ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، دون ناشر.

١٠٧ . **اللغة العربية : أسئلة التطور الذاتي والمستقبلي** ، مجموعة من الباحثين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، بيروت ٠

١٠٨ . **اللغة الكونية " في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة "**، د. صالح بن سعيد الزهراني ، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

****

١٠٩ . **المتنبي : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م ، القاهرة.

١١٠ . **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ١٤١١ – ١٩٩٠.

١١١ . **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** ، د. عبد الله الطيب مطبعة جامعة الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط٤ ، ١٩٩١م .

١١٢ . **معجم البلاغة العربية** ، د.بدوي طبانة ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١١٣ . **المعجم المفصل في اللغة والأدب** ، د.ميشال عاصي و د. إميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين ، ط١ ١٩٨٧م ، بيروت.

١١٤. **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، إخراج ، د. إبراهيم أنيس ، د. عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد ، المكتبة الإسلامية ،إستانبول ، تركيا ط٢ ١٣٩٢هـ ـــ ١٩٧٢م.

١١٥ . **معجم النقد العربي القديم** ، د. أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، ط١ ١٩٨٩م ، بغداد .

١١٦ . **مفتاح العلوم** ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تحقيق : د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

١١٧ . **المفضليات** ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط١٠ ١٩٩٤م ، القاهرة .

١١٨ . **مقدمة ابن خلدون** ، عبدالرحيم بن محمد بن خلدون ، تحقيق د.علي عبدالواحد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ٠

١١٩ . **مقدمة للشعر العربي** ، علي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ، ط٣ ١٩٧٩م ، بيروت ، ص ٧٩.

١٢٠ . **مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة** ، د.أحمد عوض أبو الشباب ،المكتبة العصرية ، ط١ ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م ،، صيدا ـ لبنان.

١٢١. **ملحق موسوعة الفلسفة** ، د. عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ١٩٩٦م ، بيروت.

١٢٢ . **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الفرا الإسلامي ، ط٢ ، ١٩٨١م ، بيروت ٠

١٢٣ . **من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده** ، د. محمد خلف الله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م .

١٢٤ . **المواقف الأخلاقية** ، روجيه ميل ، ترجمة : د. عادل العوا ، منشورات عويدات ، ط١ ، ١٩٨٧م ، بيروت.

١٢٥. **موسيقى الشعر** ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٢م.

****

١٢٦ . **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** ، للقاضي أبي علي الحسن التنوخي ، تحقيق :عبود الشالجي المحامي ، مطبعة مصر ١٣٩١هـ ، القاهرة .

١٢٧ . **نقد الشعر** ، قدامة بن جعفر ، تحقيق: كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، القاهرة.

١٢٨ . **النقد الأدبي الحديث** ، د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة بيروت، ١٩٨٧م.

****

١٢٩ . **الوافي بالوفيات** ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق واعتناء ، أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ، لبنان .

١٣٠ . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، حققه د. إحسان عباس ، دار الثقافة ١٩٧٧م ــ ١٣٩٧هـ ،بيروت ــ لبنان.

****

١٣١ . **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ط١ ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ، بيروت ــ لبنان .

ثالثا : مراجع مستفادة من الشبكة

§ دورة " أبو فراس الحمداني " مجموعة أبحاث الندوة المصاحبة التي أقيمت في الجزائر عام ٢٠٠٠م ، مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري ، رابط الموقع : HTTP://١٩٩,٢٣٦,٦٦,٦/DEFAULT.ASPX ، ورابط صفحة الكتاب على الموقع : HTTP://١٩٩,٢٣٦,٦٦,٦/READBOOK.ASPX?BID=٣٧&PNUMBER=٥١

§ اللغة العربية والهوية القومية ، ياسر سليمان ، عرض موقع الجزيرة ـ نت

رابط القناة : HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET ،

ورابط العرض :

HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/NR/EXERES/DD٦٦A٦٦٧-B٨٠٦-٤٤٣E-AD٢A- DD١٢٩٩٥٠A١F٥.HTM

§ مجلة جامعة أم القرى ، مجلد ٣ ، العدد ٢١ ، رابط المجلة : HTTP://WWW.UQU.EDU.SA/PAGE/AR/٩٧٧

رابط الصفحة :

HTTP://WWW.UQU.EDU.SA/MAJALAT/SHARIARAMAG/MAG٢١/MG-٠١٩.HTM

§ في لغة الشعر والبحث عن الشعرية ، جودت فخر الدين ، رابط الصفحة : HTTP://WWW.NIZWA.COM/VOLUME١٢/P٤٧_٥٢.HTML

فهرس الموضوعات

المقدمة ....(ح ــ ش)
التمهيد : علاقة أبي فراس بسيف الدولة ....(١ ــ ٢٧)
الفصل الأول : صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس " الدراسة الموضوعية... (٢٨ ــ ٨٨)
سيف الدولة الأمير..........................(٣١)
سيف الدولة القائد الشجاع..........................(٤٨)
سيف الدولة الحليم..........................(٦١)
سيف الدولة الكريم..........................(٦٩)
سيف الدولة الجافي..........................(٧٦)
الفصل الثاني : صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس " الدراسة الفنية " ......(٨٩ ــ ٢٢٩)
المبحث الأول : اللغة والأسلوب..........................(٩٠ ــ ٢١٠)
الخصائص اللغوية والأسلوبية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة (١٠٢ ــ ٢١٠)
١ ــ سهولة الألفاظ وبساطة التراكيب ....(١٠٢)
٢ ــ التكرار..........................(١١٩)
٣ ــ الصيغ الإنشائية..........................(١٣٧ ــ ١٤٦)
- الأمر..........................(١٣٨)
- النهي..........................(١٤٠)
- النداء..........................(١٤١)
- الاستفهام..........................(١٤٤)
- التمني..........................(١٤٦)
٤ ــ اللغة البديعية..........................(١٤٧ ــ ١٦٩)
- الطباق ....(١٤٩)
- المقابلة..........................(١٥٢)
- مراعاة النظير..........................(١٥٣)
- التقسيم..........................(١٥٥)
- الجناس..........................(١٥٦)
- رد العجز على الصدر..........................(١٦٠)
- التصريع..........................(١٦٢)
- الترصيع..........................(١٦٤)
- الاقتباس والتضمين..........................(١٦٥)

المبحث الثاني : الصورة الشعرية..(١٧٠ ــ ٢١٠)
أولا : الصورة ، وعلاقتها بالخيال والعاطفة...............................(١٧١)
ثانيا : أهمية الصورة..(١٧٧)
ثالثا : وظيفة الصورة..(١٧٩)
رابعا : أنماط التصوير في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة(١٨١ ــ ٢١٠)
١ _ التصوير بالتشبيه..(١٨٢)
٢ _ التصوير بالاستعارة...(١٨٨ ــ ٢٠٣)
• الصورةالحسية..........................(١٩٤ ــ ٢٠١)
أ _ الصورة البصرية....................................(١٩٦)
ب _ الصورة الذوقية.......................................(١٩٧)
ج _ الصورة اللمسية.......................................(١٩٩)
د _ الصورة السمعية.......................................(٢٠١)
هـ ــ الصورة الشمية.......................................(٢٠١)
• الصورة التشخيصية..............................(٢٠٢)
٣ _ التصوير بالكناية...(٢٠٤)

المبحث الثالث : الموسيقى..(٢١١ ــ ٢٢٩)
أولا : مفهوم الموسيقى ، وأهميتها......................................(٢١٢)
ثانيا : أنواع الموسيقى...(٢١٣)
ثالثا : الموسيقى الشعرية في شعر أبي فراس الذي صور سيف الدولة ....(٢١٤)
١ _ الموسيقى الخارجية.......................................(٢١٥)
§ الوزن..(٢١٥)
§ القافية..(٢٢٠)
٢ _ الموسيقى الداخلية..(٢٢٦)
الخاتمة...(٢٣٠ ــ ٢٣٢)
المصادر والمراجع..(٢٣٣ ــ ٢٥٢)
فهرس الموضوعات..(٢٥٣ ــ ٢٥٥)